الإسلام والفنون

تأليف
أحمد المرسى حسين جوهر
مدير عام إدارة غرب المنصورة التعليمية

مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م

مكتبة جزيرة الورد
المنصورة - تقاطع شارع الهادى وعبد السلام عارف
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

التقديم ومنهج البحث

إن الحمد لله وحده. . .نحمده ونستعينه. . .ونستغفره ونتوب إليه. . .ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. .

(وبعد)

- دار حديث كثير حول موضوع الإسلام. . .والفنون نظرا لمتطلبات حياتنا المعاصرة وما أقرته من فنون بعضها وافد من الغرب. .

ولا مراء فى أن الفن يمكن أن يستخدم فى الخير والبناء أو فى الشر والهدم وهنا خطورة تأثيره.

ولذلك كان هذا البحث! نعرض فيه لبيان حكم الإسلام فى أهم هذه الفنون وخاصة ما يتصل بوسائل الإعلام التى أنتجتها الحضارة المادية فى العصر الحديث. .

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

- والإسلام لا يقف مكتوف الأيدى تجاه هذه الفنون. .ولا يمكنه بحال أن يتجاهل وجودها أو أن يغض النظر عنها. .بل لابد إلا أن يحكم لها عليها. . .ولابد أن يعرف المسلم موقف الإسلام منه. .وحكم الشرع فيها. .حتى يكون على بينة وهدى فيما يَدَعُ. .وفيما يأخذ. .وهذا البحث هو محاولة متواضعة على الطريق. .استخدم فيها المنهج التحليلى، نعرض فى كل فن من الفنون رأى المشددين ودليلهم. . .ونناقش كل لنقف على الحقيقة وقوفا عند حد الوسط من الأقوال دون إفراط أو تفريط؛ ولذا فقد جاء هذا البحث على ستة فصول وخاتمة:

فى الفصل الأول: الإسلام. .وفن الجمال المرئى(الرسم - التصوير - النحت والزخرفة - الفنون التشكيلية).

وفى الفصل الثانى: الإسلام. .وفنون الأدب الحديثة.

(أ) القصة - الرواية - التمثيلية - المسرحية: المقامة. الملحمة. .إلخ.

(ب) الإسلام. والشعر.

وفى الفصل الثالث: الإسلام. . وفن الخط العربى والتهذيب. . والإسلام وفن العمارة.

وفى الفصل الرابع: الإسلام. . وفن التمثيل (الدراما ـ التراجيديا) فى المسرح ـ السينما ـ التلفاز.

وفى الفصل الخامس: الإسلام. . . وفن الموسيقى والغناء(الفن المسموع).

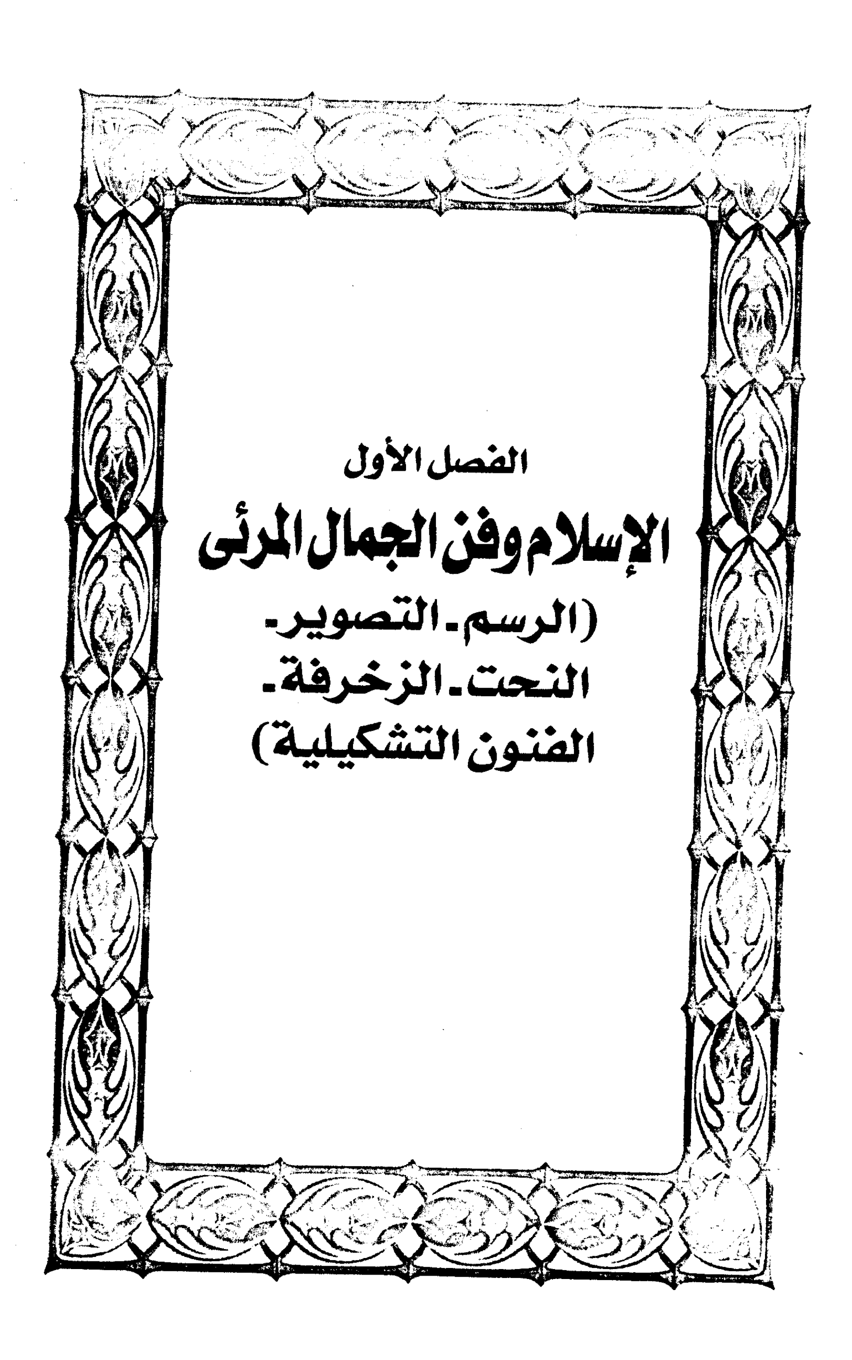
وفى الفصل السادس: الإسلام. . . وفنون اللعب والتسلية، اللهو والفكاهة والمرح(الكوميديا) .

ثم كانت. . **الخاتمة والتوصيلات**. . وفيها أوضحت أن الفن وسيلة إلى المقصد محاكمة حكم مقصده فإن استخدم فى حلال فهو حلال وإن استخدم فى حرام فهو حرام. . وهناك دعوة لأن يفتح المسلمون توافدهم للتعامل بواقعية مع ما حولهم من فنون . . ويقدم الإسلام مقاييس بسيطة وفعالة تحكم تعاملنا. . إيمانا من أن الإسلام جسم وعقل وروح ووجدان. . وإذا كانت الرياضة تغذى الجسم، والعبادة تغذى الروح، والعلم يغذى العقل فإن الفن يغذى الوجدان. . وتزيد بالفن التنوع الراقى والذى يسمو والذى يهبط به.

والله. . أسأل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعة. . وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

وأن يجعل السداد رائدنا فى القول والعمل. . . وأن يعصمنا من الخطأ والزلل. . إنه سميع قريب مجيب. . والله من وراء القصد. . . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

●●●●●



الفصل الأول

الإسلام وفن الجمال المرئى

(الرسم - التصوير - النحت - الزخرفة - الفنون التشكيلية)

الفصل الأول

الإســـــــلام

وفن الجمال المرئى

الرسم ـ والتصوير ـ والزخرفة ـ والنحت ـ والفنون التشكيلية

*** التصوير فى القرآن:**

عرض القرآن الكريم للتصوير على أنه من أعمال الله تبارك وتعالى الذى يبدع صور الكائنات الحية وفى مقدمتها الإنسان.

ورد فى سورة غافر ﴿ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[1]، وجاء فى سورة التغابن ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[2].

وفى سورة آل عمران ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[3].

وفى سورة الأعراف ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾[4]. وفى سورة الانفطار ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[5]، كما ذكر القرآن أن من أسماء الله الحسنى اسم المصور. كما فى قوله تعالى فى سورة الحشر ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[6].

كما عرض القرآن للتماثيل فى موضعين:

أحدهما: ـ حينما أنكر إبراهيم الخليل على قومه عبادتها فى قوله:

﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾[7].

والثانى: فى معرض الامتنان والإنعام على سليمان عليه السلام، حيث سخر له الجن ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾[8].

---

(١) الآية(٦٤). (٢) الآية(٣). (٣) الآية (٦).

(٤) الآية(١١). (٥) الآية(٧، ٨) (٦) الآية: (٢٤).

(٧) الأنبياء(٥٢، ٥٣). (٨) سبأ (١٣).

* التصوير والديانات الأخرى:

* ويلوح أن اعتبار الله عز وجل(المصوِّر والفنى) الذى لا تجوز مضاهاة خلقه أمر معروف عن اليهود أيضا بل عند سائر الشعوب السامية القديمة وبنى إسرائيل.

* فقد ورد فى الإصحاح العشرين فى سفر الخروج(لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء ومن تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن).

وفى الفقرات ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، من الإصحاح فى سفر التثنية يقول:

(فاحتفظوا جدا لأنفسكم فإنكم لا تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى خوريب من وسط النار لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة مثال ماشية ذكر أو أنثى شبه بهيمة مما على الأرض شبه طيرُ ما ذا جناح مما يطير في السماء شبه دبيب ما على الأرض شبه سمك مما فى الماء من تحت الأرض).

كذلك عرفت الديانة المسيحية كراهية التصوير ولعل ذلك يبدو واضحا جليا فى حركة كسر التماثيل والأيقونات التى نشأت فى بداية الربع الثاني من القرن الثامن الميلادى فى آسيا الصغرى، ثم امتدت منها إلى سائر أنحاء الإمبراطورية البيزنطية حين رعاها الإمبراطور(ليو) الثالث وأصبح أشد أعداء الصور والتماثيل.

* التصوير فى السنة:

*أما السنة المطهرة. . . فقد حفلت بالعديد من الأحاديث النبوية - التى سوف نوردها فى مناسبتها - وكلها أحاديث صحيحة مروية عن النبى ﷺ فى الكتب الصحاح والمسانيد والسنن. . معظمها يذم التصوير ويأمر بطمس الصور ويمنع تصوير كل روح آدميٍ كان أو غيره ويحرمه وينفر منه ويتوعد عليه.

كما ينكر اقتناء الصور أو تعليقها فى البيت ويعلن أن الملائكة وهم مظهر رحمة الله لا تدخل بيتا فيه صورة. . ويلعن المصورين ويبين أنهم أشد الناس عذابا يوم القيامة. . ويأمر بهتك الستور التى فيها الصور.

* حكمة التشريع...والعلة فى تحريم الصور

والمتأمل فى معانى هذه الأحاديث وفى سياقها وملابساتها يتبين له أن النهى

والتحريم والوعيد لم يكن تهجما على الإبداع الإنسانى ولا محاربة للفن الطاهر البرىء الذى يسعى إلى تجميل الحياة وبعث الأمل فى النفوس القلقة المضطربة.

ولم يكن اعتباطا ولا تحكما بل كان وراءه علل ومقاصد يهدف الشرع إلى رعايتها وتحقيقها.

أولا: وعلى رأسها مضاهاة خلق الله والتشبه بصنعه جل وعلا.

إن من أسرار تحريم التماثيل والصور هى المضاهاة والمشابهة لخلق الله وليست هذه هى العلة الوحيدة كما يظن بعض الناس فإنه سبحانه هو وحده(المصور الفنى)

أ - ويدل على ذلك حديث: «**أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون، أو الذين يضاهئون بخلق الله**».

ب - وحديث «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون..يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**».

ج - وحديث «**ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلقى..فليخلقوا حبة أو فليخلقوا شعيرة**»، فالعلة هى التشبه بخلق الله والمضاهاة بصنعه جل وعلا.

قال فضيلة الشيخ محمد على السايس[1].

(وبهذا يكون قوله ﷺ: «**أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون**» المقصود إذاً منه الذين يصورون صور الأجسام ذات الروح إذا كانت على حالة بحيث يمكن أن يقال: إن صاحبها يضاهئ بها خلق الله، وهذا أيضا إنما يكون إذا كانت كاملة الخلق بحيث لا ينقصها إلا نفخ الروح .

ويقول: فإذن: يكون تصوير الجمادات كالجبال والأنهار والكائنات النامية التى ليست بذات روح خارجة من الحظر لأنها ليست مما تناولها النص بإشارة يشبهون خلق الله وبإشارة: يقال لهم أحيوا ما خلقتم وحتى ينفخ فيها الروح وما هو بنافخ إذ كل هذه الجمادات لا تجتمع فيها كل هذه الصفات فتكون خارجة من الحظر وتبقى التماثيل المجسمة للحيوان على هيئته الكاملة محظورات هى التى تكون مراده من النص).

---

(١) تفسير آيات الأحكام الجزء(٤) ص٥٨.

ثانيا: البعد عن مظاهرالوثنية والتعظيم والتقديس وحماية العقيدة من الشرك بقصد التوحيد:-

فما دخلت الوثنية وعبادة الأصنام إلى الأمم الغابرة إلا عن طريق(الصور والتماثيل) وتقديسها كما دل عليه حديث أم سلمة وأم حبيبة: وفى قوله عليه السلام:

«أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار خلق الله تعالى يوم القيامة».

وقد روى أن الأصنام التى عبدها قوم نوح(ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا) التي ذكرت فى القرآن كانت أسماء لأناس صالحين أقيمت لهم فى مجالسهم وسميت بأسمائهم فلما طال العهد بأصحابها وتناسى أمرها اتخذت آلهة تعبد من دون الله)[١].

قال الطبرى: إن سواعَ كان ابن شيث وإن يغوث كان ابن سواع وكذلك يعوق ونسرا فلما هلك الأول صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف وقالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزقهم وتنفع وتضر واتخذوها آلهة[٢].

وذكر الثعلبى عن ابن عباس: (إن هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أصناما وسموها بأسمائهم تذكروهم بها ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت من دون الله)

وقال أبو بكر بن العربى: (والذى أوجب النهى فى شريعتنا - والله أعلم - ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان والأصنام فكانوا يصورون ويعبدون فقطع الله الذريعة وحمى الباب).

ودلل على ذلك بما رآه فى ثغر الإسكندرية أنه إذا مات ميت صوروه من

(١) الأصنام لابن الكلبى ص ٥١، ٥٢.

(٢) تفسير الطبرى ص٢٩،ص٦٢.

خشب فى أحسن صورة وأجلسوه فى موضعه وكسوه بزيه إن كان رجلا وبحُلِيِّها إن كانت امرأة وأغلقوا عليه الباب فإذا أصاب واحد منهم كرب أو تجدد له مكروه فتح الباب عليه وجلس عنده يبكى ويناجيه حتي يكسر سورة حزنه بإهراق دموعه ثم يغلق الباب عليه وينصرف وإن تمادى بهم الزمان يعبدوها من جملة الأصنام(١)

وقد كان حول الكعبة المعظمة يوم فتح مكة ثلاثمائة وستون صنما بعدد أيام السنة على ما رواه البخارى والمؤرخون عدا ما كان منتشرا فى أماكن أخرى. .بل كان لكل حيّ صنم. .

بل إن بعضهم اتخذ فى داره صنما خاصا يعبده فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضا(٢). .

ويقال: إن أهل الكتاب هم الذين أدخلوا هذه الوثنية إلى العرب بسبب التماثيل والتصاوير. .

ويعزى لعمر بن لحىٍّ أنه أول من أدخل هذه العبادة بينهم. . .لكن المؤرخين يؤكدون أنهم اشتغلوا بعد ذلك بصناعتها حيث يستبعدون مع هذا العدد الكثير لها أن تكون مجلوبة إليهم مع ما فى بلادهم من مشاق النقل ووعورة المسالك. .على أننا غير منكرين نقلهم بضعة أصنام من الشام فى بدء عبادتهم لها ولكن ذلك لا يستلزم عدم اشتغالهم بصنعها بعد ذلك فلم يلبث أن انتشرت بينهم انتشار النار فى الهشيم. .

فلما كان يوم فتح ﷺ مكة حطمها رسول الله بقضيب كان فى يده فلم يبق لها أثرا وهو يردد قوله تعالى: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ وكان يشير ﷺ بقضيبه فتتساقط على ظهورها(٣) .

وإن كان الأب لامانس يحاول أن يثبت أن هذه القصة غير صحيحة ويتبجح فيقول: إن الباعث على وضعها الرغبة فى أن ينسب القوم إلى النبي معجزة من المعجزات. .كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا. . .

(١) أحكام القرآن لابن العربى الجزء الثالث.
(٢) كتاب الأصنام لابن الكلبى ص٣٣.
(٣) أخبار مكة للأزرقى ص٧٠، ٧١.

فلما جاء الإسلام حرم الصور والتماثيل وكل ما يدعو إلى الوثنية من قريب أو من بعيد وحمل حملة شعواء على المصورين ومنع من تصوير كل ذى روح حماية للأمة وتطهيراً للمجتمع من لوثة الشرك وعبادة الأصنام حتى إذا كان يوم فتح مكة اقتلع الإسلام الوثنية من جذورها وقضى على الشرك فى مهده وطهر الجزيرة من رجسها. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(1).

وقد وردت أحاديث كثيرة فى عظم أثر الشرك، منها ما روت عائشة عن النبى ﷺ(2) قال الدواوين ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله وهو الشرك بالله.. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾(3)..

ولما أرسى الإسلام قاعدة التوحيد حرص على ألا يشوب هذه القاعدة أى شائبة، فالمقدمات سبيل إلى النتائج.. والوسائل سبيل إلى الغايات والشرك ليس نتيجة لفساد النفس فى ذاتها لأن كل مولود يولد على الفطرة ولكنه نتيجة لمقدمات وأسباب ولكى تسلم النفس من هذا الفساد حرص الإسلام على إبعادها عن كل شُبهة تؤدى إليه ومن ذلك تحريم(التماثيل) لما لها من مضاهاة خلق الله ولما يؤدى إليه اتخاذها من احتمال تعظيمها ومن ثم العودة إلى الوثنية التي جاء الإسلام ثورة عليها..

وقد يقول قائل: لقد انتهى عهد الأوثان والأصنام وأصبحنا فى عصر التنوير والتقدم الفكرى للإنسان ولم يعد هناك خوف من العودة إليها فَلِمَ إذن تبقى حُرمة التصوير؟؟

ونقول: إن هذا القول على إطلاقه غير سليم فهو صحيح إذا كان الإنسان فى بيئة تقوم عقيدتها على توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده...ولكن هذا ليس واقع(كل الناس) اليوم فهناك حتى اليوم من لا يزال يعبد البقر ويتبرك بأرواثها..إن الذى يعبد البقر لا يستبعد عليه أن يعبد الصورة.

(1) النساء من الآية: 48.

(2) مسند الإمام أحمد جـ 6 ص240.

(3) المائدة من الآية 72.

والعقل البشرى معرض للانتكاس فى كل مكان وزمان ولا يستبعد أبداً أن يؤدى نصب التماثيل فى الشوارع العامة وتزيين المحلات والبيوت بها إلى تعظيمها وعبادتها فى المستقبل. .ولا عجب فى ذلك، فهناك من لا يزال يعبد الأوثان والأصنام من البشر والحيوانات بل والأشجار والأحجار فقد قرأنا مؤخراً عن قوم يعبدون فى زماننا الأهرام.

واستقراء التاريخ. .تاريخ العقائد يؤكد أن الذين عبدوا الأشخاص والحيوانات والأحجار وغيرها أو أشركوها مع الله ما كانوا ليفعلوا ذلك إلا بعد أن غالوا فى حبها وعظموها[1].

وتاريخ الوثنيات يؤكد على أنها بدأت بالتصوير للتذكرة وانتهت بالتقديس والعبادة. . لهذا كان النهى عن الصور والتماثيل سدّا لباب الشرك ومنعا لاحتماله فمن المعروف أن الصور والتماثيل تكون أروج ما تكون فى رحاب الوثنية كما عُرف ذلك عند قوم إبراهيم عليه السلام وعند الفراعنة واليونان والرومان وعند اليهود إلى اليوم وغيرهم.

يقول د/ القرضاوى: فالنصرانية عندما(ترومت) على يد قسطنطين إمبراطور الروم دخلها كثير مما كان عند الرومان من مظاهر الوثنية[2].

وفى ذلك قالت عائشة رضى الله عنها قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترتُ بقُرام لى على سهوة لى فلما رآه رسول الله هتكه وقال: «**أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**» قالت: « فجعلناها وسادة أو وسادتين» ومثل ذلك حديث ابن مسعود مرفوعا «**إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون**» متفق عليه. .

قال النووى «قيل هى محمولة علي من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر. .وهو أشد عذاباً. . .وقيل هى فيمن قصد المعني الذى فى الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى وأعتقد ذلك. .فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكافر ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره»[3]. .

---

(١) مجلة البحوث الفقهية والمعاصرة ـ السنة الخامسة ـ العدد(١٩) عام ١٤١٤هـ ص٢٢٤.

(٢) الإسلام والفن ص٩٥.

(٣) شرح النووى على مسلم(١٤/ ٩١).

وفى حديث آخر لعائشة قالت: « قدم رسول الله ﷺ من سفر وعلقت درتوكا فيه تماثيل فأمرنى أن أنزعه فنزعته»[1].

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة» ثم دعا بتور من ماء فغسل يديه حتى بلغ إبطه. قال الراوى فقلت: يا أبا هريرة أشىء سمعته عن رسول الله ﷺ قال منتهى الحيلة»[2].

وفى ذلك أيضا ما رواه ابن عباس عن أبى طلحة أن النبى قال: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير»[3] هذا من حديث العموم عن التوحيد وعن حساسية الإسلام لأى فعل أو عمل ينافيه أو يكون فيه شبهة تؤدى بالمسلم إلى متاهات الشرك.

ثالثاً: ومن أسرار التحريم بالنسبة للصانع(المثّال) أن ذلك المصور أو المثال الذى ينحت تمثالا يملؤه الغرورحتي فكأنما أنشأ خلقاً من عدم أو أبدع كائناً حياً من تراب..

يقول د/ القرضاوي: «وقد حدث أن أحدهم نحت تمثالا مكث فى نحته دهرا طويلا فلما أكمله وقف أمامه معجبا مبهورا أمام تقاسيمه وتقاطيعه حتى إنه خاطبه فى نشوة من الغرور والفخر قائلا: تكلم.. تكلم»[4].

ولهذا قال الرسول الكريم «**إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة..يقال لهم أحيوا ما خلقتم**» «متفق عليه» - وفى الحديث - عن الله تعالى: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة..فيخلقوا شعيرة**» متفق عليه وقوله «ذهب يخلق كخلقى» يدل على القصد والتعمد..

ولعل هذا هو سر التحدى الإلهى لهم يوم القيامة، حيث يقال لهم: «**أحيوا ما خلقتم**» وهذا أمر تعجيزى كما يقول الأصوليون...

---

(١) فتح البارى بشرح الإمام ابن حجر(١٠/ ٤٠٠) والنووى على مسلم(١٤/ ٨٧).
(٢) فتح البارى ص٣٩٨. (٣) النووى على مسلم(١٤/ ٨١). (٤) الحلال والحرام ص٩٩.

رابعا:ـ ثم إن الذين ينطلقون فى هذا الفن إلى مداه لا يقفون عند حد فيصورون النساء عاريات أو شبه عاريات ويصورون مظاهر الوثنية وشعائر الأديان الأخرى كالوثن وغير ذلك مما لا يجوز أن يقبله المسلم وأبرز مثل لذلك عمل الصليب عند النصارى فما كان من الصور مشتملا على الصليب فهو حرام بلا ريب فيجب على المسلم نقضه وإزالته... فقد روى البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها(أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن يترك في بيته شيئا فيه تصاليب إلا نقضه).

خامسا: وفضلا عن ذلك فقد كانت(التماثيل) ـ ولا تزال ـ من مظاهر أرباب الترف والتنعم يملأون بها قصورهم ويزينون ويتفنون فى صنعها من معادن مختلفة وليس بعيدا على دين يحارب الترف فى كل مظاهره وألوانه ـ من ذهب وفضة وحرير ـ أن يحرم كذلك التماثيل فى بيت المسلم وهذا ما يظهر من كراهية النبى لبعض الصور فى بيته، فقد روت عائشة أنه عليه الصلاة والسلام خرج فى غزوة فلما قدم ورأى النمط الذى سترته على الباب جذبه حتى هتكه ثم قال: «إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين»... والنهى بهذه الصفة أن الله لم يأمرنا.. يقتضى أنه ليس بواجب ولا مندوب فهو لا يدل على أكثر من الكراهية التهذيبية كما قال الإمام النووى[1] ولكن بيت النبوة ينبغى أن يكون أسوة ومثلا للناس فى الترفع على زخارف الدنيا وزينتها.. يؤكد هذا حديث عائشة الآخر: قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال لى رسول الله: «حولى هذا فإنى كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا»[2].

ومثله: ما رواه القاسم بن محمد عنها رضى الله عنها: أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة فكان النبى ﷺ يصلى إليه فقال:ـ «أخريه عنى» قالت فأخرته فجعلته وسائد.. وفى رواية عند غير مسلم:«أخريه عنى، فإن تصاويره تعرض لى فى صلاتى»[3].

---

(١) النووى على مسلم(٨٦/١٤، ٨٧).

(٢) رواه مسلم فى باب تحريم الصور(٨٧/١٤).

(٣) المرجع نفسه(٩٨/١٤).

فالمسلمون فى فجر الإسلام كانوا بحكم بيئتهم وطبيعة العرب البدوية لا يعرفون كثيراً من ضروب الترف والزينة والبذخ واللذة. . .وأن العرب فى الجاهلية لم يقبلوا على الصور والتماثيل؛ لأن معظمهم لم يعرفها كما يقول الأستاذ محمد كرد على فى خطط الشام[1] ويقول: إن التصوير عارض على الملة غير مغروس فى فطرتها. .وحسبنا أن كلمتي(وثن وصنم) من أصل غير عربى فلم يبق للعربية من الكلمات الثلاث المستعملة فى القرآن لهذا المعنى إلا كلمة تمثال، فالتصوير وسائر الفنون من أنواع النشاط الكمالية التى لم يجد العرب حيوية فيها ـ وقتئذ ـ والتي يستطيع الإنسان العادى أن يعيش بدونها والبعض يرى فيها مضيعة للوقت . . . ولكنا نظن فى هذا الصدد أن القائمين على أمر الجماعة الإسلامية الأولى لم يلزموا الخشونة والبساطة عن غريزة أو عجز وإنما كان كذلك منهم انصرافا عن الدنيا وسعياً إلى مرضاة الله. .وقد أشار إلى ذلك ابن الطقطقى فى الكلام على دولة الخلفاء الراشدين(وأنهم كانوا يفعلون ذلك مواساة لفقراء رعيتهم وزجرا للنفس عن شهواتها ورياضة لها لتعتاد أفضل حالاتها)[2].

فهذا كله من زيادة الترف والتنعم وهو من وادى الكراهية لا من وادى التحريم ولكن النووى قال: هذا محمول على أنه قبل تحريم اتخاذ ما فيه صورة فلهذا كان يدخل ويراه ولا ينكره[3].

يقول د/ القرضاوى[4] ومعنى هذا أنه يرى الأحاديث التى ظاهرها التحريم ناسخة لهذا الحديث وما فى معناه ولكن النسخ لا يثبت بمجرد الاحتمال، فإثبات مثل هذا النسخ يستلزم أمرين:ـ

أولهما:ـ التحقق من تعارض النصين بحيث لا يمكن الجمع بينهما، مع أن الجمع ممكن بحمل أحاديث التحريم على قصدها معناها فى خلق الله أو بقصرها على الجسم(ماله ظل).

---

(١)المرجع نفسه(٤/ ١١٨).

(٢) العربى فى الأداب السلطانية(٥٢, ٥٣).

(٣) النووى على مسلم(١٤/ ٨٧).

(٤) الإسلام والفن ص١٠٠.

وثانيهما:ـ معرفة المتأخر من النصين، ولا دليل على أن التحريم هو المتأخر بل الذى رآه الإمام الطحاوي فى(مشكل الآثار) هو العكس فقد شدد الإسلام فى شأن الصورة فى أول الأمر لقرب عهده بالوثنية ثم رخص فى المسطحات من الصور؛ أى ما كان رقما فى ثوب ونحوه وهذا واضح في حديث عائشة الخاص بالنمرقة (الوسادة الصغيرة) التي اشترتها وفيها تصاوير فقام على الباب ولم يدخل وعرفت عائشة فى وجهه الكراهية. .وقال عليه السلام فى نهاية الحديث: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم» . .وقال عليه الصلاة والسلام: «إن البيت الذي فيه الصورة لا تدخله الملائكة» متفق عليه .

والملائكة هم مظهر رحمة الله تعالى ورضاه وبركته فإذا منعت من الدخول فى بيت فمعناه أنه محروم من الرحمة والرضا والبركة. . .

ويستدل المتشددون فى تحريم التصوير بالأحاديث السابقة وغيرها.

*** الأدلة القاطعة على تحريم التصوير:ـ**

يظهر لنا من النصوص النبوية السابقة وغيرها تحريم التصوير: والآتى سند هذه الأحاديث. . .

١ـ روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله» . .وفى رواية عن ابن مسعود «أن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون»[(١)].

٢ـ روى البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» لفظ البخارى[(٢)].

٣ـ روى البخارى ومسلم وأحمد عن أبى زرعة قال: دخلت مع أبى هريرة دار مروان بن الحكم فرأى فيها تصاوير وهى تبنى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو فليخلقوا حبة أو فليخلقوا شعيرة» لفظ مسلم[(٣)].

(١) فتح (١٠/ ٣٨٢) نووى على مسلم(١٤/ ٩٢، ٩٣)
(٢) فتح(١٠/ ٣٨٢، ٣٨٣) نووى على مسلم(١٤/ ٩٢)
(٣) فتح (١٠/ ٣٨٥) نووى على مسلم(١٤/ ٩٤)

٤- روى البخارى ومسلم والنسائى عن ابن عباس - رضى الله عنه - أن رجلا قال له: إنى أصور هذه الصور فأفتنى فيها فقال له: إدن منى فدنا. ثم قال: ادن منى فدنا حتى وضع يده على رأسه وقال أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول: كل مصوّر فى النار بجعل له بكل صورة صوّرها نفسا يعذب بها فى جهنم» قال ابن عباس: فإن كنت لابد فاعلا فصور الشجر ومالا روح فيه.. وفى رواية أخرى عنه... سمعته يقول: من صوّر صورة فإن الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » (متفق عليه) ثم قال له ابن عباس: إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر كل شيء ليس فيه روح... أخرجه مسلم عن سعيد بن أبى الحسن[1].

٥- روى الشيخان وأصحاب السنن عن عائشة رضى الله عنها: أنها اشترت نمرقه(وسائد صغيرة) فيها تصاوير فلما رآها النبى ﷺ قام على الباب فلم يدخل قالت فعرفت فى وجهه الكراهية فقلت يا رسول الله. أتوب إلى الله ورسوله.. ما أذنبت.. قال: «ما بال هذه النمرقة؟» فقلت: اشتريتها لتقعد عليها وتتوسدها فقال: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم».

* وقال: «إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة»[2] وراد مسلم فى رواية ابن الماجشون قالت:- فأخذته فجعلته مرفقين فكان يرتفق بهما فى البيت[3].

٦- روى مسلم فى صحيحه عن أبى الهياج الأسدى قال: قال لى علىّ رضى الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ: «ألا تدعَ صورة إلا طمستها ولا قبرا مُشْرَفا إلا سويته»[4].

٧- روى الستة عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرج النبى عليه الصلاة والسلام فى غزاه فأخذت نمطا فسترته على الباب فلما قدم ورأى النمط عرفت الكراهية فى وجهه فجذبه حتى هتكه وقال: «إن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة

(١) نووى على مسلم(١٤/٩٣).
(٢) فتح(١٠/٣٨٩) نووى على مسلم(١٤/٨٩, ٩٠).
(٣) نووى على مسلم(١٤/١٩).
(٤) نووى على مسلم(٧/٣٦).

والطين» قالت عائشة رضى الله عنها: فقطعت منه وسادتين وحشوتهما ليفا فلم يعب ذلك عليّ.

٨ـ روى الشيخان والنسائى عن عائشة رضى الله عنها:ـ قالت لما اشتكى النبى ﷺ ذكر بعض نسائه كنيسةً يقال لها(مارية) وكانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها لتصاوير فيها. فرفع ﷺ رأسه فقال: «**أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك أشرار خلق الله**».

٩ـ وروى البخارى فى الصحيح عن أبى جحيفة رضى الله عنه أن النبى ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغى ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور[١].

١٠ـ وَخَرَّج الترمذى فى جامعه وقال: حسن صحيح عن أبى الزبير رضى الله عنه عن جابر رضى الله عنه قال: **أنهى رسول الله ﷺ عن الصورة فى** البيت ونهى أن يُصنع ذلك[٢].

١١ـ وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**» متفق عليه واللفظ لمسلم[٣].

١٢ـ وخرج أبو داود بسند جيد عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ أمر عمر ابن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها فلم يدخلها النبى ﷺ حتى محيت كل صورة فيها[٤].

١٣ـ وخرج أبو داود الطيالسى فى مسنده عن أسامة قال: دخلت على رسول الله ﷺ فى الكعبة ورأى صوراً فدعى بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها ويقول: «**قاتل الله قوماً يصورون مالا يخلقون**» قال الحافظ فى إسناده: جيد[٥].

---

(١) فتح (٤/٤٢٦, ١٠/٣٩٣).
(٢) رواه احمد (٣/٣٥٣، ٤٨٤) والترمذى (تحفه ٥/٤٢٧).
(٣) فتح(١٠/ ٣٨٠) ونووى علىّ مسلم(١٤/٨٤)
(٤) رواه أحمد(٣/ ٣٣٥) وأبو داود في عون المعبود(١/١١٢١).
(٥) السيوطى الجامع الصغير(٥٩٩٦).

قال: وخرّج عمر بن شبة من طريق عبد الرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أسامة أن النبى ﷺ دخل الكعبة فأمرنى فأتيته بماء فى دلو فجعل يبل الثوب ويضرب به الصور ويقول: «قاتل الله قوم يصورون مالا يخلقون». رواه ابن أبى شيبة فى المصنف[1].

١٤- وخرج البخارى فى صحيحه عن عائشة أن النبى ﷺ لم يكن يترك فى بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه[2].

١٥- وفى الصحيحين عن بُسر بن سعيد: عن زيد بن خالد عن أبى طلحة: أن النبى ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة» قال بسر ثم أشتكى زيد فعدناه - فإذا على بابه ستر فيه صورة فقلت لعبيد الله الخولانى - ربيب ميمونة زوج النبى ﷺ ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله ألم تسمعه حين قال إلا رقماً فى ثوب وفى رواية لهما من طريق عمرو بن الحارث: عن بكير الأشج عن بسر: فقلت لعبيد الله الخولانى: ألم يحدثنا فى التصاوير؟ قال: إنه قال إلا رقما فى ثوب ألم تسمعه؟ قلت: لا: قال بلى قد ذكر ذلك[3].

١٦- وفى المسند وسنن النسائى عن عبيد الله بن عبد الله: أنه دخل على أبى طلحة الأنصارى يعوده فوجد عنده سهل بن حنيف فأمر أبو طلحة إنساناً ينزع غطاء(بساط له خمل) تحته فقال له سهل لم تنزع؟ فقال: لأنه فيه تصاوير وقد قال فيه الرسول ما قد علمت. .قال: ألم يقل إلا رقماً فى ثوب؟ قال بلى ولكنه أطيب لنفسى رواه أحمد وسنده جيد[4]،وأخرجه الترمذى بهذا اللفظ وقال حسن صحيح.

١٧- وخرج أبو داود والترمذى والنسائى بإسناد جيد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله: ﷺ «آتانى جبريل..فقال لى: أتيتك البارحة فلم يمنعنى أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل وكان فى البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان فى

(١) (٨/ ٤٨٤).

(٢) فتح(١٠/ ٣٨٥).

(٣) فتح(١٠/ ٣٨٩) ونووى على مسلم(١٤/ ٨٥).

(٤) الفتح الربانى (١٧/ ٢٨٧).

البيت كلب فَمُرْ برأس التمثال الذى فى البيت يقطع فيسير كهيئة الشجرة ومُر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن ومر بالكلب فيخرج» ففعل رسول الله ﷺ وإذ بالكلب لحسن أو لحسين كان تحت نضد لهم فأمر به فأخرج هذا اللفظ أبو داود[1] والترمذى، وقال هذا حديث صحيح. . .أما لفظ النسائى: استأذن جبريل على النبى ﷺ فقال: «ادخل فقال: كيف أدخل وفى بيتك ستر فيه تصاوير؟ فإما أن تقطع رءوسها أو تجعله بساطا يوطأ فإنا معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه تصاوير»[2].

وفى الباب كثير من الأحاديث غير ما ذكر.

نظرات فى فقه هذه الأحاديث ومناقشتها

اختلفت آراء الفقهاء فى قضية التصوير فى ضوء هذه الأحاديث فقد رواها جمع من الصحابة منهم ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وعائشة وعلى وأبوهريرة وأبو طلحة وكلها فى الصحاح وكان من أشدهم فى ذلك الإمام النووى الذى حرم تصوير كل ما فيه روح من إنسان أو حيوان مجسماً(له ظل) أو غير مجسم ممتهنا أو غير ممتهن ولكنه أجاز استعمال ما يمتهن وإن كان تصويره حرام كالمصور فى البسط والوسائد ونحوها .

وسار على هذا النحو سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز من المحدثين الذي أفتى بأن التصوير كله حرام وهو من الكبائر سواء كان للصورة ظل أم لا وسواء كان التصوير فى حائط أو فلس أو ستر أو قميص أو إناء أو مرآة أو قرطاس أو غير ذلك ويعلل ذلك من استقرائه للأحاديث النبوية التى أطلق الرسول فيها ذلك ولم يستثن شيئاً. .ويرى أن الاستثناء فى حديث أبى طلحة وسهل بن حنيف « إلا رقما فى ثوب» أنه استثناء من الصور المانعة من دخول الملائكة لا من التصوير ويرى أنه لا يجوز حمل الاستثناء على الصورة فى الثوب المعلق أو المنصوب على جدار أو نحو ذلك؛ لأن أحاديث عائشة صريحة فى منع مثل هذا الستر أو وجوب إزالته أو هتكه كما تقدم ذكره بألفاظها. .وحديث أبى هريرة صريح فى أن مثل

(١) عون المعبود(١١/ ٢١٣) والتحفة(٨/ ٩٠).
(٢)النسائى(٨/ ٢١٦).

فهذا الستر مانع من دخول الملائكة حتى يبسط أو يمتهن أو يقطع رأس التمثال الذي فيه فيكون كهيئة الشجرة..ويقول: (وأحاديثه ﷺ لا تتناقض بل يصدق بعضها بعضاً ومهما أمكن الجمع بينها بوجه مناسب ليس فيه تعسف وجب وقدم على مسلكي الترجيح والنسخ كما هو مقرر في علم الأصول ومصطلح الحديث..وقد أمكن الجمع بينها كما ذكرنا..وقد رجح الحافظ في الفتح الجمع بين الأحاديث بما ذكرته آنفا..والخطابي قال: والصورة التي لا تدخل الملائكة في البيت الذي هي فيه ما يحرم اقتنائه وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن وإنما عَظُمَتْ عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله ولأن النظر إليها يفتن والنفوس إليها تميل)[1].

ويقول: (وأما تصوير صورة الشجرة ورحال الإبل وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام..وأما اتخاذ المُصور الذي فيه صورة حيوان فإن كان معلقاً على حائط أو ملبوساً أو عمامة أو نحو ذلك مما يعد ممتهناً فليس بحرام..ويقول هذا تلخيص مذهبنا في المسألة وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم.

ولكن بعض فقهاء السلف قصر التحريم على المجسم(الذي له ظل) وهو ما نطلق عليه عرفاً التماثيل فهي أوغل في مشابهة الوثنية وهي التي يظهر فيها مضاهاة خلق الله لأن خلق الله وتصويره مجسم﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[2] وفي الحديث القدسي« ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» وخلق الله تعالى مجسم وهو الذي يقبل نفخ الروح فيه إذ المسطح ليس قابلا لذلك..ولأنه أدخل في الترف والسرف ولا سيما ما كان من المعادن النفيسة.

ويعلق ابن باز على مذهب بعض السلف هذا بقوله:(وهذا مذهب باطل) فإن الستر الذي أنكر النبي ﷺ الصورة فيه لا يشك أحد أنه مذموم وليس لصورته ظل مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة على رأي النووي وتعقبه ابن حجر لأنه مذهب القاسم بن محمد ولعله أخذ بعموم قوله ﷺ :«إلا رقما في ثوب» ويقول ويؤيد التعميم في ماله ظل وما لا ظل له ما أخرجه أحمد من حديث علي

(١) الجواب المفيد في حكم التصوير لابن باز ص١٨ ـ ٢٠.

(٢) آل عمران : آية ٦ .

رضى الله عنه قال: أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره ولا صورة إلا لطخها أى طمسها. . الحديث. . . وفيه «من عاد إلي صنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»(1).

ويقول ابن باز: فإن قيل: قد تقدم في حديث أبى طلحة: أن بُسر بن سعيد الراوى عم زيد قال: ثم أشتكي زيد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة. . . فظاهر هذا يدل على أن زيداً يرى جواز تعليق الستور التي فيها الصور. . . فالجواب: أن أحاديث عائشة المتقدمة وما جاء فى معناها دالة على تحريم تعليق الستور التى فيها صور وعلى وجوب هتكها وعلى أنها تمنع دخول الملائكة وإذا صحت الأحاديث عن رسول الله لم تجز معارضتها بقول أحد من الناس ولا فعله كائنا من كان ووجب علي المؤمن اتباعُها والتمسك بما دلت عليه ورفض ما خالفه ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(2).

ويقول: ولعل زيداً رضى الله عنه لم يعلم الصورة التى فى الستر المذكور أو علمها ولكن استنجازها لأنه لم تبلغه الأحاديثُ الدالةُ على تحريم تعليق الستور التى فيها الصور فأخذ بظاهر قول النبى: (إلا رقما فى الثوب) فيكون معذوراً لعدم علمه بها، وأما من علم الأحاديث الصحيحة الدالة علي تحريم نصب الستور التي فيها الصور فلا عذر له في مخالفتها. . . ويستدل بالحديث المذكور لأبى هريرة دلالة على أن الصورة إذا قطع رأسها جاز تركها فى البيت لأنها تكون كهيئة الشجرة وذلك يدل على أن تصوير الشجر ونحوها مما لا روح فيه جائز كما تقدم ذلك صريحاً من رواية الشيخين عن ابن عباس. . ويستدل بالحديث المذكور أيضاً علي أن قطع غير الرأس كقطع نصفها الأسفل ونحوه لا يكفى ولا يبيح استعمالها ولا يزول به المانع من دخول الملائكة إلا ما امتهن فيها أو قطع رأسه، فمن ادعى مسوغا لبقاء الصورة فى البيت غير هذين الأمرين فعليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ(3).

وجاء فى مجلة البحوث الفقهية المعاصرة(4) (الأشكال والمجسمات ورد فيها

(1) كلام الحافظ من فتح البارى (10/384).
(2) الحشر(7).
(3) الجواب المفيد لابن باز ص23 ـ 28.
(4) السنة الخامسة العدد(19) ص227.

أحاديث تدل على تحريمها تصويراً واقتناءً للزينة أو التجارة، ومن ذلك ما رواه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[1].

ومن ذلك أيضاً ما رواه الأعمش عن مسلم قال: كنا مع مسروق فى دار يسار ابن نمير فرأى فى صنعته تماثيل فقال: سمعت عبد الله قال: سمعتُ النبى ﷺ يقول: «**إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون**». وقد ورد هذا التحريم فى أحاديث كثيرة وإن اختلفت روايتها إلا أنها تتفق فى معنى واحد هو تحريم التماثيل وكل الصور المجسمة. .وقد اتفق فيها المذاهب الأربعة على تحريم هذه الصور.

ويرد الدكتور القرضاوى[2] أن الاستثناء فى حديث بسر عن طلحة «**إلا رقماً في ثوب**» أكده ما رواه الترمذى أن سهل بن حنيف وافق أبا طلحة علي هذا الاستثناء «**إلا رقماً فى ثوب..**» وتأويل هذا بأن المراد به ما كان لغير ذى روح يعارضه حديث تمثال الطائر الذى كان فى بيت السيدة عائشة وقول النبى لها «**حولى هذا فإنى كلما رأيته ذكرت الدنيا**» أو: «**فإن تصاويره تعرض لى فى صلاتى**» فالأرجح قصر التحريم على الجسم. .

وصور اللوحات المسطحة على الورق أو الخشب أو نحوها(الرسم) فاقصى ما فيها الكراهة التنزيهية كما ذكر الإمام الخطابى إلا ما كان فيه غلو وإسراف كل الصور التي تباع بالملايين ونحوها.

ويستثنى من المجسمات المحرمة: لعب الأطفال من الدمىّ والعرائس والقطط والكلاب والقرود ونحوها مما يتلهى به الأطفال لأنه مثله لا يظهر فيه قصد التعظيم والأطفال يعبثون بها. . .فقد ثبت فى الصحيحين عن السيدة عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبى ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معى فكان رسول الله إذا دخل يتقمعن(يختفين) منه فيسر بهن إلىّ يلعبن معى[3].

قال الحافظ فى الفتح: استدل بهذا الحديث على جواز صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور وبه جزم

(١) الفتح(١٠/٣٩٦) والنووى على مسلم(١٤/ ٩٠).

(٢) الإسلام والفن ص١٠٧.

(٣) الفتح(١٠/٥٢٦).

عياض ونقله عن الجمهور أنهم أجازوا بيع لعب البنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن . .

وقد ترجم ابن حبان(الإباحية لصغار النساء اللعب باللعب)[1].

وترجم له النسائي(إباحة الرجل لزوجته اللعب بالبنات) فلم يقيد بالصغر . . . وفيه نظر . .غير أن ابن باز يقول وذهب بعضهم إلى أن هذا الحديث منسوخ وإليه قال ابن بطال، وحكى عن أبى زيد عن مالك: أنه كره أن يشترى الرجل لبنته الصورة ومن ثم رجح الراوى أنه منسوخ . . . ويستدل على ذلك بقول البيهقى. . . بعد تخريج الأحاديث ـ ثبت أن النهى عن اتخاذ الصور فيحمل على الرخصة لعائشة في ذلك قبل التحريم. . . وبه جزم ابن الجوزى إلى أن قال. . . وأخرج أبو داود والنسائى من وجه آخر عن عائشة قالت: قدم رسول الله من غزوة تبوك أو خيبر . .فذكر الحديث فى هتك الستر الذي نصبته علي بابها. .قالت: فكشف ناحية الستر علي بنات لعائشة فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت بناتى. . قالت. . .ورأى فيها فرساً مربوطاً له جناحان فقال:«ما هذا؟» قلت: فرس له جناحان. .قلت: ألم تسمع أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة؟ فضحك ـ إلى أن قال. .قال الخطابي: فى هذا الحديث أن اللعب بالبنات ليس كالتلهى بسائر الصور التى جاء فيها الوعيد. .وأما رخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغة. . .قال الحافظ: والجزم به نظر لكنه تحميل لأن عائشة كانت فى غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكملتها أو جاوزتها. . .وأما فى غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعا فيترجح رواية من قال: خيبر وجمع بما قال الخطابى لأن ذلك أولى من التعارض .

ثم يقول ابن باز: إذا عرفت ما ذكره(الحافظ رحمه الله)، فالأحوط ترك اتخاذ اللعب المصورة لأن فى حلها شك لاحتمال أن يكون إقرار النبى ﷺ لعائشة على اتخاذ اللعب المصور قبل الأمر بطمس الصور فيكون ذلك منسوخاً بالأحاديث التى فيها الأمر بموجب الصور وطمسها إلا ما قطع رأسه أو كان ممتهناً كما ذهب إليه البيهقى وابن الجوزى ومال إليه ابن بطال، ويحتمل أنها مخصوصته

(١) صحيح ابن حبان(٧/٥٤٣).

من النهى كما قال الجمهور لمصلحة التمرين؛ ولأن في لعب البنات بها نوع امتهان ومع الاحتمال لمادة بقاء الصور المجسدة وعملاً بقوله ﷺ : «دع ما يريبك إلى ما لايريبك». «والحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه» والله أعلم[1].

غير أن القرضاوى يستدل من حديث بنات عائشة بالإباحة ويستدل على ذلك بقول الشوكانى فى هذا الحديث دليل على أنه يجوز تمكين الصغار باللعب بالتماثيل. . . ويقول قال القاضى عياض إن اللعب بالبنات الصغار رخصة. .

وجاء فى المجلة الفقهية[2] واستثنى المالكية لعب الأطفال مستدلا بحديث عائشة السابق. . كما استثنوا تصوير بعض أعضاء الحيوان وقد أورد صاحب المعيار المعرب[3] أن أبا إسحاق الشاطبى سئل عن الأيدى التى يصنعها الشماعون من الشمع والفانة وما يصنع من العجين وهل ذلك جائز أو داخل تحت الوعيد الذى ورد فى المصورين فأجاب إن ظاهر كلام الشرح للحديث أو الوعيد المذكور فى الأحاديث إنما هو فيما كان تصويره كاملا وأن تصوير بعض الأعضاء على انفراد ليس بداخل تحت الوعيد المذكور حتي أن عياضاً حكى عن بعض العلماء أن رأس الصورة إذا قطع جاز الانتفاع ببقيتها.

ويقول د/ القرضاوى ومثل ذلك: التماثيل والعرائس التى تصنع من الحلوى وتباع فى بعض المناسبات ثم تؤكل. . كما يستثنى من الحظر التماثيل التى تشوه بقطع رأسها أو نحو ذلك منها. . كما جاء في الحديث أن جبريل قال للرسول ﷺ : «مر برأس التمثال فليقطع حتى يصير كهيئة الشجرة».

ويقول فى الحلال والحرام[4]:(وقد استدل فريق من العلماء بهذا الحديث على أن المحرم من الصور هو ما كان كاملا، أما مافقد عضواً لا يمكنه الحياة بدونه فهو مباح وأن العبرة فى حديث جبريل هو تشويهها لأن التشويه ضياع معالم الجمال والفتنة بحيث لا يبقى نظرها موجباً بتعظيمها بعد نقص هذا الجزء منها. .

---

(١) الجواب المفيد لابن باز ص٣١ ـ ٣٦.
(٢) مرجع سابق العدد(١٩).
(٣) جـ ١١ ص١١٠.
(٤) ص١٠٣.

وقد جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للعلامة عبد الرحمن الجزيرى[1] ما يؤكد ذلك:..

(..والمالكية قالوا: يشترط فى الصورة المحرمة أن تكون كاملة الأعضاء الظاهرة التى لا يمكن أن يعيش الحيوان أو الإنسان بدونها فإن ثقبت بطنها أو رأسها أو نحو ذلك فإنها لا تحرم..).

(..والشافعية قالوا: إن كان مجسداً فإنه يحل التفرج عليه إذا كان على هيئة لا يعيش بها كأن كان مقطوع الرأس أو الوسط أو ببطنه ثقب ومن هذا يعلم جواز التفرج على خيال الظل ـ السينما ـ إذا لم تشتمل على محرم آخر لأنها صورة ناقصة..).

(.. والحنابلة قالوا: إذا كان مُجسدًا ولكن أُذِيل منه مالا تبقى الحياة معه كالرأس ونحوها فإنه مباح...).

(..والحنفية قالوا: يجوز إذا كانت الصورة ناقصة عضواً لا يمكن أن يعيش بدونه كالرأس ونحوها..).

ويقول فى كتابه: الإسلام والفن[2] :(وأما التماثيل النصفية التى تنصب فى الميادين ونحوها للملوك والزعماء فلا يخرجها من دائرة الحظر لأنها لا تزال تعظم..وكم من تماثيل قائمة لا يعرف الناس شيئاً عن أصحابها كتمثال لاظوغلى الموجود فى قلب القاهرة وكم من تماثيل يمر الناس عليها فيلعنون أصحابها).

ويقول د/ القرضاوى فى كتابه الحلال والحرام[3]: (ولا ريب أننا إذا تأملنا وأنصفنا نحكم بأن التماثيل النصفية التى تقام فى الميادين تخليداً لبعض الملوك والعظماء أشد فى الحرمة من التماثيل الصغيرة الكاملة التى تتخذ للزينة فى البيوت).

وجاء فى مجلة البحوث الفقهية المعاصرة[4] لا بأس من مشاهدة الطلاب

---

(١) وقد نص فى مقدمة كتابه أنه يذكر الرأى الراجح المعتمد عند الأئمة، أما غير الراجح فإن الغالب عدم الإشارة إليه ـ الجزء الثانى كتاب الحظر والإباحة.

(٢) ص١٠٧، ١٠٨.

(٣) ص١٠٣.

(٤) العدد ١٩ ص٢٢٥، ٢٢٦.

للأفلام والبرامج التعليمية كفيلم عن حياة الأسماك وطريقة تعايشها وتناسلها أو فيلم عن الحيوانات في الغابات أو الصحارى أو عن حياة الطيور أو الحشرات أو نحو ذلك فهذا مما لا بأس به لأن هذه الصور مجرد علوم يراها الطالب للاستفادة العلمية أو نحو ذلك ولا شك أن معرفتهم لعلوم هذه المخلوقات وما أودع الله فيها من الأسرار يعتبر من الأمور العلمية التي تدخل في إطار التفكير في مخلوقات الله وعظيم صنعه كما أُمِرَ به المسلمُ.

والضابط الشرعي في سائر الأفلام والبرامج الضوئية ألا تكونَ الصور فيها من المحرمات والفواحش وألا تكون هذه الصور مما يثير الغرائز ويدعو لأي نوع من أنواع التبذل والانحلال والتأثير على الأخلاق بأي وجه من الوجوه فإذا كان في هذه الأفلام شيء من ذلك حَرُمَتْ وحرم النظر إليها وتعلمها وتعليمها.

ومن الصور والرسومات واللوحات الفنية التي ترسم على المسطحات كالورق والنبات والستور والنقود والجدران البسط ونحوها ونقصد بها في هذا الوجه ما ليس له ظل... فنقول: المجلة ففيها أقوال كثيرة قد استدل من قال بجوازها بعدد من الأدلة: منها ما رواه بُسر عن أبي طلحة وعيادة زيد والاستثناء الذي ورد في الحديث «إلا رقما في ثوب»[1].

كما استدل من قال بالإباحة بتفسير جملة: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» الواردة في الحديث السابق بأنه يحتمل منها أن يقصر على ماله ظل من جهة قوله «كخلقي» الواردة في الحديث السابق فإن خلقه الذي اخترعه ليس صورة حائط بل هو خلق تام ... وبهذا قال الإمام ابن حجر ثم أضاف لكن بقيـة الحديث تقتضي تعميم الزجر عن تصوير كل شيء وهي قوله : (فليخلقوا حبـة ... وليخلقوا ذرة) ويجاب عن ذلك بأن المراد إيجاد حبة على الحقيقة لا تصويرها[2] ... وفي شرحه لقوله فيه(تماثيل) قال وأستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ الصور إذا كانت لا ظل لها وهي مع ذلك مما يوطأ ويداس أو يمتهن بالاستعمال كالمخاد والوسائد[3].

وقد لخص الإمام أبو بكر بن العربي أقوال الفقهاء في اتخاذ الصور أنها إذا

(1) فتح الباري ص٤٠٣ (2) نفس المرجع ٣٣٩. (3) نفس المرجع ٤٠١

كانت ذا أجسام حرم بالإجماع، أما إذا كانت رقماً ففيها أربعة أقوال:ـ

القـــول الأول: الجواز مطلقا على ظاهر قوله فى الحديث إلا رقماً فى ثوب.

والقول الثانى : المنع مطلقا حتى الرقم، **والقول الثالث**:ـ إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وإن قطعت الرأس أوتفرقت الأجزاء جاز. . . قال وهذا هو الأصح.

والقول الرابع: إن كان مما يمتهن جاز وإن كان معلقاً لم يجز.

ومن هذا يتبين ترجيح القول بأن القول والرسومات والصور غير المجسمة لا تدخل فى النهى الوارد ذكره فى الأحاديث السابقة خاصة وأن رسول الله ﷺ قد استثنى الرقم فى الثوب وهو بمعنى الصورة أو الرسم إضافة إلى المضاهاة لخلق الله منتفية فى الرسوم والصورة غير المجسمة لكونها ظلا لشىء موجود وليست تجسيداً أو تمثيلاً له مثلها فى ذلك مثل ظل الإنسان فى الماء أو فى الشمس أو فى المرآة، ولا شك أن هذه الصور والرسومات أصبحت من مقتضيات العصر وضروراته للتعليم أو الأمن أو نحو ذلك من المجالات الحيوية. . .

والضابط الشرعى فى جوازها مثل ما سبق قوله بألا تكون من المحرمات أو تدعو إلى الفحشاء أو التحلل من القيم والأخلاق أو إثارة الغرائز أو نحو ذلك مما ينافى سلوك المسلم وما ينبغى أن يتصف به فى حياته من المثل والأخلاق.

وقد أجاب د/ القرضاوى على السؤال: ما الحكم فى الصور واللوحات الفنية التى ترسم على المسطحات بقوله والجواب: أن حكمها لا يتبين إلا إذا نظرنا فى الصورة نفسها لأى شىء هى؟ وفى وضعها أين توضع وكيف تستعمل؟ وفى قصد مصورها ماذا يقصد من تصويرها؟

فإن كانت الصورة الفنية لما يعبد من دون الله كالبقرة عند الهندوس. . وما شابه ذلك فإن من صورها لهذا الغرض وبهذا القصد لا يكون إلا كافراً ناشراً للكفر والضلال، وفى مثله جاء الوعيد الشديد: **«إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»** [1].

---

(١) أخرجه مسلم.

قال الطبرى: (إن المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله وهو عارف بذلك قاصداً له فإنه يكفر بذلك، وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصيا بتصويره فقط)، ومثل ذلك من علق هذه الصور تقديساً لها فهذا عمل لا يصدر من مسلم إلا إذا طرح الإسلام وراء ظهره... وقريب من ذلك من صور ما لا يعبد قاصداً بتصويره مضاهاة خلق الله أى مدعياً أن يخلق ويبدع كما يخلق الله جل وعلا - وهذا أمر يتعلق بنية المصور وحده فالتعبير بقوله فى الحديث القدسى «ذهب يخلق كخلقى» يدل على القصد إلى المضاهاة ومنازعة الألوهية خصائصها من الخلق والإبداع.. ومما يحرم تصويره واقتناءه الصور التى يقدس أصحابها تقديساً دينيًا كصور الملائكة والأنبياء والصالحين مثل جبريل ومريم وإبراهيم، وهذه الصور يروج لها من أهل الكتاب وقد قلدهم بعض المبتدعة من المسلمين فصوروا عليًا وفاطمة وغيرهما ... فقد ذكر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة أن بعض الملوك كانوا يصورون صورة الإمام على بن أبى طالب على سيوفهم كأنهم كانوا يتفاءلون به النصر والظفر فكانت صورته على سيف عضد الدولة وسيف أبيه ركن الدولة وعلى سيف ابن أرسلان وسيف ابنه ملك شاه. أو تصوير من يعظمون تعظيماً دنيويًا كصور الملوك والزعماء والفنانين والمشايخ فى عصرنا... وأما ما عدا ذلك من الصور واللوحات فإن كانت لغير ذى روح كصور النبات والشجر والبحار والسفن والجبال ونحوها من المناظر الطبيعية - لنبات أو جماد - فلا جناح على صورها أو اقتنائها وهذا لا جدال فيه .

وإن كانت الصورة لذى روح وليس فيها ما تقدم من المحذورات، أى لم تكن مما يقدس ويعظم ولم يقصد فيها مضاهاة خلق الله فالذى أراه أنها لا تحرم أيضا يؤيد ذلك ما رواه بُسر بن سعيد عن أبى طلحة وما رواه الترمذى بسنده عن عتبة الذى دخل على أبى طلحة الأنصارى يعوده فوجد عنده سيل بن حنيف ونزع غطا تحته .

ويرى القرضاوى أن الصور التى ترسم فى لوحات أو تنقش على الثياب والبسط والجدران ونحوها فليس هناك نص صحيح صريح سليم من المعارضة يدل على حرمتها، والأحاديث تظهر أن النبى ﷺ أعلن كراهية فقط لهذا النوع من

التصاوير لما فيه من مشابهته المترفين، ويذكر حديث عائشة عندما رأى النبى النمط الذى سترت به الباب فجدبه حتى هتكه وقال إن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين . . ويقول لا يؤخذ من هذا الحديث أكثر من الكراهية التنزيهية لكسوة الحيطان بالستائر ذات التصاوير ويقول: ومثل ما رواه مسلم أيضا عن عائشة قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال لى الرسول: حولى هذا فإنى كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا . . فلم يأمرها بقطعه وإنما أمرها بتحويله من مكانه فى مواجهة الداخل إلى البيت ولا سيما أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى السنن والنوافل كلها فى البيت. . . كذلك أقر عليه السلام وجود ستر فى بيته فيه تمثال طائر ووجود قرام فيه تصاوير ويقول: ومن أجل هذه الأحاديث وأمثالها قال بعض السلف. إنما ينهى عما كان له ظل (أى المجسم) ولا بأس بالصور التى ليس لها ظل ويؤيدون هذا الرأى بما جاء فى الحديث القدسى «ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلقى» فإن خلق الله تعالى ـ كما هو مشاهد ـ ليس رسماً على سطح بل هو خلق صور مجسمة جرم . . . ويقول ولا يعكر على المذهب إلا حديث نمرقة عائشة والذى انتهى بشق النمرقة مرفقتين ويقول ولكن هذا الحديث يعارض جملة أمور:ـ

١ـ أنه قد روى بروايات مختلفة ظاهرة التعارض بعضها يدل على أنه ﷺ استعمل الستر الذى فيه الصور بعد أن قطع وعملت فيه الوسادة، وبعضها يدل على أنه لم يستعملها أصلاً.

٢ ـ أن بعض رواياته تدل على الكراهية فقط لستر الجدران بالصور وذلك نوع ترف لا يرضاه

٣ ـ حديث مسلم عن عائشة نفسها فى الستر الذى فيه تمثال طائر وقول النبى (حولى هذا) فهذا لا يدل على الحرمة مطلقا.

٤ ـ أنه معارض بحديث القرام قال الحافظ: (وقد استشكل الجمع بين هذا الحديث وبين حديث عائشة فى النمرقة فهذا يدل على أنه أقره وصلى وهو منصوب إلى أن أمر بنزعه من أجل ما ذكر من رؤيته لصورته حالة الصلاة ولم يتعرض لخصوص كونها صورة).

وجمع الحافظ بينهما بأن الأول كانت تصاويره من ذات الأرواح وهذا كانت تصاويره من غير الحيوان يعكر على الجمع حديث القرام الذى كان فيه تمثال طائر . . .

٥ ـ أنه مُعَارَضٌ بحديث أبى طلحة الأنصارى الذى استثنى ما كان رقماً فى ثوب . . . وقد قال القرطبى يجمع بينهما بأن يحمل حديث عائشة على الكراهية وحديث أبى طلحة على مُطلق الجواز وهو لا ينافى الكراهية واستحسنه ابن حجر .

٦ ـ أن راوى حديث النمرقة عن عائشة ـ وهو ابن أخيها القاسم بن محمد ابن أبى بكر ـ كان يجيز اتخاذ الصور التى لا ظل لها . . فعن ابن عوف قال: دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة فى بيته فرأيت فى بيته حجلة (مثل القبة) فيها تصاوير القندس والعنقاء ومنه يظهر أن التمثال المحرم هو ماكان له ظل .

قال الحافظ : يحتمل أنه تمسك بقوله : «إلا رقما فى ثوب» وكأنه يجعل إنكار النبى على عائشة تعليق الستر المذكور مركباً من كونه مصوراً ومن كونه ساتراً للجدار ويؤيده رواية (إن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين) .

والقاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وكان من أفضل زمانه وهو راوى حديث النمرقة فلولا أنه فهم الرخصة فى مثل المجلة ما استجاز استعمالها ، وقد نقل ابن أبى شيبة عن قوله : إنما ينهى عما كان له ظل من التصاوير ولا بأس بالصور التى لا ظل لها [١] . . . وبذلك يكون محمد بن القاسم رسم بفتواه السابقة خطة المذهب المالكى فى الحكم على التصوير ، وحديث الليث بن سعد (دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو متكئ على وسادة فيها تماثيل طير ووحش . . فقلت أليس يُكره هذا ؟قال : لا إنما يُكره ما نصب نصبا حدثنى ابن عبد الله بن عمر عن رسول الله (من صور صورة عُذب أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ [٢] وكما نرى فإن سالم بن عبد الله يروى حديث تحريم التصوير وهو فى الوقت ذاته متكئ على وسادة فيها التصاوير وهو من هو فى

(١) فتح البارى (١٠/ ٣١٩) .
(٢) مسند أحمد (٢/ ١٤٥) .

علمه، ونقول مما يوضح أن علة التحريم إذن هى علة خارجة عنها وهى نصبها وتقديسها وتمجيدها وأن التصاوير ليست محرمة لذاتها [1].

ويقول د/ القرضاوى: (ولكن هناك احتمال قد يبدو منة هذه الأحاديث الواردة فى شأن الصور والمصورين هو أن الرسول شدد فى أمرها أول الأمر لقرب عهدها بالشرك والأوثان وتقديس الصور والتماثيل، فلما استقرت عقيدة التوحيد فى النفوس ورسخت جذورها فى القلوب والعقول رخص فى الصور التى لا جسم لها وإنما هى نقوش ورسوم وإلا لم يرض بوجود ستراً وقرام فى بيته فيه صورة أو تمثالا ولم يستثن التصاوير التى ترقم وتنقش فى الثياب ومثل الثياب الورق والجدران وغيرها.

قال الطحاوى من أئمة الحنفية: (إنما نهى الشارع أولا عن الصور كلها وإن كانت رقما لأنهم كانوا حديثى عهد بعبادة الصور فنهى عن ذلك جملة ثم لما تقرر نهيه عن ذلك أباح ما كان رقما فى ثوب للضرورة إلى اتخاذ الثياب وأباح ما يمتهن لأنه يأمن على الجاهل تعظيم ما يمتهن وبقى النهى فيما لا يمتهن).

وقد نقل ذلك الشيخ بخيت مفتى الديار المصرية الأسبق فى الجواب الشافى.

*** امتهان الصور يجعلها حلالا:**

ويقول د/القرضاوى: (هذا وكل تغيير فى الصورة يجعلها أبعد عن التعظيم وأدنى إلى الامتهان (ينقلها من دائرة الكراهة إلى دائرة الإباحة) وهذا واضح من حديث جبريل .. إذ قال للنبى اقطع رأسها أو اقطعها وسائد أو اجعلها بُسطا وهذا ما فعلته السيدة عائشة عندما جعلت النمرقة ذات التصاوير مرفقتين.. وقد جاء عن السلف استعمال الصور الممتهنة ولم يروا فيها حرمة، فعن عروة أنه كان يتكئ على المرافق فيها التماثيل: الطير والرجال[2] .

وقال عاصم بن علامة: كانوا يكرهون ما نصب من التماثيل نصباً ولا يرون بأسا بما وطئته الأقدام وكانوا يقولون: فى التصاوير فى البسط والوسادة التى توطأ ذُلٌ لها.

---

(1) أحكام التصوير فى الفقه الإسلامى ص ٤٢.

(2) الجواب الشافى للمطيعى.

* حكم التصوير الفوتوغرافى:

يرى بعض المتأخرين من الفقهاء أن التصوير الشمسى (الفوتوغرافى) لا يدخل (فى دائرة التحريم) الذى يشمله التصوير، باليد المحرم وأنه لا تتناوله النصوص النبوية الكريمة التى وردت فى تحريم التصوير إذ ليس فيه (مضاها) أو مشابهة لخلق الله وأن حكمه حكم الرقم فى الثوب المستثنى بالنص.

ويقول فضيلة الشيخ السايس ما نصه: (يمكنك أن تقول أن حكم التصوير الشمسى حكم الرقم فى الثوب ولك أن تقول: أن هذا ليس تصويرا بل حبس للصورة وما مثله إلا كمثل الصورة فى المرآة لا يمكنك أن تقول: إن فى المرآة صورة وأن أحداً صورها، والذى تصنعه آلة التصوير هو صورة لما فى المرآة، غاية الأمر أن المرآة (الفوتوغرافية) تثبت الظل الذى يقع عليها والمرآة ليست كذلك ثم توضع الصورة أو الخيال الثابت (العفريتة) فى حمض خاص فيخرج منها عدة صور وليس هذا بالحقيقة تصويراً فإنه إظهار واستدامة لصور موجودة وحبس لها من الإذلال فإنهم يقولون: إن صور جميع الأشياء موجودة غير أنها قابلة للانتقال بفعل الشمس والضوء ما لم يمنع من انتقالها مانع والحمض هو ذلك المانع وما دام فى الشريعة فسحة بإباحة هذه الصور كاستثناء الرقم فى الثوب فلا معنى لتحريمها وخصوصاً قد ظهر أن الناس قد يكونون فى أشد الحاجة إليها [1].

وقد أفتى الشيخ محمد بخيت المطبعى مفتى مصر [2] الذى أفتى بإباحة التصوير الفوتوغرافى استناداً للأحاديث التى جاءت بإباحة التصوير الذى لا ظل له فقد فقدت الحرام نفسه الذى هو أم الأعضاء جميعاً حيث يقول: (إن أخذ الصور بالفوتوغرافيا - الذى هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة وليس من التصوير المنهى عنه فى شىء؛ لأن التصوير المنهى عنه هو إيجاد صورة ووضع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل يضاهى بها حيواناً خلقه الله تعالى وليس هذا المعنى موجوداً فى أخذ الصورة بتلك الآلة).

هذا، وإن كان هناك من يجنح إلى التشدد فى الصورة كلها وكراهيتها بكل

---

(١) آيات الأحكام للسايس ص٤، ص٥٨، ٦١.

(٢) رسالة الجواب الشافى فى إباحة التصوير الفوتوغرافى.

أنواعها حتى الفوتوغرافية منها فلا شك أن يرخص فيما توجبه الضرورة أو تقتضيه الحاجة والمصلحة، ومنها كصورة البطاقات الشخصية وجوازات السفر وصور المشبوهين والصور التى تتخذ وسيلة للإيضاح ونحوها بما لا تتحقق فيه شبه القصد إلى التعظيم والخوف على العقيدة فإن الحاجة إلى اتخاذ هذه الصور أشد وأهم من الحاجة إلى اتخاذ (النقش) فى الثياب من سياق الحديث استدل به جواز الاستثناء الذى استثناه النبى ﷺ، وبمثل هذا أفتى كبار علماء العالم الإسلامى المعاصرين شرقاً وغرباً وممن أفتى بذلك:ـ

* الشيخ محمد الخضر حسن شيخ الأزهر (٥٢ ـ ١٩٥٤) وقد وردت فتواه بمجلة نور الإسلام ـ العدد العاشر المجلد الأول لعام ١٣٤٩هـ.

* الشيخ محمد حسين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية ١٩٤٥ وقد وردت فتواه فى كتاب فتاوى شرعية جـ١ ص١٩٢.

* الشيخ السيد سابق وقد وردت فتواه فى كتاب (فقه السنة) جـ٣ ص٥٠١

* الشيخ محمد متولى الشعراوى وقد وردت فتواه فى كتاب (الفتاوى) جـ٩ ص٣٠ وأيضاً فى كتاب (الفتاوى) جـ٣ص٤٤.

* العلامة الشيخ أحمد محمد جمال، وقد نشر فتواه فى المجلة العربية السنة الثالثة عدد٢ ص١١.

* الدكتور أحمد الشرباصى.

* الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه (الحلال والحرام فى الإسلام) ص١١٢.

وعن موضوع الصورة يقول د/القرضاوى:ـ

فإن من المقرر أن لموضوع الصورة أثراً فى الحكم بالحرمة أو غيرها ولا يخالف مسلم فى تحريم الصورة إذا كان موضوعها مخالف لعقائد الإسلام أو شرائعه وآرائه، فتصوير النساء عاريات أو شبه عاريات وإبراز موضع الفتنة والأنوثة فيهن ورسمهن أو تصويرهن فى أوضاع مثيرة للشهوات موقظة للغرائز الدنيا كما نرى ذلك واضحاً فى بعض ماينشر على الناس وحرمة اقتناءه واتخاذه فى البيوت أو

المكاتب والمحلات وتعليقه على الجدران وحرمة القصد إلى رؤيته ومشاهدته.

ومثل هذا صور الكفار والظلمة والفساق... والصور التى تعبر عن الوثنية أو شعائر لبعض الأديان التى لا يرضاها الإسلام كالأصنام وما شابهها(١).

ويرى د/ الصابونى (٢) عدم إطلاق الإباحة فى التصوير الفوتوغرافى وأنه ليس بتصوير وإنما هو حبس للظل مما لا ينبغى أن يقال بل يقتصر فيه على حد الضرورة كإثبات الشخصية وكل ما فيه مصلحة دنيوية مما يحتاج الناس إليه .. ويرى الشيخ الألبانى أنه ليفوتنى أن ألفت النظر إلى أننا وإن كنا نذهب إلى تحريم التصوير بنوعيه جازمين بذلك فإننا لا نرى مانعاً من تصوير ما فيه فائدة تحققه بدون أن يقترن بها ضرراً ولا تُيسر هذه الفائدة بطريق أصله مباح مثل التصوير الذى يحتاج إليه فى الطب والجغرافيا وفى الاستعانة على اصطياد المجرمين والتحذير منهم ونحو ذلك فإنه جائز بل قد يكون بعضه واجباً فى بعض الأحيان، والدليل على ذلك حديثان:

الأول:. عن عائشة أنها كانت تلعب بالبنات فكان النبى يأتى له بصواحبى يلعب معى.

والثانى:ـ عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل النبى غداة عاشوراء إلى قرى الإمضاء (التى حول المدينة) من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم قالت: فكن نصوم بعد ونُصَوِّم صبياننا ونجمل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطياه ذلك حتى يكون عند الإفطار..

ويقول الألبانى: فقد دل هذان الحديثان على جواز التصوير واقتنائه إذا ترتبت من ذلك مصلحة تربوية كتهذيب النفس وتثقيفها وتعليمها فيلحق بذلك كل ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين من التصوير والصور ويبقى ما سوى ذلك على الأصل وهو التحريم مثل صور المشايخ والعظماء والأصدقاء ونحوها مما لا فائدة فيه بل فيه التشبه بالكفار عبدة الأصنام ... والله أعلم.

---

(١) الإسلام والفن ص ١١٠ والحلال والحرام.
(٢) حكم الإسلام فى التصوير ص ٣٠، ٦٦.

ورغم أن د/ القرضاوى فى رأيه اعتدال كما نرى فإن الشيخ صالح بن فوزان ابن عبد الله آل فوزان علق على رأيه فى كتابه الحلال والحرام ويقول لقد وقع منه فى هذا الموضع أخطاء كثيرة (حسب كلامه) لابد من كشفها وبيانها وهى كما يأتى :ـ **الخطأ الأول**: تقسيمه التصوير إلى محرم وهو التماثيل ومكروه كراهة تنزيه وهو المنقوش والمرسوم فى الورق واللوحات والجدران ومباح وهو التصوير الفوتوغرافى. . . ويقول ابن فوزان بأن هذا تقسيم باطل ترده الأدلة الصحيحة الواردة فى تحريم التصوير وتحريم استعمال الصور مطلقا تماثيل كانت أو غير تماثيل منقوشة أو فوتوغرافية ويستدل بذلك بآراء ابن القيم فى أعلام الموقعين والنووى على مسلم ـ وابن حجر فى فتح البارى والشوكانى فى نيل الأوطار.

الخطأ الثانى:ـ استدلال المؤلف على عدم تحريم ما عدا التماثيل من الصور بالاستثناء الوارد من حيث زيد بن خالد وحديث أبى طلحة من قوله: (إلا رقما فى ثوب) ويورد رأى النووى (أنه محمول على رقم على صورة الشجر وغيره مما ليس بحيوان .

وقد قدمنا أن هذا جائز عندنا ويستند إلى قول ابن حجر والشيخ ابن باز فى ذلك. .

الخطأ الثالث:ـ قول المؤلف عن الصور الفوتوغرافية أنها لا تتحقق فيها علة المضاهاة التى نصت عليها بعض الأحاديث ويقول: وهذا لاشك قول باطل ومغالطة واضحة فإن المضاهاة فى هذه الصور أكثر من حصولها فى غيرها وهى تؤخذ غالبا لتطبيقها على الشخص المصور لئلا يحصل اشتباه بينه وبين غيره لأن شبهه وشكله منعكس فيها وهذا هو معنى المضاهاة ـ والصورة فى اللغة هى الشكل ـ كما تقدم فى كلام الشوكانى ـ فصارت المضاهاة حاصلة فيها لا محالة ويقول: ونحن نتساءل ونسأل المؤلف ما الذى يخرج الصور الفوتوغرافية من عموم النصوص المانعة من الصور ما دام أنها تسمى صوراً لا محالة ويسمى عملاً تصويريا ويسمى الذى يعملها مصوراً.

الخطأ الرابع: استدلال المؤلف على عدم التحريم ما عدا التماثيل بحديث عائشة قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله. . إلى أن قال وبهذا يتبين أن الرسول أقر فى بيته وجود الستر فيه تمثال ووجود قرام فيه

تصاوير.

ويرد بما قاله النووى فى شرح مسلم من أنه محمول على أنه كان قبل تحريم اتخاذ ما فيه صورة ويؤيد ذلك أن مسلما أورد فى صدر الباب حديث عائشة الذى فيه تحريم الصورة مطلقاً وساق ما بعده يشعر إلى أن العمل على الأول وهذه طريقة مسلم فى صحيحه أنه يقدم فى الباب ما عليه العمل ويذكر بعده ما فيه علة أو لحقه الترك.

الخطأ الخامس: ـ زعم المؤلف أن تشديد الرسول فى شأن الصور كان فى أول الأمر لقرب عهدهم بالشرك فلما استقرت عقيدة التوحيد رخص فى الصور التى لا جسم لها وقال: ونحن نطالب المؤلف أن يأتى بدليل على هذا الزعم الذى زعمه ومن أين له الدليل والأدلة متضافرة على رده وإبطاله، حيث تدل على تحريم التصوير وتحريم الصور مطلقاً فى جميع الأوقات وفى جميع أنواع التصوير ويستدل على ذلك ما قاله ابن دقيق العيد فى شرح العمدة بحاشية الصدفانى (٢٥٦/٣) وتعليق الشيخ أحمد شاكر على مسند الإمام أحمد (١٤٩/١٢ ـ ١٥٠).

وبعد...

فقد قصدنا الأمانة العلمية فى عرض جميع الآراء ومعارضتها لكنا نزكى روح الاجتهاد لكل من أدلى بدلوه فى بحث هذا الموضوع ونعتبر أن الموضوع فيه خلاف بين العلماء واختلاف العلماء فيه رحمة وسعة.

*** أدلة القائلين بإباحة التصوير فى فجر الإسلام ومناقشتها على أساس أنها شبهات وتأويلات:**

* حاول فريق من المستشرقين وعلى رأسهم أرنولد والأستاذ كريزول وكذا علماء الفنون والآثار أن يثبت أن النبى لم يكره التصوير والتماثيل ولم ينه عنه وأن هذه الكراهية نشأت بين الفقهاء فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) وأن هذه الكراهية فى الإسلام لم تنشأ فى القرن الأول الهجرى...
وكان على رأس هؤلاء المستشرقين الأب هنرى لامانس المستشرق البلجيكى (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م) الذى كتب سنة ١٩١٥م مقالا فى المجلة الآسيوية (عدد

سبتمبر وأكتوبر) ص٢٣٩ ـ ٢٧٩ عن حكم الفنون التصويرية فى فجر الإسلام ردد فى هذه النظرية ودافع عنها الأستاذ كريزول أستاذ العمارة الإسلامية بجامعة فؤاد (إذ ذاك) وأخذ بها فى مؤلفه الكبير عن العمارة الإسلامية الأولى (الجزء الأول ص٢٦٩ ـ ٢٧١).

ولقد أثبتنا فى الصفحات السابقة دحض هذه النظرية وبينا أن كراهية التصوير إنما ترجع جذورها إلى عصر النبى ودليلنا فى ذلك النصوص النبوية السابقة، وأوضحنا أن هناك أكثر من حكمة وعلة فى أسباب ذلك التحريم لعل من أهمها وعلى رأسها مضاهاة خلق الله والتشبه بصنعه جل وعلا ـ والبعد عن مظاهر الوثنية والتعظيم والتقديس وحماية العقيدة من الشرك بقصد التوحيد وذلك فضلا عن كراهية الترف والتنعم فى ذلك العصر الذى ساد فيه الزهد والتقشف والجهاد فى سبيل الله يقول الشيخ/ عبد العزيز جاويش فى ذلك: (فإذا حرم الرسول اتخاذ الصور جميعها مجسماً كانت أو منقوشة فما ذلك إلا لأن القوم كانوا حديثى عهد بالشرك، فَخيفَ أن تنزع نفوسهم إلى ما وجدوا عليهم آباءهم ثم ألفوه أنفسهم زمناً طويلاً [١].

أ- ويستدل هذا الفريق على صدق نظريته أن القرآن الكريم لم يأت به نص صريح يمنع الصور والتماثيل وأن الأزرقى فى كتابه أخبار مكة[٢]، روى أن النبى ﷺ لما دخل الكعبة بعد فتح مكة قال لشيبة بن عثمان: «يا شيبة امح كل صورة إلا ما تحت يدى..» قال: فرفع يده عن عيسى ابن مريم وأمه. .ويروى عن ابن عائذ فى المغازى أن صورتى عيسى وأمه عليهما السلام بقيتا حتى رآهما من أسلم من نصارى غسان فقال: إنكما لببلاد غربة فلما هدم ابن الزيد البيت فلم يبق لهما أثر.

ويقول الأزرقى: حيث إن أهل قريش لما أعادوا بناء الكعبة ومعهم النجار القبطى باقوم زوقوا سقفها وجدرانها من بطها ودعامها وجعلوا فى دعائمها صور الأنبياء وصور الشجر وصور الملائكة فكان فيها صورة إبراهيم الخليل وشيخ يستقسم بالأزلام وصورة عيسى ابن مريم وأمه وصورة الملائكة عليهم السلام.

---

(١) حكم التصوير فى الإسلام: مجلة الهداية، السنة الثالثة ص٤٨٧ ـ ٤٩١.
(٢) أخبار مكة الأزرقى ص ١٠٦، ١٠٧.

وردنا على إبقائه عليه السلام على صورة مريم والسيد المسيح حين دخل الكعبة وأمره بمحو جميع الصور والتماثيل. . .

أنها مسألة مشكوك فى صحتها. . . إذ إن بعض الفقهاء يقولون أن النبى لم يدخل الكعبة إلا بعد ما أُزيل ما بها من صور وتماثيل (١). . . وكان عمر هو الذى أخرجها فمحا ما محا من الصور مدهوناً وأخرج ما كان منها مخروطا، وفى رواية أخرى أنه كان معه عثمان بن طلحة.

وقد أخرج أبو داود بسند جيد عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ أمر عمر ابن الخطاب زمن الفتح (وهو بالبطحاء) أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها فلم يدخلها النبى ﷺ حتى محيت كل صورة فيها. . رواه أحمد (٢) كما ورد أنه ﷺ أرسل خالد بن الوليد فى ثلاثين فارسا فهدم العزى ـ كما أرسل أبا سفيان والمغيرة ابن شعبة إلى سقيف لهدم اللات. . فتوجهوا إليها وهدموها (٣). . . ولكننا إذا سلمنا بأن النبى ﷺ أبقى على صورة العذراء وابنها حين دخل الكعبة أمكننا أن نفسر ذلك باحترامه للمسيحية ولسيدنا عيسى عليه السلام وبأنه لم يكن يخشى أن يعبد هذا التمثال أحد من أتباعه ومع ذلك كله فإننا نشك فى صحة ما يزعمونه من أن هذه الصورة بقيت فى الكعبة حتى زالت فى الحريق الذى دمرها حين حوصر ابن الزبير فى مكة، والمرجح أنها طمست وأتلفت كسائر الصور والتماثيل(٤) ويجوز أن بعض آثارها ظل باقياً حتى زال تماما فى حريق الكعبة.

ب ـ ومن الأدلة التى ساقها الأستاذ/ كريزول على أن التصوير لم يكن مكروها فى عصر النبى ﷺ أن زوجاته عليه السلام كن يعرفن الأقمشة المزخرفة برسوم الإنسان والحيوان وكن يستخدمنها بلا حرج واستنبط ذلك من بعض الأحاديث فى صحيح البخارى (٤/ ٧٦، ٧٧).

---

(١) راجع حاشية رقم ٩ ص ١٠٤، ١٠٥ من أخبار مكة.
(٢) ٣/ ٣٣٥ ـ وعون المعبود (١١/ ٢١١).
(٣) عيون التواريخ لابن شاكر جـ١ ٣١٩ ـ ٣٢١ وابن هشام مجلد ص، ص٥٤٠.
(٤) د/ هيكل حياة محمد ٤٠٩.

بل إن الرسول ﷺ خرج ذات يوم (غداة) وعليه مرط مرحل من شعر أسود وفى حديث السيدة عائشة وذكرت نساء الأنصار (فقامت كل واحدة إلى مرطها المرحل ومنه الحديث» كان عليه السلام وعليه من هذه المرحلات).

ونحن نرد بأن صاحب اللسان فسرها بأن المراد هنا ما عليه صور الأكوار دون الإبل . . . وقال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب اللدنية فى شرح هذا الحديث بأن المراد ما عليه صور حال الإبل. . وقال:ولا يرد كيف لبس ما فيه صور وقد نهى عن التصوير، لأنه لا بأس بهذه الصور وإنما يحرم تصوير الحيوان التام الخلق.

وقد يكون الأستاذ أرنولد كان أدق وأكثر توضيحا فى موضوع أن زوجاته عليه السلام كن يعرفن الأقمشة المزخرفة برسوم الإنسان والحيوان وكن يستخدمنها كما استنبطها كريزول فيقول أرنلد: أنه لم يستنبط هذا من هذه الأحاديث. . . إلا أنه يمكن القول بأن النبى ﷺ لم يعترض على رسوم الحيوانات والرسوم الآدمية فى بيته ما دامت لا تشغله عن الصلاة. . . وأنه رأى يوماً السيدة عائشة وقد شدت خزانة لها بنسيج عليه صور مهتكة وقال: «يا عائشة أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله» ـ ولكنه لم يمنعها من أن تتخذ من هذا النسيج وسادتين. . .

وصفوة القول أننا لا نعرف من الأحاديث ما يمكن أن يستنبط فيه أن النبى عليه السلام كان يبيح فى بيته ولزوجاته استعمال الأقمشة المصورة دون قيد ولا شرط. . .

جـ ـ ومن الأدلة التى يحتج بها القائلون بإباحة التصوير فى فجر الإسلام أن سعد بن أبى وقاص المتوفى عام٦٧٥هـ لم يمحُ الصور التى كانت تزين القصر الأبيض فى المدائن. . . وهى مجموعة مدن فى جنوب العراق فتحها سعد بن أبى وقاص بعد معركة القادسية ٦٣٧م ـ بل إنه اتخذ إيوان كسرى مصلى للمسلمين وقد كان فيه تماثيل حصى . . . فما حركها [1]، دليلهم فى ذلك ما قاله الطبرى فى ذلك حيث قال:(ولما دخل سعد المدائن فرأى خلوتها وانتهى إلى إيوان كسرى

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ١٧٣.

أقبل يقرأ قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان ٢٥ ـ ٢٨]، وصلى فيها صلاة الفتح وهى لا تصلى جماعة فصلى ثمانى ركعات لا يفصل بينهن واتخذه مسجداً وفيه تماثيل الحصى رجال وخيل ولم يمتنع ولا المسلمون كذلك وتركوها على حالها. ولكنا لا نرى فى ذلك دليلاً على أن التصوير لم يكن مكروهاً فى فجر الإسلام.. وإنما أسلمنا بصحة ما ذكره الطبرى فيمكننا أن نفسره بأن سعد بن أبى وقاص وحبذا كانوا متأثرين بما فتح الله عليهم من الاستيلاء على المدائن وكانوا شديدى الثقة بأنفسهم وبإيمانهم وعقيدتهم فكان أول أعمالهم إقامة الصلاة فى أكبر عمائر المدائن المفتوحة بدون أن ينظروا إزالة الصور والتماثيل التى كانت تزين إيوان كسرى والتى لم تكن خطراً على المسلمين فى شىء؛ لأنهم لم يعرفوها فى جاهليتهم ولأن الفرس لم يكونوا يعبدونها ولأن المسلمين لم يكونوا مسئولين عنها فى شىء مع ذلك كله متى كانت أعمال الجيوش الظافرة أساسها كلها التعاليم الدينية فحسب؟.. كما أن استقراء التاريخ يقول غير ذلك... فالمعروف أن نقوش إيوان كسرى أو بعضها ظلت باقية حتى أتيح للبحترى (المتوفى سنة ٢٨٤هـ ـ ٨٩٧م) أن يشير إليه فى قصيدته السينية المشهورة التى وصف فيها الإيوان ومن أبياتها:

فإذا ما رأيت صورة إنطا ... كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وانوشر ... وان يزجى الصفوف تحت الدرفس
وفى اخضرار من اللباس على ... أصفر يختال فى جيفة ورس
وعراك الدجال بين يديه ... فى خفوت منهم وإغماض جرس
من شبح يهوى بعامل رمح ... ومليح من السنان بترس
نصف العين أنهم جد أحياء ... لهم بينهم إشارة فرس
يغتلى فيهم ارتيابى حتى ... تتقراهمو يداى بلمس [1].

(١) ديوان البحترى ٢/ ٥٧.

د ـ كما ذهبوا ليستدلوا على رأيهم ما يرددونه من أن الصحابة وسائر المسلمين قد احتفظوا بمنسوجات وألطاف من غنائم الفتوحات كانت، مزينة بالرسوم الآدمية ورسوم الحيوان . . . ولسنا نستطيع أن نتخذ من ذلك دليلا على إباحة التصوير فى فجر الإسلام . . . فإن سلمنا بصدق ما قالوا نرد بأنهم كانوا يحرصون على الانتفاع بها ولم يكونوا مسئولين عما فيه من الصور، فضلا عن أن بعضهم كان يتلف هذه الصور وأن بعض تلك التحف والألطاف كان يقسم بين المسلمين بطريقة تتلف مجموع ما فيه من الصور كما حدث فى بساط كسرى الذى قسمه عمر بين الناس (١).

هـ ـ ويدللون على رأيهم بعدم كراهية النبى للتصوير ما جاء فى الكامل من أن سلاح النبى كان له ترس فيه تمثال رأس كبش .

لقد جاء فى كتاب الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ليوسف بن إسماعيل النبهانى أن هذا الترس أهدى إلى رسول الله وفيه صورة عقاب أو كبش فوضع يده الشريفة عليه فأذهب الله ذلك التمثال (٢).

و ـ ومن أدلتهم التى اعتمدوا عليها فى نظريتهم تلك أن بعض النقود كان عليها صور ورسوم، فقد ذكر المقريزى مثلا عن النقود الإسلامية أن معاوية عليه السلام ضرب دنانير عليها تمثال متقلداً سيفاً (٣).

ويقولون أنه قد ظهر هذا واضحا فى العملة التى ضربها خالد بن الوليد سنة ١٥ هـ بمدينة طبرية على شكل الدنانير الرومية تماماً فأبقى رسم الصليب والتاج والصولجان ونقش على أحد وجهيها اسم خالد بالحروف اليونانية، وتقول بعض الروايات أن عملة خالد بن الوليد هى أول عملة ضربت فى الإسلام .

وإن كان هذا يتناقض مع ماقاله المقريزى من أن عمر بن الخطاب هو أول من ضرب النقود فى الإسلام على شكل الدراهم الفارسية والدنانير البيزنطية على نقش الكروية وشكلها بأعيانها وقد زاد فى (بعضها الحمد لله محمد رسول الله) وفى

---

(١) تاريخ الطبرى (٤/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٢) نفس المرجع (٣/ ١٨٥).

(٣) النقود العربية/ الأب أنستاس مارى الكرملى فى القاهرة ١٩٣٩ م ص ٣٣.

البعض الآخر (لا إله إلا هو) وعلى جزء منها (عمر) فلما استتب الأمر لمعاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية فى دمشق ضرب دنانير عليها تمثال متقلد سيفاً.

ومع أننا لا نعرف اليوم نماذج من هذه السكة فقد وصلتنا نقود أخرى تشبهها ضربت على يد عبد الملك بن مروان وكان عليها رسم الخليفة يحمل سيفاً ولكنا نرى أن هذه الحجة ضعيفة فإن خلفاء بنى أمية لا يمكن اتخاذهم حجة فى المسائل الدينية، وأكبر الظن أن هذا الرسم لم يكن صورة شخصية بل كان رسماً رمزيّاً يمثل خليفة المسلمين وقد ضربت مثل هذه الدنانير ذات الصور تقليدا للعملة البيزنطية ورغبة فى ألا يجد الشعب فرقاً كبيراً بينها وبين سائر العملات التى عرفها قبل ذلك، وفضلا عن ذلك فقد ذكر المقريزى فى كتاب (النقود الإسلامية القديمة) أن الصحابة فى المدينة لم ينكروا من هذه السكة سوى نقشها فإن فيها صورة .

والمعروف كذلك أن عبد الملك بن مروان لم يثبت أن أمر بسك العملة بدون أى رسم آدمى عليها كما ذكر ابن خلدون ويقول: لقد نقش عليها كلمات لا صورا. أما ما قيل عن ضرب خالد بن الوليد وسكه النقود باسمه وأنه أبقى رسم الصليب والتاج والصولجان فإن بعض المؤرخين يقولون أن هذا كان من أهم الأسباب التى دعت عمر بن الخطاب إلى تنحيته عن قيادة الجيش بعد معركة اليرموك. . . بمعنى آخر أن الخلفاء الراشدين والصحابة كانوا كارهين لذلك .

ولسنا نريد أن نعرض هنا لبعض السكة ذات الصور التى ضربها خلفاء من بنى أمية أو من بنى العباس أو أمراء من الأسر التركمانية الأصل وحسبنا أن نشير إلى مرصعة (ميدالية) أو قطعة من العملة ترجع إلى عصر المتوكل على أحد وجهيه رسمه وعلى الوجه الآخر رسم رجل يقود جملاً وإلى أخرى من عصر المقتدر وجد على أحد وجهيها رسمه وفى يده كأس وعلى الوجه الآخر رُسم شخص يعزف على آلة موسيقية .

وإلى ثالثة باسم الخليفة العباسى المطيع لله وإلى سكة ضربت لصلاح الدين الأيوبى فى بلاد الجزيرة عليها رسم يمثله جالساً فوق عرشه .

ز ـ وثمة دليل آخر يسوقه القائلون بإباحة التصوير فى فجر الإسلام ولا سيما الأب لامانس والأستاذ/ كريزول ذلك أن . . . يوحنا بطريرك دمشق لم يذكر فى

كتاباته أن المسلمين كانوا من أعداء الصور والتماثيل، وقد كان يوحنا هذا من بنى سيرجون المسيحيين الذين خدموا بنى أمية فى الإدارة المالية زهاء نصف قرن، وكان من ندماء يزيد بن معاوية ولكنه عاش بعده طويلاً واعتزل فى أحد الأديرة بدمشق وعكف على التأليف فى محاسن المسيحية ومزاياها على الأديان الأخرى إلى أن مات نحو سنة ٧٥٠م .

ومما عرف عن هذا العالم المسيحى أنه كان من ألد أعداء المسيحيين القائلين بتحريم التماثيل والأيقونات، فلو أنه عرف عن المسلمين أنهم من القائلين بهذا التحريم لما أغفل ذكره فيما كتبه عنهم ولأخذه عليهم فيما أخذ، بينما نرى أن أحد تلاميذه فى الدير الذى اعتزل فيه فى دمشق ذاعت شهرته وأتيح له بعد وفاة أستاذه بنحو خمسين عاماً أن يذكر عن المسلمين أنهم يحرمون الصور والتماثيل ذلك هو (تيو دور ابن قرة) الذى امتد به العمر حتى عاصر الرشيد والمأمون والذى كان أول من كتب بالعربية من آباء الكنيسة وكان كذلك من ألد أعداء المسيحيين القائلين بتحريم التماثيل والأيقونات على أن ابن قرة لم يُشر إلى المسلمين صراحة ولكنه تحدث عن (أولئك الذين يؤكدون أن الذى يصور شيئاً حيا يُلزم يوم القيامة أن ينفخ فيه روحا).

ويرى الأب لامانس فى كتاب له إلى الأستاذ كريزول أن ذكر ألفاظ الحديث النبوى تثبت أن أبا قرة يُشير إلى المسلمين وأن هذا الحديث كان منتشراً بينهم فى عصره مما يمكنه أن يستنبط منه أن تحريم الصور والتماثيل فى الإسلام بدأ فى الجزء الأخير من القرن الثامن الميلادى .

(ولكننا لا نؤمن بهذا الدليل). . . وعندنا أن يوحنا بطريرك دمشق لم يذكر أن الصور والتماثيل كانت محرمة عند المسلمين؛ لأنه عاش فى الشام وعرف البيئة الأموية وشاهد القصور المزينة بالصور والتحف والألطاف عند خلفاء بنى أمية. . . وأنهم لم يكونوا المثل الأعلى فى اتباع التقاليد الدينية.

بل إن عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين والذى عرف بالتقوى من بين خلفاء بنى أمية تروى عنه قصة تدل على كراهية الصور والمصورين وقد جاء فى سيرته لابن الجوزى[1].

---

(١) ص٨٠.

حدثنا حسين بن وردان قال: مر عمر بن عبد العزيز بحمام عليه صورة فأمر بها فطمست وحكت ثم قال: لو علمت من عمل هذا لأوجعته ضرباً... أما أبو قرة فقد اتصل ببيئة الفقهاء فى العراق وكان يتقن العربية فلا عجب إذا كان أدرى من أستاذه بحكم التصوير عند المسلمين.

ح - وهناك اعتراض آخر على القول بكراهية التصوير فى فجر الإسلام لكثرة الألطاف والعمائر ذات الصور فى العصر الأموى... فهذه حجة لا تقوم على أساس صحيح؛ لأن كراهية الصور والتماثيل عند الفقهاء شىء وانصراف أفراد من الناس عن هذه الكراهية شىء آخر.. ولسنا نظن أن أحداً يريد القول بأن الخمر غير محرمة فى الإسلام ويقيم دليلاً على ذلك أن بعض خلفاء بنى أمية وبنى عباس وغيرهم من المسلمين كانوا يشربونها في فجر الإسلام .

ط - وثمة دليل آخر يعترضون به على القول بكراهية التصوير فى عصر النبى؛ ذلك أن نساء النبى ﷺ تحدثن إليه أثناء مرضه عن كنيسة فى الحبشة كن يعجبن بما فيها من صور .

ولكن الحق أن النص الذى ذكره ابن سعد فى طبقاته فى هذا الصدد لا يفهم منه بأى حال من الأحوال أن النبى كان يحبذ التصوير .

فقد جاء فى طبقات ابن سعد القسم الثانى (٢/ ٣٤):

(أن نساء رسول الله تذاكرن عنده كنيسة بأرض الحبشة يقال لها «ماريا» فذكرن من حسنها وتصاويرها وكانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة... فقال رسول الله: أولئك قوم إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك أشرار الخلق عند الله)... والحديث رواه الشيخان والنسائى عن عائشة.

ى - ويقولون أن كراهية التصوير كان لليهود أثر كبير بنقلها من كتبهم من الفقرة الرابعة من الإصحاح العشرين فى سفر الخروج والفقرات ١٥، ١٦، ١٧، ١٨ من الإصحاح الرابع فى سفر التثنية وهم الذين نقلوها إلى المسلمين عن طريق

بعض من أسلم منهم كعبد الله بن سلام [1] ويشيرون إلى أن هذا كان أستاذاً لأبى هريرة، وقد توفى عام ٦٧٨م ـ وأبى إسحاق كعب الأحبار توفى عام ٦٥٢م كان لهما الدور الأكبر فى هذا التوجه نحو التحريم وهو ما يقول به المستشرق البلجيكى هنرى لامانس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧م) . . . بل ويزعمون عن تأثر الإسلام فى كراهية التصوير بحركة كسر التماثيل والأيقونات التى نشأت فى بداية الربع الثانى من القرن الثامن الميلادى فى آسيا الصغرى ثم امتدت منها إلى سائر أنحاء الإمبراطورية البيزنطية والتى راعاها الإمبراطور (ليو الثالث) والذى أصبح من أشد أعداء الصور والتماثيل .

حقًا، إن اليهودية تحرم التصوير كما عرضنا من قبل للنصوص الواردة فى التوراة فى الإصحاح العشرين فى سفر الخروج وكما جاء فى الإصحاح الرابع من سفر التثنية .

ولكن القول بأن المسلمين قد تأثروا بهذه الكراهية. . . لا كما أمرهم دينهم الإسلام ونبيهم محمد ﷺ . . ولكن لأن الديانة اليهودية هى التى حثت على ذلك.

وهذا قول خطر. . . ولأنه جاء من أفواه المستشرقين وما عرف عنهم وبخاصة عن الأب لامانس وكرهه للإسلام يجب أن نحذر منه .

إنهم يريدون أن يقولوا أن الإسلام ليس من عند الله . . . ولكنه خليط من عدة أديان جمعه النبى ﷺ وأصحابه والعلماء مما استحسنه من الأديان الأخرى. . . وأن المسلمين مقلدين في دينهم الديانات الأخرى ودينهم ليس مشرعاً . . . وأما ما جاء فى قولهم أن بعض رجال الدين المسيحى حاربوا تعظيم التماثيل والصور الدينية فنحن نوافقهم فيه، فقد ظهر ذلك فعلا فى القرن الخامس الميلادى. . . ولكن نذكر أن المسيحية بوجه عام كانت تعتبر أن الفنون التصويرية وسيلة طيبة لتثقيف المسيحيين فى دينهم. . . وقال بعض قديسيهم فى هذا الصدد: (إن اللوحات الفنية فى الكنائس تشرح للآمنين مالا يستطيعون قراءته فى الكتب

(1) فجر الإسلام ـ أحمد أمين (١/ ١٨٠، ١٨١، ١٩٢، ١٩٣).

. . . وأن النظر أقدر من السمع في أن يبعث على الإيمان) . .

كما يجب ألا ننسى أن أعداء الصور والتماثيل فى المسيحية كانوا لا يحرمون استعمالها إلا فى الكنائس والأغراض الدينية وفى تمثيل المسيح والقديسين وآباء الكنيسة فلم يحرموا تماثيل الأفراد أو اتخاذ الصور على التحف والألطاف .

وبعض الذين بحثوا الثورة على الصور فى المسيحية ينسبونها إلى التأثر بآراء بنى إسرائيل في هذا الصدد، بل إن بعضهم ينسبها إلى التأثر بالتعاليم الإسلامية وهذا يكفى لنفى تأثر الإسلام بالمسيحية فى التصوير .

وقد ذكر الكاتب البيزنطى (تيوفان) أن يهوديًا من اللاذقية بشر الخليفة الأموى يزيد الثانى بأن يحكم أربعين سنة إذا أمر بكسر الصور والصلبان فى الكنائس ففعل الخليفة ذلك سنة ١٠٤ هـ (٧٢٣م) وبدأ أعماله فى تنفيذه أمره بمصر ولكنه توفى فى العالم التالى وخلفه أخوه هشام بن عبد الملك.

ك - ويرى بعضهم أن العرب هى التى كانت تكره الصور والتماثيل بالغريزة حيث كأنها تخشاها مثلما فعلت الأمم السامية، فاليهود لم تكن لهم فنون تصويرية خاصة بهم وكانت تنسب لها قوى سحرية . . . ويسوق هؤلاء العلماء عدة أدلة لتأييد نظريتهم هذه منها:

١- أن معظم المسلمين الذين لم يتمسكوا بكراهية التصوير وكانوا من الشعوب الإسلامية غير السامية الأصل كالإيرانيين والسلاجقة والمغول والهنود والكرد والترك. . .

٢ - أن الصور والتماثيل فى كثير من الأقاليم الإسلامية كانت تحسبها طلاسم لها أثر سحرى قوى كالحيات المنقوشة على قلعة حلب وكالتمثال الذى أقامه منصور على رأس العتبة الخضراء فى إيوان قصره ببغداد، وقد أشار إليه ياقوت فى معجم البلدان فقال وعلى رأس القبة صنم على صورة فارس فى يده رمح وكان السلطان إذا رأى أن ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها علم أن بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة فلا يطول عليه الوقت حتى ترد عليه

الأخبار بأن خارجيا قد هجم من تلك الناحية)[1].

ويشيرون فى ذلك إلى ما قاله المقريزى فى حديثه عن الجامع الأزهر حيث يشير إلى صور طيور لعلها كانت على أعمدة قبطية استعملت فيه فكتب (ويقال أن بهذا الجامع طلسما فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره)[2].

بل إن بعضهم بالغ فى هذا الصدد كثيراً مثل الأستاذ (فييت) فزعم أن عامة المسلمين يعتقدون أنه ليست هناك أى صورة للزخرفة وللزينة فحسب؛ ولذا فليست هناك أى صورة لأنها ضرر أو لا أثر خفى لها والحق أن الاعتقاد بأن فى الصور قوى سحرية أمر شائع بين الشعوب البدائية وأنه لم يكن وقفاً على الساميين أو الشرقيين بل لقد عرفه الغربيون فى العصور المختلفة ولم يكن المسلمون أكثر تمسكاً به من سائر الأمم... والمستشرقون الذين يذكرون قصة التمثال فوق قبة إيوان المنصور فى بغداد يجدر بهم ألا يغفلوا تعليق ياقوت عليها بقوله: (وهو من المستحيل والكذب الفاحش وإنما نحكى مثل هذا عن سحرة مصر وكلمات بليناس التى أوهم الأعمار صحتها تتطاول الأزمان والتخيل أن المتقدمين ما كانوا بنى آدم، فأما الملة الإسلامية فإنها تجل عن هذه الخرافات فإنه من المعلوم أن الحيوان الناطق مكلف والصانع لهذا التمثال لا يعلم شيئاً مما ينسب إلى هذا الجماد ولو كان نبيا مرسلاً وأيضاً لو كان كلما توجهت إلى جهة خرج منها خارجى لوجب ألا يزال خارجى يخرج فى كل وقت لأنها لابد أن تتوجه إلى وجه من الوجوه.

ل - بل تدخل هؤلاء فيما ليس من اختصاصهم فذهبوا إلى أن الأحاديث النبوية التى تنهى عن التصوير كلها موضوعة... مرة واحدة وبدون دراسة بينما ثبت أن هذه الأحاديث النبوية كلها مذكورة فى الكتب الصحاح رواها جمع من الصحابة الثقات كابن مسعود وابن عمر وعائشة وابن عباس وعلى وأبو هريرة وأبو طلحة.

---

(١) مسند أحمد (٢/١٤٥)

(٢) أحكام التصوير فى الفقه الإسلامى ص٤٢.

ويعتقد هذا الفريق من العلماء أن انصراف المسلمين عن تصوير الحيوان والإنسان كان حلقة طبيعية فى سلسلة تطور الفن فى الشرق الأدنى وأن الفن المسيحى فى هذه الأقاليم قد مهد لتلك الحركة بالبعد عن الأصول القديمة الإغريقية.

ونحن نؤيد القول بأن الفنون السورية والقبطية قبيل الإسلام كانت الرسوم الآدمية والحيوانية فيها نادرة وغير منسقة إذا حكمنا عليها بمعايير الجمال في الفن الإغريقي... ولكنا نرى أن ذلك لم يكن له أثر فى كراهية التصوير فى الإسلام لأن تلك الفنون المسيحية لم تكن فكرة التصوير فيها واضحة؛ ولأن قصورها عن الوصول إلى المثل الأعلى فى الفن الإغريقى لم يكن فى اعتقادنا ثورة أو أمرا مقصودا وإنما كان عجزاً أساسه اختلاف بيئتها ورجوعها إلى الأساليب الفنية التى ازدهرت قديما فى الشرق الأدنى.

على أن كراهية التصوير فى الإسلام جَنَّبَتْ المسلمين اتخاذ الفن عنصراً من عناصر الحياة الدينية وحالت دون استعمال التصوير فى المصاحف وفى العمائر الدينية كالمساجد والأضرحة اللهم إلا فى حالات نادرة جداً... وجعلت المسلمين ينصرفون إلى إتقان الزخارف البعيدة عن تجسيم الطبيعة الحية أو تصويرها فيتفوقون فى العمارة وفى زخرفة المبانى وفى تربية الألطاف والتحف والرسوم الفنية ويقصرون فى ميدان النحت فلا تظهر عبقرية النحات ولا تكاد تلتفت إلى التماثيل المخروطة ورفعت تلك الكراهية مكانة الخطاطين والمذهبين وسائر المشتغلين بإنتاج المخطوطات الثمينة (١).

م - ومنهم من حمل المنع على مجرد الكراهية وأن هذا التشديد كان فى ذلك الزمان لقرب عهد الناس بعبادة الأوثان وقد تغير الحال فى العصور التالية (هذا مع أن الوثنية لا زال يدين بها آلاف الملايين حتى اليوم)..

وهذا ما قاله بعضهم من قبل ورد عليهم الإمام ابن دقيق العيد (بأن هذا القول باطل قطعاً لأن هذا مناف للعلة التى ذكرها الشارع وهى أنهم يضاهئون أو يشبهون

(١) معجم البلدان (٢/ ٢٣٥)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى (١/ ٧٣)

بخلق الله قال: وهذه علة عامة مستقيمة مناسبة لا تخص زماناً دون زمان وليس لنا أن نتعرف في النصوص المتظاهرة المتضافرة بمعنى خيالى)[1].

وهكذا نتتهى إلى أن التصوير بأنواعه كان مكروهاً فى عصر النبى وفى فجر الإسلام . . . ولو أن الأستاذ محمد كرد على فى كتابه (خطط الشام) يرى أن تلك الكراهية كان أساسها إبعاد المسلمين عن عبادة الأصنام والشرك بالله والوثنية . . . ويبقى للتصوير فوائد علمية لا سبيل لإنكارها [2].

* مسارات الفن الإسلامى:ـ

وقد أتاح اختلاف الأمكنة والأزمنة واختلاف اجتهادات الفقهاء والمتباينة إلى شيء من الحرية للفنان المسلم من خلال أربعة مسارات اجتهادية رئيسة:ـ

١ـ إباحة رسم الحيوانات الخرافية بعد تجريدها من دلالاتها المعنوية التعقيدية القديمة العالقة بها، وقد مال إليها الفنان المسلم لعدم ارتباطها بطبيعة شيئية فى مفهوم الخلق ولكون الواقع الحقيقى لا يتمايل معها فى شيء.

٢ ـ إباحة رسم الحيوانات التى حلل للإنسان صيدها وطبخها وأكلها والتى أبيح له استخدامها لأغراض الصيد كالطيور والغزلان والكلاب مستولين ذلك بأنها خلقت أصلا من أجل الإنسان وأن حياتها مرهونة بمشيئة، وأن الله إذا أباح له قتلها والإفادة من لحمها وجلدها وتسخيرها لأغراضه ولابد أن يكون قد أباح له ضمناً تصويرها.

٣ ـ الإباحة لرسم الحيوانات المركبة التى تقوم على مزج ما بين أعضاء لكائنات مختلفة كأن يكون الرأس رأس إنسان والجسم جسم حصان والقدمان لغزال وهى ما ألفتها الحضارات القديمة على مثل ما هو موجود فى جدران بابل من تنانين[3] وثيران وطلاسم سحرية؛ وذلك لأنها فقدت أصولها الرمزية فاستحالت مجرد إيقاعات تزيينية لا تمت بأى صلة للواقع وربما ذلك شفع لآثار بابل ولأبى الهول وما شابه ذلك أن تظل قائمة [4].

---

(١) خطط المقريزى (٢/ ٢٧٣). (٢) فى الفنون الإسلامية د/ ذكى محمد حسن (٢٧ ـ٢٩).

(٣) تنانين جمع تنين : حيوان أسطورى يجمع بين الزواحف والطيور .

(٤) مجلة العربى الكويتية العدد ٤٥٠ مايو ١٩٩٦ ص١٥٦ ـ الإسلام وتحريم التصوير.

كل هذا الفن لم يكن ليبرز إلى الوجود لولا اجتهادات فريق من العلماء فى القول بإباحة الرسم وتجسيد الأشكال وبعد أن آمن الفنان بأن عمله لا يعتبر خروجاً على الدين أو الدعوة إلى الشرك وقد يكون استناداً إلى الآية (١٣) من سورة سبأ التى تتحدث عن نعم الله على نبيه سليمان وتسخير الجن له ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ وإن كان هناك من يقول: إن شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ وأن هذه الآية قد نسخت بدليل الأحاديث النبوية . . .

٤ ـ إباحة الرسم على جدران الحمامات (ويرى الدكتور صلاح شيته) [١] بأن سبب استثناء الحمام من التحريم لأنه فى نظر المسلمين السلفيين بأن هذا الجزء من البيت من شدة الاحتضار بحيث إن التصوير لا يشكل فيه أدنى ارتياب ولا أقل خطر روحانى ولذلك صارت الحمامات الأماكن المباحة للرسامين.

وفى وسط هذا المناخ المنفرج ظهرت بعض أسماء الفنانين فى سماء الفن التشكيلى. . فقد وجدت بعض النقوش فى سامرا عليها أسماء الفنانين الذين رقموها ومن ذلك أحمد بن موسى ـ ويحيى بن محمود الواسطى الذى نسخ مقامات الحريرى بيده ورسم رسومها، ومن أسماء المصورين العرب :أحمد بن إدريس القرانى. . أحمد بن على المصرى ـ وأحمد الواقع ـ وأحمد بن يوسف بن هلال الحلبى ـ وبدر أبو يعلى ـ وأبو بكر بن محمد الجلومى الحلبى ـ أبو تجزأة ـ وجواد بن سليمان بن غالب العجمى ـ وحمدان الخراط ـ وابن الرزاز ـ وشعيب ابن محمد التونسى ـ وعبد الرحمن بن أبى بكر ـ وعبد الرحمن بن على الدهان ـ وعبد الكريم الفاسى ـ وعبد الله بن الحسن البصرى وغيرهم. . .

ومن أصحاب الاجتهادات الفكرية الدينية . . . (أبو على الفارسى) وهو من علماء اللغة المشهورين (٣٧٧ هـ) الذى فسر التصوير[٢] الوارد فى الأحاديث النبوية بأن المقصود هو تصوير ذات الله فى صورة العباد أو المخلوقات يعنى المجسمة والمشبهة الذين شبهوا الله تعالى بخلقه واعتبروه جسماً وصورة وهو ليس كمثله شيء. . . وقال: لا بأس أن يصور الفنان ما يشاء بعيداً عن ذات الله سبحانه

(١) مجلة العربى الكويتية العدد ٤٥٠ مايو ١٩٩٦ ص١٥٦ ـ الإسلام وتحريم التصوير.
(٢) مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم (٤٦٣).

وتعالى . . . وقال إن آية ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ ...﴾ [سبأ: ١٣] ذكرت فى سبيل المن والفضل ولم تنسخ، وهذا دليل الإباحة، وهذا الرأى ذكره أبو جعفر النحاس وحكاه بعده مكى فى تفسير (الهداية إلى بلوغ النهاية).

ومن العلماء المحدثين المجتهدين فى هذا المجال (الشيخ عبد العزيز جاويش) الذى كتب يقول: (ليس المراد تعميم «التحريم» فى كل زمان أو كل أمة فلا معنى لذلك الحجر متى أمن جانب العبادة والتعظيم اللذين اختص الله بهما. . .) وكيف يحرم التصوير مطلقا؟ مع أنه قد يكون سبباً فى حفظ حقوق شرعية كما هو الشان فى صور الغرقى والأموات المجهولين التى تعرضها الحكومة على الملأ حتى يعرفهم ذووهم فتقوم هناك أحكام المواريث وأحكام الزوجية وحلول الديون المؤجلة ونحو ذلك.

وقد يكون التصوير سبباً فى تحذير الأمة من اللصوص المحتالين والنصابين المستهترين والمستترين عن أعين الحكومة فتنشر صورهم على الملأ حتى يقفوا أثرهم ويرشدوا الحكومة إلى أماكنهم.

ويقول: من الصور ما تعرف به أسرار حكم الله تعالى فى خلقه كما فى صور الحيوانات وأجزائها التى تحتويها كتب التاريخ الطبيعى والتشريح. . . كما أن من ضروب التصوير ما يساعد على علاج المرضى بعلل باطنة أو المصابين ببنادق الرصاص ونحوها كالتصوير (بأشعة رتنجن الشهيرة). .

ويقول: ومن القواعد الأصولية الشرعية أن الوسائل أحكام الغايات والمقاصد فإذا كانت الصور يتوقف عليها بعض أحكام شرعية أو معالجات طبيعية أو كشف مسائل علمية كان اتخاذها ولا شك من المرغوب فيه شرعاً. . . وإن كانت لمجرد الزينة واللهو المباح كان اتخاذها مباحاً. . وأما إذا كانت تتخذ للتعظيم والعبادة والتبرك ونحو ذلك فهى حرام قطعاً. . معذب صانعها. . ومعذب متخذها[(١)].

أما الإمام الشيخ محمد عبده ففى فتوى صدرت عنه فى حكم الشريعة الإسلامية عن الصور والتماثيل مفسراً ما جاء بالحديث الشريف عن عذاب المصورين يوم القيامة ما يلى:-

---

(١) حكم التصوير فى الإسلام للشيخ عبد العزيز جاويش (مجلة الهداية - السنة الثالثة) ص٤٨٧ - ٤٩١.

. . (يغلب على ظنى أن هذا الحديث جاء عن أيام الوثنية وكانت الصور تتخذ فى ذلك العهد الأول للهو والثانى للتبرك بمثال مترسم صورته من الصالحين والأول مما ينقضه الدين والثانى ما جاء الإسلام لمحوه والمصور فى الحالتين شاغل عن الله أو ممهد للشرك به فإذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر فى المصنوعات كما فى حواشى المصاحف وأوائل السور ولم يمنعه أحد من العلماء من أن الفائدة فى نقش المصاحف موضع النزاع أما فائدة المصور مما لا نزاع فيه على الوجه الذكرة. .) ثم يستطرد الشيخ الإمام قائلاً:

(يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين لامن جهة العقيدة ولا من جهة العمل)(١).

وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا. . . الذى أكد فى فتوى له نشرها منذ أكثر من نصف قرن (أن التصوير ركن من أركان الحضارة ترتقى به العلوم والفنون والصناعات والسياسة والإدارة فلا يمكن لأمة تتركه أن تجارى الأمة التى تستعمله. . ولكنه إذا استعمل فى العبادات يفسدها لأنه يحولها إلى وثنية. . . وقد كان النهى عن اتخاذ الصور من الوصايا العشر التى كانت فى ألواح موسى عليه السلام وهو نص ثابت لا يزال ثابتاً فى التوراة التى فى أيدى أهل الكتاب؛ لأن التوحيد الذى هو أساس دين جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يتفق مع اتخاذ الصور اتخاذاً دينيا ولكن القرآن الكريم اكتفى بإثبات التوحيد بالبراهين العقلية والكونية والأمثال التى يجعل المعنى المعقول كالشيء المرئى بالعيون الملموس بالأكف. . وأوضحه بذلك وبفنون من البلاغة تستولى على القلوب وتحيط بالفكر والوجدان من جميع نواحيه فلم تبق من هذا حاجة للنهى عن اتخاذ الصور والتماثيل. . وإنما نهى النبى عنها قبل نزول جميع القرآن ووصوله إلى الناس لقرب عهدهم بالوثنية. . ولوكان اتخاذ الصور والتصوير الذى اتخذ ذريعة من المحرم لذاته على الإطلاق أو لضرر فيه لا ينفك عنه مطلقاً لكان محرماً على ألسنة الأنبياء ولما أمنَّ الله على سليمان عليه السلام بقوله: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وقليل من عبادى الشكور﴾ قد عد ذلك

(١) الفن والقومية- محمد صدقى الخباخنجى.

من النعم التى يشكر الله تعالى عليها..).

مما سبق ندرك الدور الذى لعبه هؤلاء المجتهدون فى سبر غور علاقة الدين بالفن.. والفهم الخاطئ لمشروعية الفن وعدم مشروعيته.. وأذكر بهذه المناسبة واقعة عدم الأخذ بشهادة فنان مصور فى قضية كان ينظرها أحد قضاة المحاكم الشرعية منذ أكثر من نصف قرن بحجة أنه لاشهادة لمصور.. مستنداً فى ذلك إلى حديث نبوى شريف يتضمن «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»..

ونذكر هنا ما قاله د/ يوسف القرضاوى فى هذا المجال فى نقابة الأطباء بالقاهرة فى ندوة المشروع الحضارى الإسلامى والتى أكد فيها فضيلته بأننا فى حاجة إلى انتفاضة حضارية تخلصنا من التخلف تعيد لنا حضارتنا الإسلامية وتحقق لنا طموحاتنا. لقد صنعت إسرائيل قمراً صناعيا لتصور به أعماقنا.. ونحن لازلنا نختلف فى حكم التصوير.. وهل هو حلال أو حرام[1].

ولأننا مقتنعون تماماً بدور د/ القرضاوى واجتهاده فى هذا المجال رغم تعرضه من جانب فريق من العلماء يرى خلاف رأيه ونظراً لأن كليهما مجتهد وكل غيور على دينه..

* خلاصة لأحكام الصور والمصورين

نستطيع أن نجمل أحكام الصور والمصورين فى الخلاصة التالية لفضيلته[2]:-

(أ) أشد أنواع الصور فى الحرمة والإثم صور ما يعبد من دون الله فهذه تؤدى بمصورها إلى الكفر إن كان عارفاً بذلك قاصداً له..

والمجسم فى هذه الصور أشد إثماً ونكراً.. وكل من روج هذه الصور أو عظمها بوجه من الوجوه داخل فى هذا الإثم بقدر مشاركته..

(ب) ويليه فى الإثم من صور ما لا يعبد.. ولكنه قصد مضاهاة خلق الله، أى ادعى أنه يبدع ويخلق كما يخلق الله.. فهو بهذا يقارب الكفر.. وهذا أمر يتعلق بنية المصور وحده.

---

(١) مجلة اللواء الإسلامى العدد (٧٥٢) ص٥.

(٢) الحلال والحرام فى الإسلام (١١٤، ١١٥)، الإسلام والفن (١١١ - ١١٣).

(ج) ودون ذلك الصور المجسمة لما لا يعبد ولكنها مما يُعظَم كصور الملوك والقادة والزعماء وغيرهم ممن يزعمون تخليدهم بإقامة التماثيل لهم ونصبها فى الميادين ونحوها. . ويستوى فى ذلك أن يكون التمثال كاملا أو نصفيا .

(د) ودونها الصور المجسمة لكل ذى روح ما لا يقدس ولا يعظم فإنه متفق على حرمته. . يستثنى من ذلك ما يمتهن كلعب الأطفال ومثلها ما يؤكل من تماثيل الحلوى. . (وأيضاً المجسمات التعليمية).

(هـ) وبعدها الصور الغير مجسمة ـ (اللوحات الفنية) التى يصعب أصحابها كصور الحكام والزعماء وغيرهم وخاصة إذا نصبت وعلقت. . وتتأكد الحرمة إذا كان هؤلاء من الظلمة والفسقة والملحدين فإن تعظيمهم هدم للإسلام.

(و) ودون ذلك أن تكون الصورة غير المجسمة لذى روح لا يعظم ولكن تعد من مظاهر الترف والتنعم كأن تستتر بها الجدر ونحوها. . فهذا من المكروهات فحسب.

(ز) أما صور غير ذي الروح من الشجر والنخيل والبحار والفن والجبال ونحوها من المظاهر الطبيعية فلا جناح على من صورها أو اقتناها ما لم تشغل عن طاعة الله أو تؤد إلى سرف أو ترف فتُكره أو تحرم.

(ح) وأما الصور الشمسية (الفوتوغرافية) فالأصل فيها الإباحة ما لم يشتمل موضوع الصورة على محرم كتقديس صاحبها دينيا (كمشايخ المتصوفين) أو تعظيمه تعظيماً دنيويا وخاصة إذا كان المعظم من أهل الكفر أو الفسوق كالوثنية والشيوعية والفنانين المنحرفين .

(ط) وأخيراً، إن التماثيل والصور المحرمة إذا شوهت أو امتهنت انتقلت من دائرة الحرمة إلى دائرة الحل كصور البُسط التى تدوسها الأقدام والنعال ونحوها.

* وخلاصة المسألة:ـ[1].

إن الإسلام حرم الصور والتماثيل لما فيها من مضاهاة خلق الله والتشبه به ولما يؤدى إليه تعظيمها من الشرك به مما ينافى عقيدة التوحيد وقد توعد الله من

(١) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (السنة الخامسة ـ العدد (١٩) ١٤١٤هـ)

يصنعون هذه الصور ويقال لهم يوم القيامة أحيوا ما خلقتم.

وقد ترجح لدى كثير من الفقهاء أن الرسومات والصور الغير مجسمة لا تدخل في النهى والوعيد الوارد ذكره في الأحاديث النبوية، واستدلوا على ذلك بأن رسول الله ﷺ حين حرم الصور استثنى (الرقم في الثوب) وهو بمعنى الصورة أو الرسم.

والضابط الشرعى لهذه الصور أو الرسومات أو الأفلام والبرامج التعليمية.. ألا تكون هذه الصور والرسومات أو الأفلام أو البرامج من المحرمات أو مما يثير الغرائز أو يدعو لأى نوع من أنواع التبذل أو التأثير على الأخلاق بالانحراف.

أما الصور المجسمة فهى حرام وقد استثنى بعض الفقهاء لعب الأطفال بدلالة ما ورد فيها من جواز، أما ما تحتاجه اليوم طلاب الطب والعلوم ونحوهم من دراسة بعض أجزاء الجسم فإن الشريعة الإسلامية شريعة يُسر وأن مقاصدها وغاياتها تتسع لذلك..والضابط الشرعى لهذا أن يكون العلم هو المقصد..وألا تكون الصورة المجسمة متكاملة الهيئة بل متفرقة الأجزاء ولا ينشأ عن ذلك ضرر أو مفسدة.

وبعد: فأوجز ما سبق تفصيله[1] بما يلى:-

١ - المحرم المتفق على حرمته هو ما كان تمثالاً لذى روح غير ممتهن كامل الجسم له ظل يضاهى به خلق الله فهو حرام اتفاقاً.

٢ - ما انتفى عنه شرط واحد من الشروط السابقة فقد أصبح مختلفاً فيه.

٣ - ما كان تمثالا لغير ذى روح فهو مباح مطلقاً بلا قيود من ذاته.

٤ - لعب الأطفال جائزة مطلقاً لاستثنائها بالنص ولأنها قد انتفت عنها علة التحريم من المضاهاة والتعظيم.

٥ - الرسوم على الممتهنات كالورق والكرتون جائزة فى ذاتها.

٦ - يكره تعليق الرسوم والصور المباحة فى جهة القبلة.

٧ - يجوز التوسيع والتطوير ما لم يشتمل على محرم آخر.

(١) أحكام التصوير في الفقه الإسلامى للشيخ محمد الحشى ص ٧٣، ٧٤.

٨ - تكره كسوة الجدران بالتصاوير لذوات الأرواح.

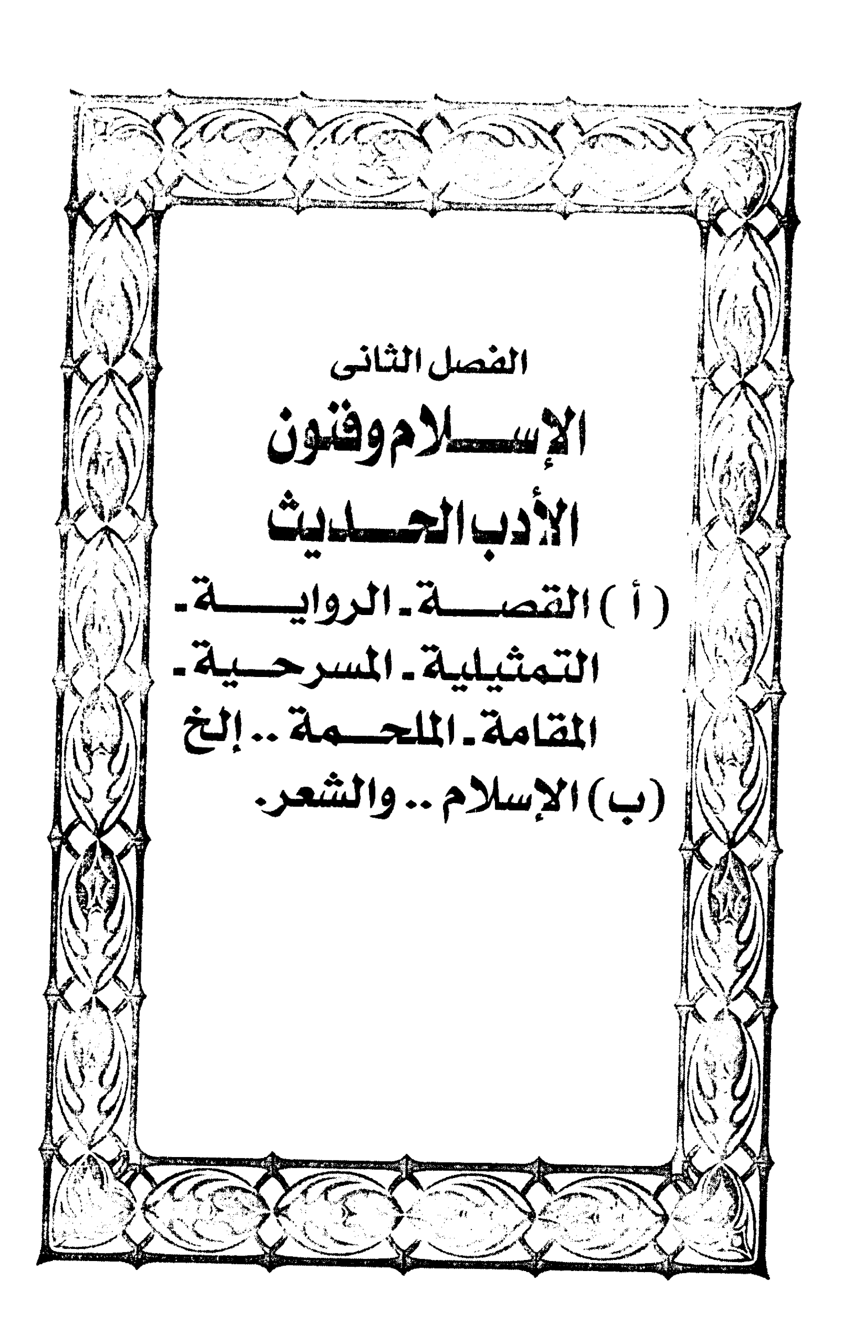
٩ - الصورة الفوتوغرافية جائزة فى ذاتها ما لم تشتمل على محرم آخر.

١٠ - التمثال الذى فقد عضواً لا يعيش بدونه جائز.

١١ - الصور العارية حرام مطلقاً.

وهكذا كان منع التصوير والنحت سبباً لفتح أبواب أخرى فى علم الفنون جعلت للعالم الإسلامى تَمَيَزُه الخاص ومثاليته المتفردة ... تجلت فى الزخارف التى تفنن فيها عقل الفنان المسلم ويده وريشته وتجلى ذلك فى الخط العربى والعمارة والزخرفة فى المصاحف والجوامع .

*****



الفصل الثانى

الإسلام وفنون الأدب الحديث

(أ) القصة - الرواية - التمثيلية - المسرحية - المقامة - الملحمة .. إلخ

(ب) الإسلام .. والشعر.

الفصل الثانى

الإسلام: وفنون الأدب

(أ) القصة - الرواية - التمثيلية - المسرحية.. المقامة.. الملحمة)

الأدب: مستودع شعورى هائل للأمة يحمل خصائصها وتصوراتها وعقائدها وتاريخها . . ويحمل فى الوقت نفسه قدراً من التجارب الإنسانية العامة التى تتخطى الحدود ولا تعبأ بفوارق الأجناس واللغات، وانطلاقا من هذا الفهم تدفقت ينابيع الأدب الإسلامى حافلة بالصور الحضارية المتماسكة تلك الصور التى تتفاعل مع الواقع والتاريخ فى كل عصر وصقع . .

ولقد توهم البعض أن فنون الأدب المتنوعة من شعر وقصة . . ورواية . . وتمثيلية . . ومسرحية . . إلخ إما أن يكون موضوعها وقالبها حقيقيا . . أو أن يكون خياليا وحتي النوع الأول لا يخلو من التخيل، حيث يخترع المؤلف شخصيات يُنطقها بأقوال وأمور لم تحدث فى الواقع . وهذا كذب والنفوس واجب ترويضها علي الصدق ومنابذة الكذب والأساطير المختلفة المكذوبة تشرب النفوس الكذب وعدم التحرز منها، وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم . ويل له . . ويل له»[1].

وفى مجموع فتاوى شيخ الإسلام(ابن تيمية)[2] سئل عن الرجل الذى يحدث بين الناس بحكايات كلها كذب فقال: (أما المتحدث بأحاديث مفتعلة ليضحك الناس أو لغرض آخر فإنه عاص لله ولرسوله . .) وقد قال ابن مسعود: (إن الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولا يعد أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجزه . .) . . وإذا حرم الله شيئاً مثل الكذب حرم ما بني عليه وأوصل إليه والفنون الأدبية سبيل إليه فيحوى من الكذب وصدق الرسول ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب..» الحديث رواه أحمد فى المسند وبئست المطية لتوجيه الأمة وترفيهها بما هو كذب عليها وملاعبة لعقولها وإضاعة لوقتها ومالها . .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم .

(٢) ٣٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

وأما إذا كان الأدب حقيقيا فهو قد يجنح باستدلال من سير الأبطال ثم مضاعفتها بالكذب والأوهام كما فى قصة (وضاح) اليمن (وعبيد بن الأبرش) وغيرهما من أحاديث العرب وأخبارها فى جاهلية وإسلام. .وسدا للذرائع يجب البعد عن ذلك تماماً، ويستدل هذا البعض أنه لما نشأت ظاهرة (القصص الكاذب) فى عهد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه بغية الوعظ والتذكير منع ذلك عمر رضى الله عنه النكير على القصاص والمذكرين . . وإنه وإن ظهر أصحاب هذه الفنون الأدبية بمظهر الوعظ وإيقاظ النفوس فهو مرض شهوة حب المال والجاه والظهور. . . وقد أغنانا الله بقرآن يتلى فيه أنواع العبر بل فيه أحسن القصص. . وقد ألف العلماء فى الإنكار عليهم. .تآليف مفردة لشدة خطرهم وعظيم أضرارهم وسموهم الوضاعين .

وخلاصة رأى هذا البعض أنه لا علاقة بين الإسلام كدين والفنون. .فالأديان تبحث عن الحقيقة والفن يبحث عن الجمال وفرق بين الحقيقة التى تتقيد بأنها حقيقة وبين الجمال الذى لا يتقيد بشىء؛ لأنه هائم طليق يسبح فى عالم الخيال. .والأديان تحرص على الأخلاق. .والفن يكره القيود كلها بما فيها قيود الأخلاق. .

ويرد عليهم الأستاذ/ محمد قطب فى كتابه الرائع: (منهج الفن الإسلامى) ويقول ذلك فهم ضيق للدين وللفن على السواء. . إن الدين يلتقى فى حقيقة النفس بالفن فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة. .وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال. .وكلاهما ثورة على آلية الحياة[1]. .

ولقد ابتكر العرب في العصور الإسلامية قوالب أدبية كالمقامات والقصص الخيالية كما فى(رسالة الغفران) وألف ليلة وليلة. .وترجموا كثيراً مثل (كليلة ودمنة) وألف المتأخرون الملاحم الشعبية مثل قصة (عنترة) وسيرة بني هلال إلى غير ذلك من فنون القول وقوالب الأدب. . .

ولقد سئل د/ القرضاوى عن ذلك فقال: إن هذا لا يدخل فى الكذب

---

(١) منهج الفن الإسلامى.

المحظور لأن السامع يعرف جيداً أن المقصود ليس هو إخبار القارئ بوقائع حدثت بالفعل إنما هو أشبه بالكلام الذى يحكى على ألسنة الطيور والحيوانات فهو من باب التصوير الفنى واستنطاق الأشخاص بما يمكن أن ينطقوا به فى هذا الموقف. . كما حكى القرآن عما تكلمت به النملة أو نطق به (الهدهد) أمام سليمان عليه السلام. . فمن المؤكد أنهما لم يتحدثا بهذا الكلام العربى المبين إنما ترجم القرآن عما يمكن أن يقولاها فى هذا الوقت وذلك الموقف. . ويقول القرضاوى. .

(وفي عصرنا يمكننا أن نستحدث من القوالب ما شئنا وأن نقتبس من غيرنا ما ينفعنا كالمسرحية والرواية. . والقصة القصيرة. . إلخ. .) والذى نود تأكيده هنا هو ضرورة الالتزام بالعربية الفصحي والحذر من المحاولات المشبوهة لترويج اللهجات العامية المختلفة للشعوب العربية فإنها تهدف إلى المباعدة بينها وبين القرآن والسنة كما تهدف إلى تثبيت الفرقة والتجزئة الإقليمية التى تحرص بقائها القوى المعادية للعروبة والإسلام. . ويغنى عن ذلك. اللغة السهلة التي تفهم الجماهير العربية بها نشرات الأخبار فى الإذاعة والتلفاز وتفهم بها الصحف التى تطالعها كل يوم. .

كما أن الفصحي هى التى تُقَرِّبُ بين العرب وسائر أبناء الإسلام ممن يتعلمون العربية فإنهم لا يتعلمون إلا الفصحى ولا يستطيعون التفاهم مع الجميع إلا بها).

(ب) الإسلام ..والشعر

(يا بُنَيَّ. .انسب نفسك تصل رحمك. .واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك. .فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ومن لم يصل رحمه ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤدها ولم يعترف أدباً). .من رسالة عمر الفاروق إلي ابنه عبد الرحمن .

الشعر هو علم العرب المسجِّل لأيامهم ووفائهم وأنسابهم وأحسابهم وقيمهم والمجدد لآمالهم وأفكارهم. .يقول ابن سلام الجمحى: (وكان الشعر فى الجاهلية عند العرب ديوان عملهم ومنتهى حكمهم. .به يأخذون وإليه يصيرون[١] ـ وكان العرب يقدسون الشعر وينشدونه على موتاهم[٢] ـ وكان من أوسمة الشرف حيث يرفع من مكانة صاحبه ويخلده. .يقول دعبل الخزاعى:

يموت ردىء الشعر من قبله أهله/ وحيده ـ يبقى وإن مات قائله.

ثم جاء الإسلام. .ومكانة الشعر عند العرب هذه. .فهل ضيق الإسلام على الشعراء؟ يطيب لكثير من النقاد أن يرددوا نغمة باهتة مؤداها أن الشعر فى عصر صدر الإسلام بنوع خاص. .قد أصيب بالركود وضعف المستوى الفنى؛ وذلك لان الإسلام قد كبل الشعراء وضيق عليهم فيما ينظمون. .وألزمهم النظم فى أغراض معينة ضاقت ملكاتهم عن التجويد فيها .

ولعل أول من أثار هذه القضية الأصمعى صاحب كتاب(فحول الشعراء) حيث يقول : ٠الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل في الخير ضعف. .هذا حسان بن ثابت فاحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سفط شعره) ـ وقوله: (شعر حسان فى الجاهلية من أجود الشعر فقطع متنه فى الإسلام لحال النبى ﷺ)[٣].

وقد بنو على هذه الدعوى أن بعض الشعراء فى هذا العصر قد هجر الشعر

---

(١) طبقات فحول الشعراء جـ ١ ص ٢٤.
(٢) الفهرست ص ١٣٨.
(٣) الشعر والشعراء جـ ص ٣٠٥.

واشتغل بتدارس القرآن الكريم مثل ـ لبيد بن ربيعة ـ الذى لم يقل فى الإسلام غير بيت هو:

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتى كسانى من الإسلام سربالا[1].

كما ذهب بعضهم كذلك إلى أن الإسلام حَرَّمَ الشعرَ وناصب الشعراء العداء مستدلا بقوله تعالى:

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ .أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾[2] ويقول ﷺ فيما رواه أبو هريرة:

«لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خيراً من أن يمتلئ شعرًا» وقوله:

«من قال فى الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر». وقوله: **«اللهم من هجانى فالعنه فكان كل هجاء هجانيه لعنه»**[3]. .وقوله عن امرؤ القيس **«ذلك رجل مذكور فى الدنيا منسى فى الآخرة..شريف فى الدنيا خامل فى الآخرة يجيء يوم القيامة وبيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار»**، وهذه القضية ـ فيما نرى ـ ينبغى لها أن تحسم، فالإسلام لم يكّبل الشعر أو يضعفه كما زعم الأصمعى ولم يحرمه كما ذهب إلى ذلك من ذهب محتجا بما سبق ولكنه على العكس من ذلك كان قوة دافعة وأداة قويمة فى توجيه هذا الفن توجيهاً شديداً حتى يكون ترجماناً عن بيئته الجديدة. .ولِمَ لا نقول أن الإسلام قد هذَّب أسلوب الشعر ورقق جوانبه وأضاء معانيه؟

* * *

لقد ورد الحديث عن الشعر والشعراء فى القرآن الكريم فى ستة مواضع. .كما وردت كلمة(شعر) مرة واحدة فى موضع واحد فى سورة يس ووردت كلمة (شاعر) فى أربعة مواضع من القرآن الكريم، ووردت كلمة(الشعراء) فى موضع واحد .

---

(١) المرجع نفسه (٢) الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

(٣) مختصر صحيح مسلم الحديث رقم ٩١٥٠٨ ص٢٩٧ وقد رواه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه والأغانى ٢/ ١٨٥.

والنبى محمد ﷺ لم يكن شاعراً ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾[1] وإنما كان خطيباً ومحدثاً ومع ذلك فإن النبى محمد لم يتجاهل الشعر ولم يرد الشعراء وهو يعلم جيداً أن له مكانةً كبيرة فى نفوس العرب منذ الجاهلية. .لذلك سمع الرسول شعراً فى مدحه ومدح الإسلام الذى بُعِثَ به كما سمع شعراً فى ذم قريش[2]،وفى صدر الإسلام استُخْدِمَ الشعر فى عدة مواقف منها ما كان فى مدح الرسول ﷺ كما جاء على لسان حسان بن ثابت[3].

نبى آتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان فى الأرض تُعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً ... يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا ناراً. .وبشر جنة ... وعلمنا الإسلام فالله يحمد
وأنت الله الحق ربى وخالقى ... بذلك ما عمرت فى الناس أشهد

كما استخدم الشعر فى الحرب النفسية وهى هجاء وذم أعداء الإسلام من المشركين فى مكة واليهود فى خيبر فى المراكز اليهودية. .ومن ذلك قول حسان فى هجاء خيبر على سبيل المثال[4].

لو كنت من هاشم أو من أسد ... أو عبد شمس وأصحاب اللواء الصيد
أو من بنى نوفل أو ولد مطلب ... لله درك لم تهتم بتهديد
أو كنت من زهرة الأبطال قد علموا ... أو من بنى خلف الزهراء الأماجيد
بآل يتم ألا تنتهى سينهكموا ... قبل(اللقاء) بأمثال الجلاميد

ويوم فتح مكة هنأ الرسولَ حسانُ بن ثابت بيوم النصر ورثاه فى القتلى من ذويه وأصحابه فى ميدان الحرب. .وقال فى قصيدة طويلة جاء فيها[5]:

لنا فى كل يوم عيد من معد ... قتال أو سباب أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء

---

(١) سورة يس ٦٩.
(٢) الإعلام فى صدر الإسلام د/ حمزة ص١٩٠.
(٣) ديوان حسان بن ثابت ص٩٦.
(٤) نفس المرجع ص٩٦.
(٥) نفس المرجع ص١١١.

وقال الله قد أرسلت عبدا	يقول الحق أن تقع البلاء
شهدت به وقومى صدقوه	فقلتم ما نجيب وما نساء
وجبريل أمين الله فينا	وروح القدس ليس له كفاء

وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله قال لحسان بن ثبات: «أهجهم أو قال هاجهم وجبريل معك»[1]. . . ويقول الرسول عن شعره: لهذا أشد عليهم من وقع النبل[2]. . . فكيف نقول بعد ذلك أن الإسلام قد حرم الشعر . . وهذه القصائد المفرطة فى اللين التى نسبت إلى حسان لِمَ لا تكون محمولة عليه؟ وخاصة إذا علمنا أن الشعر قبل التدوين قد تعرض كثيرا للانتحال والوضع، وأن شعر حسان لم يسلم من ذلك كما يقول ابن سلام[3]. . وعلى التسليم أن (لبيد) قد هجر الشعر وتحول إلى القرآن الكريم وتدارسه إن صحت هذه الرواية [4] . . فليس معنى ذلك أن الإسلام هو الذى حال دون مضيه فيه ولِمَ لا يكون لبيد قد آثر الاشتغال بهذا النمط المعجز فى بيانه وبلاغته فيما تبقى له من سنى عمره بعد أن قطع في الشعر شوطا طويلا من حياته بمحض إرادته هو، دون أن يُفْرَضَ عليه ذلك فرضا؟ .

وإن كنا نقرأ فى شعر لبيد ما يدل على تأثره بروح الإسلام ومبادئه مما يدل على عدم هجره الشعر فى الإسلام كما ذهب محتجا ببيت تضاربت الآراء من حوله[5].

ولقد سمح الرسولُ عليه السلام للشعراء الملتفين حوله أن يردوا على الشعراء الذين كانوا يهجونه ﷺ تقربا للمشركين . . ولما أنشده حسان قصيدته التى رد بها فيها على سفيان بن الحارث وبلغ قوله .

هجوت محمدا فأجبتُ عنه	وعند الله فى ذاك الجزاء

(١) مختصر صحيح مسلم الحديث رقم(١٧١٤) ص٤٥٨ .

(٢) طبقات الشعراء جـ١ ص٢١٥

(٣) الشعر والشعراء جـ١ ص٢٧٥ .

(٤) الجمهرة ص٣١ .

(٥) الأغانى٤/١٣٥٧ ـ وطبقات الشعراء ١/٢١٦ .

قال له الرسول: جزاؤك عند الله يا حسان[1]. . . وقالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ: كان رسول الله كثيرا ما يقول أبياتك فأقول له:

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه — يوما فتدركه العواقب قد نمى

يجزيك أو يثنى عليك وإن من — أثنى عليك بما فعلت فقد جزى[2]

أما الآيات الكريمة التى يدل أولها على ذم الشعراء فلم تقصد إلى ذم الشعراء جملة[3]. وإنما تعنى مجموعة شعراء المشركين الذين آذوا الرسول والإسلام والمسلمين بشعرهم حسبما نرى . . أما شعراء المسلمين الذين نافحوا عن الدعوة وصاحبها فهم من جملة المستثنين فى قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[4].

* ودليلنا على ذلك ما ذكره عبد القادر الجرجانى بصدد تعقيبه على الآية الكريمة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ . . ﴾[5]. . التى فهمها بعض الناس على أنها تحرم الشعر وتمنع من حفظه وروايته بقوله: (إنا نعلم ﷺ لم يمنع الشعر من أجل أن كان قولا فصلا وكلاما جزلا ومنطقا حسنا وبيانا بينا وكيف ذلك يقتضى أن يكون الله تعالى قد منحه البيان والبلاغة وحماه الفصاحة والبراعة وجعله لا يبلغ مبلغ الشعراء فى حسن العبارة وشرف اللفظ؟ . . وهذا جهل عظيم وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من أنه ﷺ كان أفصح العرب . . وإذا بطل أن يكون المنع من أجل هذه المعانى وكنا قد أعلناه أنا ندعوا إلى الشعر من أجلها ونحدد بطلبه على طلبها كان الاعتراض بالآية محالا والتعلق بها خطلا من الرأى وانحلالا .

وقد قيل أنه بعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة توجه حسان بن ثابت وعبد الله ابن أبى رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله وهم يبكون وقالوا له قد علم الله

(١) العمدة ١/ ٥٣ .

(٢) دلائل الاعجاز ص٧٩.

(٣) الإعلام الإسلامى د/ إبراهيم إمام ص٤

(٤) الشعراء: ٢٢٧.

(٥) يس : ٦٩.

حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبى ﷺ قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وقال أنتم﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قال أنتم﴿وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ قال أنتم(١).

وجاء فى ظلال القرآن لسيد قطب تعقيباً على قوله: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦] أن طبيعة الإسلام لا تلائمها طبيعة الشعراء كما عرفت البشرية فى الغالب، لأن الشاعر يخلق حلماً فى حسه ويقتنع به، فأما الإسلام فيريد تحقيق الحلم ويعمل على تحقيقه ويُحَوِّل المشاعر كلها لتحقق فى عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع.

ثم يقول سيد قطب: ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته إنما يحارب المنهج الذى سار عليه الشعر والفن نهج الأهواء والانفعالات التى لا ضابط لها منهج الأحلام الموهومة التى تشغل أصحابها عن تحقيقها، فأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام وتتضح بتأثيراتها الإسلامية شعراً وفنا وتعمل فى الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة فى دنيا الواقع ولا تكتفى بخلق عوالم وهمية تعيش فيها وتدع واقع الحياة كما هو مشوهاً متخلفاً قبيحاً، فأما عند ذلك فالإسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن كما يفهم من ظواهر الألفاظ ومن ثم ليستثنِ القرآن فى ذلك الوصف العام للشعراء﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾[الشعراء: ٢٢٧] فهؤلاء ليسوا داخلين فى ذلك الوصف العام.

هؤلاء آمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة واستقامت حيلتهم على منهج وعملوا الصالحات فاتجهت طاقتهم إلى عمل الخير الجميل ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام وانتصروا من بعد ما ظلموا فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا إلى نصرة الحق الذى اعتنقوه.

ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها فى إبان المعركة مع الشرك والمشركين على عهد رسول الله ﷺ :حسان بن ثابت. .وكعب بن مالك. .وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم من شعراء الأنصار ومنهم كذلك

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٦ ص١٨٦.

عبدالله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد كانا يهجوان الرسول في جاهليتهما فلما أسلما حسن إسلامهما ومدحا رسول الله ﷺ ونافحا عن الإسلام[1].

والأمر الذى يتفق عليه المفسرون أن هذه الآيات مرتبطة بالمعركة الهجائية التى كانت تدور بين شعراء المسلمين وشعراء مكة المشركين ومن التف حولهم من شعراء القبائل ولذلك لا يصح أن تفهم على إطلاقها وإنما يجب أن تفسر فى ضوء أسباب نزولها[2].

وقد ورد أنَّ عبد الرحمن بن كعب قال للنبى ﷺ: إن الله عز وجل قد أنزل فى الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونه به نفح النبل»[3].

أما حديث أبى هريرة فلقد روى منقوصاً بدليل قول عائشة رضى الله عنها: يرحم الله أبا هريرة حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخره إن المشركين كانوا يهاجمون رسول الله ﷺ فقال: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيراً له من أن يمتلئ شعراً من مهاجاة رسول الله ﷺ»[4].

ويفسر ابن رشيق الحديث الشريف بأن المقصود به هو (من غلب الشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه عن ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن)[5].

ونحن نقول أن هذه الأحاديث قليلة إذا قيست بأحاديثه الشريفة ﷺ التى فيها تنويه للشعر والشعراء فقد كان ﷺ يقدر الشعر الجيد ويثني عليه نظراً لأثره الكبير فى نفوس العرب وأفئدتهم قال رسول الله ﷺ: «لا تدع العرب الشعر حتى تدع الأم الجنين»[6].

كما روى عنه ﷺ أنه قال: «إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب».

---

(١) ظلال القرآن ٥/ ٢٦٢١.   (٢) تاريخ الشعر العربى فى العصر الإسلامى يوسف خليف ص١٤، ١٥
(٣) رواه الإمام أحمد بن حنبل(العمدة ١/ ٣١، ٣٢)
(٤) عمر بن الخطاب وبلاغه لمحمد أبو النصر ص١٧٢.
(٥) العمدة ١/ ٣٢.   (٦) السابق ١/ ٣٠، ٣٧.

وكان ﷺ يوجه الشعراء إلى الحسن من الكلام فيقول: «**إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه**»[1].

وروى الحافظ بسنده.. (وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله ﷺ واستحسنه وأمر به شعراء وعامة أصحاب رسول الله قد قالوا شعرا قليلا كان ذلك أم كثيراً وسمعوا واستشهدوا)[2]. .وقد وصلت إلينا أحاديث كثيـرة عن سماعه ﷺ للشعر وإعجابه به وإثابة قائله وقد علق على أبيات العلاء بن الحضرمى التى يقول فيها:

وحى ذوى الأضغان تسب قلوبهم ... تحيتك القربى فقد ترقع النعل
وإن دحسوا بالكرة فاعف تكرماً ... وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذى يؤذيك منه سماعه ... وإن الذى قالوا وراءك لم يقل[3]

بقوله: إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما أو حكمة[4].

وكان يبدى إعجابه بالشعر الذى يحث على الفضيلة وعلى مكارم الأخلاق فقد أعجب ﷺ بقول عنترة المشهور.

ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أنال به كريم المأكل

فقال ﷺ وما وُصِفَ لى أعرابىّ قط فأحببت أن أراه إلا عنترة[5].

يقول صاحب الجمهرة: (ولم يزل النبي يعجبه الشعر ويمدح به فيثبت عليه ويقول هو ديوان العرب[6]. .ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدى: كان الشعر أحب إلى رسول الله من كثير من الكلام[7].. ولعل موقفه من شعراء المدينة الذين انتدبهـم للرد على شعراء مكة أكبر دليل على تشجيعه للشعر وإكرامه للشعراء.. يروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت أن النبى ﷺ بنى لحسان بن ثابت فى المسجد منبراً ينشد عليه الشعر[8].

(١) العمدة ١/٢٧.
(٢) البيان والبيتين جـ١ ص١٥٣، ١٥٤.
(٣) عيون الأخبار ٢/١٨
(٤) العمدة ١/٢٧ وجمهرة أشعار العرب ٢٩.
(٥) الأغانى ٨/٢٤٣.
(٦) ص٢٩.
(٧) تفسير القرطبى ١٥/٥٢.
(٨) العصر الإسلامى شوقى ضيف ص٧٨.

وزوجه من(سيرين) أخت(ماريا) زوجته الكريمة تعظيماً لفضله وتقديراً لدوره فى دفاعه عن الدين الحنيف وهجاء المشركين ولهذا كان النبى ﷺ يقسم له فى الغنائم بعد عودته من الغزوات كأى محارب شارك فيها بسيفه[1].

* * *

وفى كتب الأدب والتاريخ روايات كثيرة تدل على أن الرسول ﷺ قد استمع إلى الشعر واستنشده بل ورواه وحفظه وكافاه عليه: ومن ذلك أنه لما أنشد قول أمية بن أبى الصلت:

الحمد لله مُمسانا ومُصبحنا ... بالخير صبحنا ومسانا . . إلخ.

قال: إن كاد أمية ليسلم[2] ولما أنشده النابغة الجعدى:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وحدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله ﷺ: «إلى أين يا أبا ليلى؟» فقال إلى الجنة . . فقال الرسول: «إن شاء الله» ولا أدل على رواية الرسول ﷺ من بعض نماذج الشعر مما رواه الزبير بن بكار قائلا: مر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر رضى الله عنه يقول فى بعض أزقة محكمة[3].

يا أيها الرجل المحول رحله ... هلا سئلت آل عبد مناف

فقال رسول الله ﷺ: «هكذا كنا نسمعها» [4] . . كما كان الرسول ترق نفسه للشعر وتهتز له عواطفه فلما أنشدته قُتَيْلة بنت الحارث شعراً لها بعد مقتل أخيها النضر بن الحارث ـ منه:

أمحمد ولأنت نسل نجيبة ... فى قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

---

(١) تاريخ الشعر العربى ١٤. (٢) الأغانى جـ٤ ص١٣٤٣ ط دار الشعب.
(٣) المصدر نفسه جـ١ ص٢٧٩ والعمدة جـ١ ص٥٣.
(٤) دلائل الإعجاز ص١٧٣ والأمالى لأبى على القالى ١/ ٢٤١.

والنضر أقرب من خزلت بزله وأحقهم من كان عتق يعتق

قال: لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته[1]،وقصة كعب بن زهير مع الرسول ﷺ مشهورة فلقد عفا عنه الرسول بعد أن أهدر دمه وقبل توبته وهش إلى شعره وهو ينشد قصيدته المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول[2]

وتذكر بعض الروايات أنه كافأه على هذا الشعر[3] حيث كساه ﷺ بردته الشريفة ومن أجل هذا لقبت قصيدته هذه بالبردة ونال بها كعب شرفاً ومجداً لا يبلى على مر الأيام ومن أقواله عليه السلام: «أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى»[4] وكان عليه السلام يحسن الإصغاء إلى الخنساء ويقول لها: «إيه يا خنساء».

ويروى أنه ﷺ استنشد قصيدة قيس بن الحطيم فلما وصل المنشد إلى قول الشاعر:

أجالدهم يوم الحديقة جاثرا كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

قال: هل كان كما ذكر فلما قيل له نظم شهد له.

وكذلك كان موقف صحابة رسول الله ﷺ، فمنهم من قال الشعر وشجع عليه ورواه بل وأبدى فيه رأيه[5]. . ومن هؤلاء ابن عباس رضى الله عنهما الذى يقول: إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفه فاطلبه فى أشعار العرب. . فإن الشعر ديوان العرب وكان إذا سأل عن شىء من القرآن أنشد فيه شعرا[6]. . وبلغ من حب عمر بن الخطاب رضى الله عنه للشعر وتقديره له أنه كان يرويه. . ويتمثل به ويحث على روايته ويعتبرها من تمام المروءة والمعرفة، وكان يقول لابنه عبدالرحمن (يا بنى انسب نفسك تصل رحمك. واحفظ محاسن الشعر يحسن

(١) الأغانى جـ١ ص١٩، ٢٠ والعقد الفريد جـ٣ ص٢٦٥.
(٢) ديوان كعب ص٦.
(٣) الشعر والشعراء جـ١ ص١٥٤.
(٤) الأغانى جـ٤ ص١٤٢.
(٥) العمدة جـ١ ص٣٢ ـ ٤٠.
(٦) المصدر نفسه جـ١ ص٣٠.

أدبك، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يقترف أدبا).

وقال للمسلمين عامة ارووا الأشعار فإنها تدل على الأخلاق[1] وقال أيضا ارووا من الشعر أعفه ومن الحديث أحسنه ومن النسب ما تواصلون عليه وتُعرفون به فرب رحم مجهول قد عرفت فوصلت ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساويها[2].

وكتب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى يقول: مُر من قبلك يتعلم الشعر فإنه يدل على معالى الأخلاق وصواب الرأى ومعرفة الأنساب[3]. وعنه يقول الجاحظ ما أبرم عمر بن الخطاب أمراً قط إلا تمثل بيت شعر. كما روى عنه قوله: خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته وليستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم[4].

*** النتيجة:**

مما تقدم يتضح أن الإسلام برىء من تلك التهم التى وجهت إليه فهو لم يقلم أظافر الشعراء ولم يقف فى طريق الشعر الذى كان مفخرة من مفاخر العرب وإنما قلم أظافر الشر فى المجتمع العربى ومعها أظافر الشعر الذى يدور حول الشر ويتصل به[5].. وبهذا نرى أن الشعر فى عصر صدر الإسلام لم يضعف ولم يفتر - كما يُظَنُ - ولم يحاربه الدين أو ينكره - كما زعم من زعم - وإنما توجه وجهة جديدة توائم طبيعة الحياة الجديدة بقِيَمِها ومبادئها تلك التى تخالف قيم الجاهلية ومفاهيمها وقد تجدد فى معانيه وموضوعاته واتجاهاته[6]، فقد كان الرسول يوجه الشعراء هذه الوجهة ويدفعهم إليها دفعاً ويحذرهم من اتباع الهوى القديم[7]... وهذا يتفق مع الرسالة التى جاء بها نوراً ورحمة والتى وصفها عليه السلام بقوله: «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .

---

(1) عبقرية عمر للعقاد ص٢٤٤.
(2) جمهرة أشعار العرب ص١٥.
(3) العمدة ١/ ٢٨.
(4) الحيوان جـ٥ ص١٩٠.
(5) تاريخ الشعر العربى يوسف خليف ١٤، ١٥.
(6) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه/ يحيى الجبورى ص٣٩.
(7) نفس المصدر ص٤٣.

ومن هذا الموقف نعرف أن الرسول ﷺ لم يكن ضد هذا الفن العريق ولكن كان معه ما دام أنه يستظل بظلال الدعوة الإسلامية ولا يقف منه موقفاً مخالفاً تعاليمها الكريمة ومثاليتها الرفيعة.

كما تطور الشعر - فى ظلال الإسلام - فى أسلوبه وصياغته ولم يعد فيه مجال لرفث القول والأغراض التى راجت فى الجاهلية وظن القوم أنها طريق الشعر وإلهام الشعراء وما عداها لا يصلح أن يكون معين تجربة شعرية حية يجيد فيها الشاعر كما قال الأصمعي:-

(طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والترحال والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء ووصف الخمر والخيل والحروب والافتخار فإذا أدخلته فى باب الخير لان)[1].

وليس معنى هذا أن تلك الأغراض قد أماتها الإسلام أو حظرها على الشعراء وإنما انتقل بها إلى مفهوم جديد يناسب طبيعته السمحة ولا تأباها تعاليمه القويمة. . واتجه الشعر فى صوره وتشبيهاته وأساليبه إلى بعض ما اشتمل عليه القرآن الكريم من صور بديعة وأساليب جديدة[2].

وفى ذلك يقول د/ شوقى ضيف:(ومن الظلم للإسلام أن يقال أنه كف العرب عن الشعر وأوقف نشاطه فقد كان ينتشر على كل لسان وساعدت الأحداث على ازدهاره لا خموله سواء فى معركة الإسلام مع الوثنيين والمرتدين أو فى الفتوح أو فى معاركه مع خصومه فى العراق. . ولعلنا لا نبالغ إذ قلنا أن الإسلام أزكى جذوته وأشعلها مشعلاً فإن أحداثه حلت من عقدة الإنسان وأنطقت بالشعر كثيرين لم يكونوا ينطقونه[3]. وإذا كنا نتفق مع د/ عبد الحليم حفنى إلى ما توصل إليه من أن(الشعر والدين لا يتفقان كل الاتفاق[4] فعندما سئل حسان بن ثابت لم ضعف شعرك بعد الإسلام يا أبا حسام فقال: إن الإسلام يحجز عن الكذب وإن الشعر يزينه الكذب[5] .

(١) الموشح ص٨٥.
(٢) تاريخ النقطى العربى د/ محمد زغلول سلام جـ١ ص٧٧ وما بعدها.
(٣) العصر الإسلامى ص٤٦.
(٤) الشعراء المخضرمون ص٣١.
(٥) الاستيعاب ٣٤٦/١ .

لقد جاء الإسلام بمقاييس جديدة تحرص على الصدق والخير ومكارم الأخلاق ويروى أن حسان بن ثابت وصف نفسه بالشجاعة فما كان من الرسول إلا أن ضحك لأنه كان يعرف أنه غير محارب[١]. . وننقل هنا قول عمر بن الخطاب فى وصف شعر زهير بن أبى سلمى:(لا يماطل فى القول ولا يتبع وحشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه)[٢]. .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول أنه بالإسلام قد نشأت مقاييس جديدة للشعر إلى جانب معايير فنية أخرى فما اتفقت فيه روح الشعر مع الدين فهو من الشعر فى الذروة وما خالفه فهو كلام الغواة الذى يكون شرا على صاحبه وعلى الجميع[٣].

وفى ضوء هذه المقاييس تشدد عمر مع أكثر من شاعر وقد حبس الحطيئة عندما قال معارضاً بالزبرقان بن بدر:

دع المكارم لا ترح لبغيتهـــــا   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى[٤]

وعندما استعطفه الحطيئة بقوله:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرح   زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة   فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فرق له عمر وخلى سبيله وأخذ عليه عهد الا يهجو أحداً من المسلمين[٥]. . ويقال أنه اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم. . فى حين أقام عمر الحد على بعض الشعراء ونفى بعضهم كأبى محجن الثقفى وجلده لقوله فى الخمر حين أعلن توبته:ـ

---

(١) الأغانى ٤/١٦٦.

(٢) الجمهرة ص٢٥.

(٣) دراسات فى نقد الأدب د/ بدوى طبانة ص٨٣.

(٤) الشعر والشعراء ٣٢٨/١.

(٥) المصدر السابق .

أتوب إلى الله الرحيم فإنه غفور بذنب المرء ما لم يعاود
ولست إلى الهجاء يوماً بعائد ولا تابع قوله السفيه المعاند[1]

وكذلك كان موقفه مع سحيم عبد بنى الحسحاس فقد سمعه ينشد:

ولقد تحور من كريمة بعضهم عرض على جنب الفراش وطيب.

فقال إنك مقتول[2]. .

لقد حرص الرسول الكريم والخلفاء من بعده على أن يكون لهذا الفن الذى هو مفخرة العرب رسالة يؤديها الشاعر لمجتمعه الإسلامى الجديد وأن يصدر هذا الشعر عن القيم الاجتماعية التى حث عليها الدين الحنيف ففرضوا العقوبات على من يخرج عن هذه القيم ويترك لشيطانه العنان. .فيقول فيما نهى الإسلام عنه من الهجاء المقذع والغزل الفاحش. .والتشبب الذى يسىء إلى الأعراض وكرامة النساء. .

وفى رواية القرطبى أن رسول الله قال: من أحدث هجاء فى الإسلام اقطعوا لسانه وقد واجه الإسلام منذ العهد النبوى هذا التيار فأهدر الرسول دماء الشعراء الذين نالوا من الإسلام والمسلمين والذين قتلوا فِعْلاً هم: أبو غفك أحد بنى عمرو ابن عوف وعبد الله بن خطل القرشى ومقيس بن صبابة الكنانى وأبو عزة الجمحى وعصماء بنت مروان وكعب بن الأشرف وأبو رافع سلام بن أبى الحقيف. .وهناك شعراء لم ينفذ فيهم القتل لهروبهم أو توبتهم ودخولهم فى الإسلام مثل: هبيرة بن أبى وهب وأسيد بن أناس وكعب بن زهير والحارث بن هشام[3] وراقب الخلفاء الراشدون التزام الشعراء بالإطار الخلقى الإسلامى وعاقبوا الشعراء الخارجين عليه كالحطيئة وحنابئ البرجمى والأحوص[4]. .ومن هذه التجاوزات الغزل بالغلمان والتجمهر والدعوة إلى معاقرة الخمر والتغنى بها. .والإيمان بالحلول والتناسخ والاتحاد والعبث بالقيم الإسلامية على سبيل الدعابة والزندقة وعوقب بعضهم بالسجن والقتل كما حدث لبشار والحلاج.

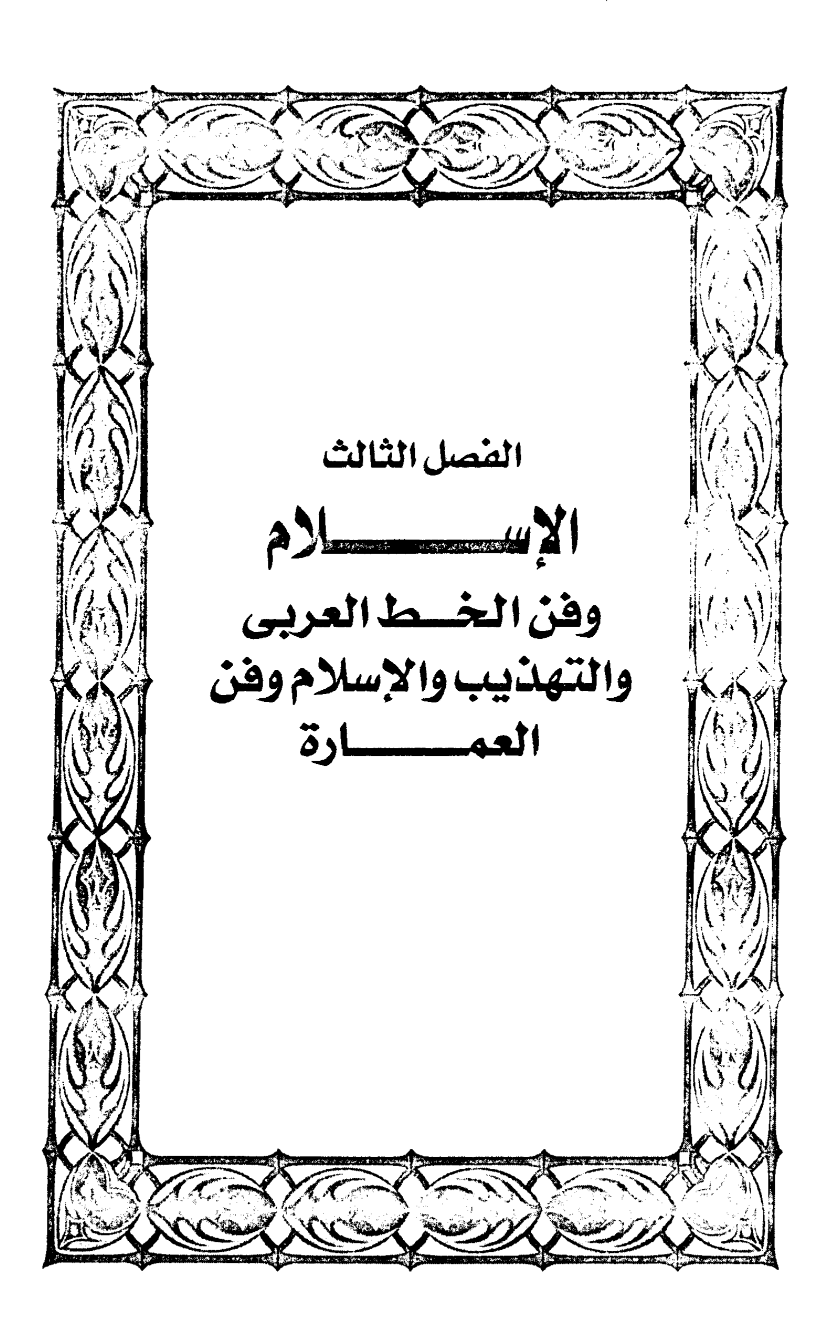
(١) نفسه ١/ ١١٠. (٢) نفسه ١/ ٤٠٩.
(٣) تفسير القرطبى سورة الشعراء آية ٢٢٤.
(٤) سيرة ابن هشام(٥/ ٦٣٦) والطبرى ٣/ ٥٩.

والخلاصة. . نرى أن الشعر حصان جموح لن يسلس قياده إلا للقلة الفذة أنه تدفق عفوى يند عن سيطرة العقل وأحكامه. . تخلق ذاتى يجىء من وراء أبواب الرسم والإرادة والتصميم إنه عالم بذاته. . . ولذاته والشعر الأصيل الملتزم هو الشعر ذو الشخصية الذى يدعو إلى فكرة عظمى ويدافع عن عقيدة كبرى. . وإلا فإنه الهيمان والتفكك والتبرج والانحلال.

●●●●●

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١/١١٦، ١/٣٨٦ والموشح ٢٠٣ وتراث الأوراق ص٤٦ ـ ٤٧.



الفصل الثالث

الإســــلام وفن الخــط العربى والتهذيب والإسلام وفن العمــــارة

(أ) الإسلام. وفن الخط العربى والتهذهيب

الفنون التشكيلية تدركها العين لكن الحديث عن جمال الرسم والتصوير من أصعب الأمور، فالانفعال النفسى يحسه المرء ولا تستطيع الألفاظ تصويره والتعبير عنه كاللذة التى يحس بها الصوفى عندما تروق روحه وتصفو نفسه فيشاهد آثار رحمة ربه.

قلوب العاشقين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون

والأشياء فى اللوحة المرسومة تتكون من الخطوط والألوان التى تعزز عملية الرؤية فتزداد الصورة تركيزاً وعمقاً.

والكتابة العربية ما هى إلا خطوط مجردة كخطوط الرسم فى لوحات الحفر نجد فيها الخط المنحنى الذى يوحى بالاستقرار والخط المستقيم الذى يوحى بالقوة والصلابة والحروف المتشابهة التى تمثل التكرار المنتظم كالوحدات الزخرفية والخطوط المتعرجة والمتموجة والدوائر والأشكال البيضاوية، كل ذلك يشبه الأنغام العالية والمنخفضة فى فن الموسيقى.

والكتابة العربية إذا لاحظناها نجدها خطوطاً أفقية ورأسية والخط الرأسى يعطى الإحساس بالقوة صاعدة أو هابطة، والأفقى يعطى الإحساس بالاستسلام والسكون والتقائهما يعطينا الإحساس بالربط والتلازم، والخط المنحنى يعطينا الإحساس بالضعف والحلاوة والأنوثة ويربط كل ما ذكرنا فى أى تكوين الإيقاع أو التوافق ترتيب مقدر فى الأعمال الفنية كدقات الطبل التى ترقص عليها الراقصة وألحان الموسيقى وتكرار الوحدات فى الإطارات الزخرفية هى بهجة للعين وانشراح للقلب.

ولقد ارتبطت الكتابة بالفن فى أشكاله المختلفة منذ القدم بالتصوير فى العين وبالعمارة فى فنون الإسلام وبوسائل الإعلام فى العصر الحديث. .وقد أوردت المعارف البريطانية برتياميكا تعريفاً لفن الخط العربى وربطت بينه وبين النقش والنحت واللون والكتابة على الصخر والمعادن. .ولقد دفع حرمة التصوير فى أول عهود الإسلام الفنانين العرب إلى توجيه طاقتهم الخلابة لفن الكتابة والزخرفة

فما زالوا يطورونها ويحسنونها حتى بلغوا بها غاية الجمال ووضعوا لها المقاييس الجمالية بكل أنواعها.

ولقد دفع الأسلوب الزخرفى فى الخط العربى الفنانين التطبيقيين إلى إدخال الكتابة العربية فى جميع مصنوعاتهم وإنتاجهم ليس عند العرب فحسب بل وعند الفنانين الأوربيين كذلك، فقد كان الفن القوطى والأسبانى والإيطالى وفن غرب فرنسا يتخذ من الحروف العربية مادة لزخرفة كثير من منتجاتهم الفنية ولم يقتصر ذلك على الفن التطبيقى بل تعداه إلى الفنون التشكيلية خاصة فى عصر النهضة.

ومن الفنانين الذين استعملوا الحروف العربية فى لوحاتهم الفنان المصور (جيوتو) (١٢٧٦ ـ ١٣٣٧م) والمصور الفلورنسى فيليبوليبى(١٤٠٦ ـ ١٤٦٩) فى لوحة تتويج العذراء والمصور فيروكيو(١٤٣٥ ـ ١٤٨٨) أستاذ/ ليوناردو دافنشى فى تمثال داود وذلك باستعماله أشرطة من الخط العربى تزخرف حافة الثوب الذى يرتديه الأشخاص، والفنان باول كلين الألمانى الذى زار تونس ١٩١٤ وقام برحلة إلى مصر. .والفنان كارل جورج هوفر رئيس شعبة الخط فى أوفنتباخ.

وهكذا كان الخط العربى معلما بارزا من أهم معالم الإبداع الفنى عند المسلمين به فله خاصية حضارية ينفرد بها عن سائر الخطوط وينفرد بها المسلمون عن سائر الشعوب، فالخط العربى إلى جانب تعبيره ودلالاته عن القيم الفنية ينقل إلينا من خلال الكلمة مضمونها ومعناها فيلتقى جمال الكلمة مع جوهر المعنى كما تمتزج الثقافة بالفن ليصبحا معاً وسيلة من أرقى وسائل إيصال المعرفة إلى الإنسان. .وقديماً قال أحد الحكماء: إن الكلمات الجميلة المكتوبة بخط أنيق هى بهجة للعين وانشراح للقلب. .ويضرب الخط العربى بجذوره إلى تاريخ سحيق حيث أخذ الحجازيون فى العصر الجاهلى كتابتهم من مدائن صالح والعلا فى شمال الحجاز وكانت نسبة الخطوط إلى المدن التى تحرر فيها معروفة فعرف الخط المدنى والمكى والبصرى والكوفى نسبة إلى المدينة ومكة والبصرة والكوفة.

ولما جاء الإسلام بنوره المبين كانت الكتابة معروفة عند العرب كما رأينا ولكنها نادرة فقدرها القرآن الكريم وقدسها وأقسم بها﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١)

---

(١) سورة القلم الآية : ١ .

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾[1]. . .وغير ذلك من الآيات. .جاء الإسلام وقريش تكتب بالخط النبطى وكان يسمى السريانى وكان نوعية الخط النسخى (الدارج) ولم يكن على درجة كافية من الجمال ولكنه تطور فيما بعد حتى حل محله الخط الكوفى فى التدوين وكتابة المصاحف والخط الحبرى نسبة إلى الحبرة؛ وهى عاصمة غرب العراق قبل الإسلام. .فلما بنى المسلمون الكوفة عامى ١٧ , ١٩ هـ بالعراق بالقرب من مدينة الحبرة طور كتاب الكوفة الخط الحبرى وحسنوه فنسب إلى الكوفة، وأصبح يسمى الخط الكوفى ولا يزال يحمل ذلك الاسم إلى يومنا هذا ولكنه كان غير صاحبه الخط النسخى إذ كان أسلوبه القائم على الطرق الهندسية يعطيه شيء من الجمال.

وفى العصر العباسى اخترع الكُتَّاب أنواعا أخرى فسميت الخطوط بسمك أقلامها(تخانة القلم) كالثلث والتلتين والنصف، وعرف أيضاً قلم التوقيع والدياس نسبة إلى مخترعه الفضل بن سهل وزير المأمون.

لقد نزل القرآن وفى قريش كثير يكتبون منهم سعيد بن زراة، والمنذر بن عمرو، وزيد بن ثابت، وكان يكتب العربية، والعبرية وأسيد بن خضير، ومعن ابن على، وكان يكتب للنبى. .

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية ويزيد أبناء أبى سفيان وسعيد بن العاص وزيد بن ثابت، والزبير بن العوام، وطلحة، وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن سعد وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبى بن كعب وثابت بن قيس. .ولما كان القرآن له موقعه المقدس فى قلوب المسلمين فقد اهتموا به وبالغوا فى تقديسه وإعزازه وأبدعوا فى كتابته بصور مختلفة وقد ورد أن النبى وجه معاوية رضى الله عنه ـ إلى طريقة الكتابة وهو من كُتَّاب الوحى كما قلنا وقال له: (ألق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك)[2].

ويذكر المؤرخون وعلماء الآثار أن أقدم نسخة كتب بها القرآن الكريم بالخط

(١) سورة الأعلى الآيتان: ١٨، ١٩ .

(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن للرقانى ٣٧٧/١ ط عيسى الحلبى

الكوفى نسخة مؤرخة ١٦٨هـ وهى محفوظة بدار الكتب. . . ولقد استعمل الرسول الخط الكوفى فى كتابة رسائله وكتبه التى أرسلها إلى العديد من الملوك والقياصرة فى عهده الشريف يدعوهم إلى اعتناق الإسلام وعرف منه: الخط الكوفى بانتشار الإسلام، حيث استعمل فى النقش على المبانى المعمارية فى تسجيل تاريخ بنائها ومن بناها حفراً غائراً وبارزاً فى أفاريز تحلى باطن العقود أو رقاب القباب والمحاريب والمآذن ونحت على شواهد القبور.

جاء الإسلام وقريش تكتب بأسلوبين الأول يسمونه(التدوير) والثانى(التربيع)

والتربيع هو أصل الخط الكوفى ويعرف باليابس، والمدور هو أصل خط النسخ. . وقد تلازم الخطان منذ نشأتهما، أما خط النسخ فكان خطا دارجاً يكتب به العامة شئونهم الخاصة فى سرعة ودون تجويد أو تحسين ثم عرف خط الرقعة بعد احتلال العثمانيين لمصر، حيث اتخذوا أسلوباً خاصا فى كتابة النسخ وأضافوا إلى القديم نوعاً جديداً هو خط الديوان وخط الإجازة وهو خط يجمع بين خط النسخ وخط الثلث واشتهر بذلك السلطان محمود الثانى.

أما الخط الفارسى فقد عرف منذ القرن العاشر، حيث استخدم فى تحلية تربيعات الخزف فى الرى وقاشان ولم يكد يحل القرن الثالث عشر حتى كان الخط الفارسى قد شاع وانتشر. . وكان أعظم ما أضافه الفرس إلى فن الكتابة العربية أيضاً التهذيب والزخرفة.

وبعد..

فإن كان الفن الإسلامى هو الهدية العظيمة التى قدمتها الحضارة الإسلامية للثقافة الإسلامية فإن الخط العربى هو الترجمة الحقيقية لأحد جوانب هذه الحضارة ومنهجاً جماليا للتعبير عنها. . وإن الخط العربى ثراء معطاء لا يزال يؤثر إلى الآن وبشكل فعال فى معطيات الفن الإسلامى على مر القرون ولسوف يظل فن الخط العربى مصدرا من مصادر الإبداع بفضل نور الإسلام.

●●●●●

(ب) فن المعمار الإسلامى

يذكر العلامة(بوركهارت) عن الفن الإسلامى أنه ينبع من تزاوج الحكمة وفن الصنعة ويقدم لنا بعض جوانب الفن الإسلامى كانبساق مباشر من مبادئ الوحى الإسلامى والكشف الإلهامى للرؤية الإسلامية. .وعصر صدر الإسلام قد تميز بالتقشف والزهد الذى ينبع من تعاليم الدين الحنيف وأصوله والذى ظل سمة مميزة طوال عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، ثم جاء التوسع مع الفتوح الإسلامية فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك وكثرت إيرادات الدولة وزادت الثروة والرخاء، كما عظم الاتصال بحضارات الأمم القديمة بعد فتح أجزاء منها فى القرن السابع الميلادى، حينئذ شهدت الهندسة المعمارية - فى ظل الإسلام - ازدهاراً كبيراً بفضل سماحة عقيدتهم وعمق إيمانهم من أن يخلقوا إرثاً هائلاً من روائع الفن المعمارى فى النواحى الدينية والمدنية والحربية بما فيها من مساجد ومعاهد للعلم ومستشفيات وفنادق وقصور وقلاع وحمامات وغيرها، ولعل من أمثلتها كان مسجد قرطبة وتاج محل.

ومن هذا نرى الأثر العظيم الذى حققه الدين الإسلامى فى جميع هذه الميادين والقرآن الكريم الذى هو مصدر عبادة وتفكير وأسلوب عمل فى الحياة فى ذلك لا يمثل رؤية وتجلياً نهائيا لأصحاب الكتاب فحسب بل هو أيضاً منهاج تأثرت به أساليب الهندسة المعمارية لحضارات مختلفة انصهرت فى عالم الإسلام.

وإبان العهدين الأموى والعباسى فى الفترة من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادى أنجزت مبانٍ عظيمة فى القدس الشريف قبة الصخرة، وفى دمشق الجامع الأموى الكبير، ومدينة سامرا على ضفاف دجلة فى العراق، وشهدت هذه الفترة بالذات الإبداع الإسلامى الخلاق الأصيل الذى تجلى فى تلك المساحات الفسيحة المعمرة التى تتسع لأعداد كبيرة من المصلين.

وشهدت مصر ظهور الفن المعمارى الفاطمى وفن المماليك فى مجموعة من المبانى الجميلة التى تعكس التقدم الذى أحرزه الإسلام بفن العمارة.

وفى تونس والمغرب وإسبانيا، حيث شهد القرن (الرابع عشر م) تقدماً مزدهرا توج بقصر الحمراء بغرناطة ومدارس فاس ومراكش. كما بنى الفرس مساجد ومدارس وفنادق وبلغت أوج الفن فيها فى القرن السابع عشر والثامن عشر م فى ظل حكم الصفويين فى أصفهان.

كما طور الأتراك السلاجقة الذين قدموا من آسيا الوسطى هندسة معمارية فى الأناضول خلال القرون الوسطى غنية فى زخرفها.

وفى الجزء الشرقى من العالم الإسلامى فى الهند التى خضعت لحكم المغول نشأ فن رائع تمثل تاج محل ذلك أفضل تمثيل.

هذا، ويمكن أن نجمل العمران الإسلامى فى المدنية العربية على أربعة أنواع:ـ

١ـ **مبانى دينية:** والتى تمثلت فى المساجد والمدارس والخانقات والربط والتكايا والمرافق والسبل والمآذن.

٢ـ **مبان سكنية:** قصور ومنازل خاصة.

٣ ـ مبان **خدمات** : وتشمل الخان والبيمارستان والحمامات العامة والتكايا والوكالات.

٤ـ **مبان دفاعية:** كالقلاع والحصون والأسوار والبروج.

وقد نالت العمائر الدينية كالمساجد أكبر رعاية تقديراً لمكانتها فى نفوس المسلمين، ويعتبر مسجد السلطان حسن أحد العلامات المميزة للعمارة الإسلامية فى العصر المملوكى فى مصر ومن بصمات الحضارة الإسلامية على أساليب العمارة:ـ

أولاً: تصميم المسجد وتخطيطه: حيث ابتكر المعمار المسلم تصميم بناء المساجد لا يختلف عن النموذج الرائد الذى كان عليه مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة وهو عبارة عن مربع يتوسط البناء ويحف به إيوان من كل جانب ومداخل فتحت فى جدرانه الشمالية والشرقية والغربية ومحراب يتوسط جدار القبلة بالإضافة إلى المآذن التى تقام فى الجدار الشمالى.

ثانياً: المداخل: حيث تمتاز الواجهات والأبواب بالضخامة والفخامة التى تشبه

الأسوار والأبراج فى ضخامتها حتى تقاوم الغزاة وتوقف تقدمهم وترد كيدهم إذا فكروا فى اقتحامها ولهذا يلجأ الأفراد والجماعات إلى المسجد طلباً للحماية وقت الخطر وضماناً للأمن والسلامة.

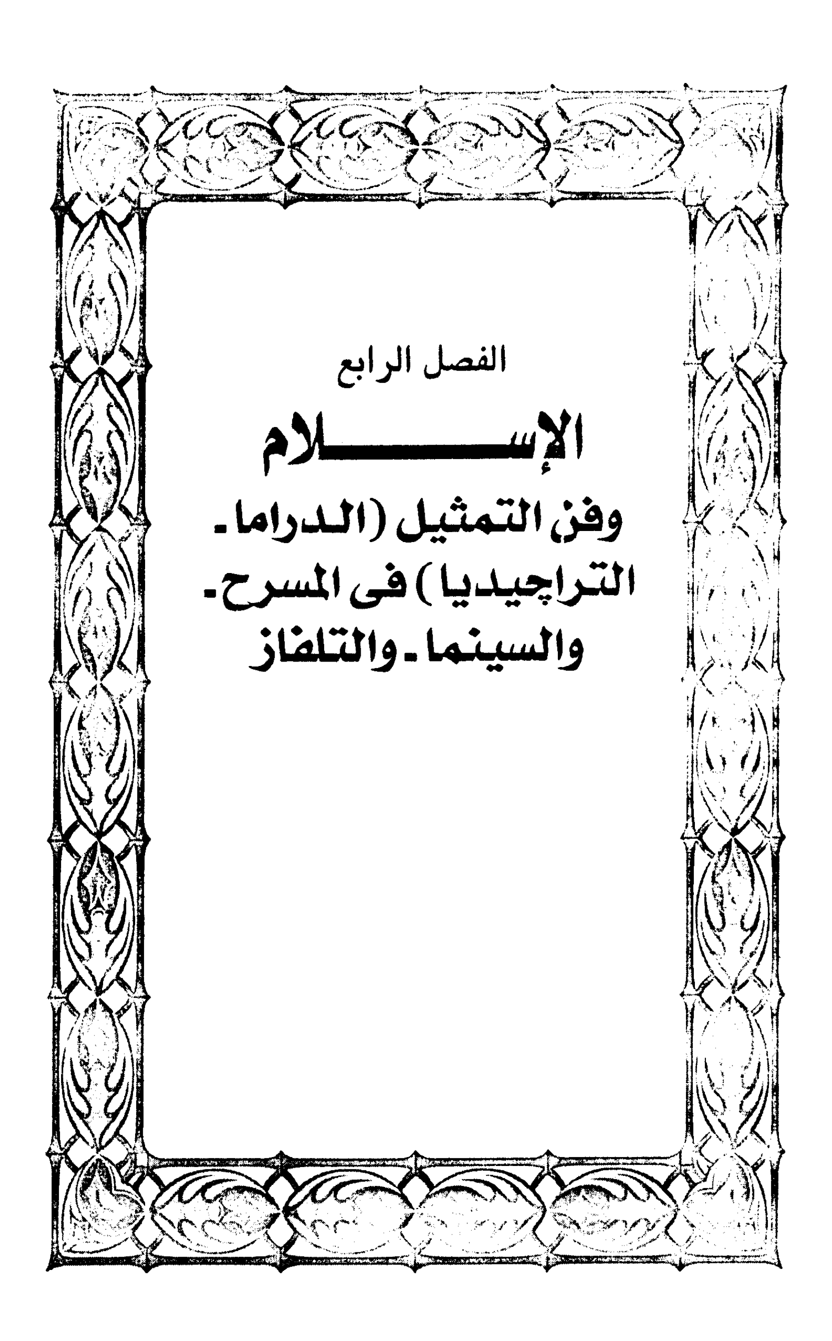
ثالثاً: **المآذن**: بشكلها المستدير أو المضلع العظيم الارتفاع وهيبتها الفخمة التى تعتبر منارة القطب مثالاً لها، ولها شرفات تستخدم للمؤذن الذى يدعو المسلمين لأداء الصلاة والتى بلغت تطوراً معماريا فى نهاية دولة المماليك فى مصر وخصوصاً فى عصر قايتباى(٨٧٣ ـ ٩٠١هـ) ومن أشهر هذه المآذن مئذنة جامع الحاكم.

رابعاً: **المحراب**: حيث يرى المؤرخون أن المحراب دخل فى فن عمارة المسجد فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك وعلى التحديد عندما قام بإعادة بناء المسجد النبوى فى المدينة المنورة. .ويتخذ شكل المحراب دلالة رمزية، حيث تشير قبته إلى السماء فى حين تتصل عتبته بالأرض مما يجعل المحراب صورة معبرة عن كهف العابد والمحراب يدل على الملجأ أو الملاذ والمأوى، فقد ورد فى الآية ٣٧ من آل عمران: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾.

خامساً: **القباب**: فى شكل بصلى وتشيد القبة الكبرى فوق محراب المسجد. .

هذا نذر قليل من الدور الكبير الذى لعبه الإسلام فى تطوير فن العمارة فهل يوجد دين آخر طبع العمارة بطابعه الخاص كما فعل ديننا الإسلامى؟؟

●●●●●



الفصل الرابع

الإســـــلام

وفن التمثيل (الدراما ـ التراچيديا) فى المسرح ـ والسينما ـ والتلفاز

الفصل الرابع

الإسلام وفن التمثيل

المثل والشبيه كلاهما بمعنى واحد تقول العرب: مثل الشيء بالشيء إذا سوى به وقدر تقديره قال الزمخشري[1]. . (وفي حديث آخر: **لا تمثلوا بنامية الله)، أي** بخلقه.

والمحاكاة هي والتمثيل بمعنى واحد، **والمثلية معنى جامع بين مادتي حكى** ومثل وله أسماء أخرى **يُعرف بها مثل التقليد والتشخيص ـ والأراجوز وخيال** الظل.

ومن أنواعه: التراجيديا أو(المأساة) **وهما للحزن منها. . والتياترو وأصل** معناه: (النظر بإعجاب. . والكوميديا أو(الملهاة)[2] **للمضحك منها. والميلودراما** أو(الدراما) **للمزعج منها، حيث إنها تعني حالة أو سلسلة أحداث تنطوي على** تضارب عنيف أو **جمع من قوى مختلفة. . ولقد كان من الطبيعي أن يربط التمثيل** بالمسرح وهو الفن. . **ومهما اختلفت أشكاله وتنوعت في هذا الفن، فالغاية منه هو** محاولة البشر **لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في فهم حقائق الوجود في صورة** **جميلة موحية ومؤثرة بقصد التأثير بإصلاح أو فساد. . . أو لمجرد التسلية والترفيه.**

ويروى التاريخ **أن قدماء اليونان قد عرفوا التمثيل على مسارحهم، حيث ألفوا** **المسرحيات الشعرية ويحفظ لنا أسماء منها: إسخليوس ـ وسوفكليس ـ ويوربيدس** **ـ وأرستوفانس. . حيث كان لكل منهم باع في التأليف المسرحي قبل الميلاد. .** وكانت نشأة **المسرحية في ظل المعابد الوثنية جزءاً من الطقوس الدينية لتقديس** الملوك وتأليههم[3].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[4] ـ **رحمه الله ـ ما يفعله النصارى في عيدهم** المسمى(عيد الشعانين) **من أنهم يخرجون بورق الزيتون ونحوه بزعم المشابهة لما** جرى للمسيح عليه السلام، **حيث دخل بيت المقدس وهم يقلدونه في ذلك يوم** عيدهم المذكور. . **وقد انتشر التمثيل في المعابد الكنسية كجزء من معتقداتهم.**

---

(١) الفائق ٣/ ٣٤٥.
(٢) عن المورد.
(٣) المعجم المفصل ٢/ ١١٤٩ ـ ١١٥٠.
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ١١/ ٤٧٨.

ولكن هل عرف العرب التمثيل قبل الإسلام؟..وبمعنى آخر هل عرفوا فن المسرح فى جاهليتهم؟..فالأخبار الواردة عن ذلك فى بطون الكتب قليلة..ولعلنا نستطيع أن نؤكد هنا أن الشعر والغناء هو الفن الوحيد الذى وصلنا عن العرب بصورة مكتملة ولكن لم نجد فيه قالباً مسرحيا كما فى شعر الإغريق وحتى فى هذه الحالة فعمره التقديرى يمتد قرناً ونصف القرن فقط فى المساحة الزمنية قبل الإسلام..

ومن جانب آخر فإننا لا نجد ذكرا للمسرح بتحريم أو غيره، فما السبب فى ذلك؟

ووجه الحق يمكن أن يتضح هنا من خلال وجهتين:ـ

أولهما: إمكان وجود مسرح بصورة ما مع تحريمه دون نصوص صريحة فى ذلك كما فى حالة الرقص والغناء.

والأخرى: هو عدم وجود المسرح على عهد الإسلام أو الجاهلية القريبة منه.

ويمكن الاعتراض على الوجهة الأولى بقول قائل: إذا سلمنا بإمكان وجود مسرح جاهلى مع عدم وجود نص على ذلك فلن نستطيع التسليم بتحريمه إلا إذا وجدنا نصا على ذلك؛ لأن التحريم لا يكون إلا بنص، ونرد على هذا الاعتراض بأنه لم ينقل أن عهد الدعوة الأول شهد مسرحاً وهذا يعنى عند التسليم بوجوده فى الجاهلية أن الإسلام قد حرمه بصورة ما مما يفسر عدم وجود مسرح فى عهد النبوة.

فالإسلام قد يحرم بعض الأشياء وينفيها عن الحياة وتركها بصورة تلقائية دون دعوة صريحة إلى ذلك، لأنها تخالف فى جوهرها أو فى النتائج المترتبة عليها روح الإسلام ومقاصده كما نجد ذلك فى تحريم الرقص وهذا ما يمكن أن نسميه بالتحريم السلبى.

فالرقص محرم لما يصاحبه من اختلاط وشرب ومعازف ونظر محرم وعرىّ وإثارة للفتن، أى أنه محرم لغيره..وكذلك يمكن أن يكون التمثيل والمسرح..

ولكنا حين نرى القرآن الكريم يترك ذكر المسرح وكذلك السنة النبوية لا تشير

إليه من قريب أو من بعيد والفقه الإسلامى لا يتناوله بالبحث رغم حديثه عن المصالح المرسلة.

كما نرى كذلك التراث النثرى والشعرى لهذه المرحلة يخلو تماماً من إثارة من تمثيلية أو مسرحية فإننا لا نملك إزاء كل هذا إلا أن نرجح أن العرب لم يعرفوا المسرح ولم يمارسوا التمثيل قبل العصر الحديث. وإن كانت باحثة روسية تدعى (ن أ بوتيسفييا) قد حاولت إثبات عكس ذلك فى كتابها(المسرح العربى فى ألف عام وعام)[1].

وتقدم الباحثة تفسيرا فى منتهى الخطورة عن نشأة المسرح العربى يتمثل فى اعتقادها بأن الدين والفن قد ظهر فى فترة متأخرة عن الفن وأخذ عنه رمزيته الفنية... وهكذا فإن عناصر الفن الدرامى لم تكن غريبة على العالم الإسلامى حيث أنجب الدين فن التمثيل كما أنجبت المواكب والطقوس فى كل العصور وعند كل الشعوب الأشكال الأولى للفن تلك الأشكال التى كانت بمثابة المنابع الأولى للعرض المسرحى.

وتتمثل خطورة هذا التفسير فى النظر إلى الدين كنتاج اجتماعى بشرى مثل الفن تماماً وفى الادعاء بأن الدين أنجب فن التمثيل(هكذا؟؟) تم التسوية بين الدين الإسلامى والمواكب والطقوس الوثنية فى كل العصور وعند كل الشعوب. وأكثر من ذلك فالباحثة ترى أن الفرق الدينية أصبحت موطناً للثقافة المسرحية. وكأنى بالكاتبة المذكورة ترى أن الدين الإسلامى أتى ليعلم الناس فن الدراما..

ولكن لماذا لم يعرف الإسلام بعد ظهوره فى الجزيرة العربية الفن المسرحى؟؟

ويقدم لنا الأستاذ (محمد عزيزة) فى كتابه(الإسلام والمسرح)[2] محاولة لوضع نظرية تفسر عدم ظهور المسرح عند العرب فى الإسلام بناها على ما لاحظه جوستاف فون جرونيوم الذى يقول: (أن الإسلام السنى لم ينجح فى خلق فن التمثيل المسرحى رغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية وهذا لا يعود إلى سبب تاريخى قدر ما يعود إلى مفهوم الإنسان فى الإسلام وهو مفهوم يمنع وقوع صراع

---

(١) ترجمة توفيق المؤذن ـ دار الفارابى ـ بيروت.

(٢) ص٢٢.

درامى، حيث حدد أربع صراعات تتوزع الإنسان عموماً داخل المجتمع وتؤدى إلى نشوء الشكل الدرامى هى:ـ

١ـ الصراع العمودى: (مع القوى العليا)، حيث يتمرد الإنسان فيه حين يدافع عن حريته ضد النظام العلوى إرادة الله كما هو فى المسرح اليونانى(بروفيوس المقيد بالأغلال).

٢ـ الصراع الأفقى: (مع المجتمع)، حيث يتمرد الفرد فيه ضد قوانين المجتمع الذى يحيط به وضد العادات والأخلاق السائدة وضد بنية اجتماعية معينة من بنَى الحياة فهو صراع ضد الواقع. . والمثال الواضح لذلك الصراع هو(إنتجونا).

٣ـ الصراع الديناميكى: (مع القدر) ويظهر من خلال رفض الإنسان للاستسلام للمصير المرسوم مسبقاً وحتميته وقدره والتاريخ المقدر والمعاش دراميا وهو ما يمكن أن نسميه الصراع من الزمن ويضرب لذلك مثالاً على هذا الصراع مسرحية(الفرس) الذين تقوقعوا على هزيمتهم وعلى دهشتهم من انهزام القدر.

٤ـ الصراع الداخلى:(مع الذات) ويهجل يعرف القدر بأنه(الشعور بالوجود ولكن الشعور به بشكل عدائى) فأوديب يحمل فى أعماقه جذور مأساته وعذابه فهو الزوج ـ الابن والولد ـ القاتل والضحية والجلاد فى آن واحد، حيث يصبح الإنسان نفسه مصدراً لتعاسته الشخصية. .وهذه الصراعات الأربعة داخل مجتمع ما هى وحدها القادرة على نشوء الفن المسرحى فيه كما حدث فى اليونان وفى بلاد الهند والفرس.

وهل يمكن للمسلم التقليدى أن يضع حريته أمام إرادة الله[1] أو أمام الهيئة الاجتماعية أو الكيان الاجتماعى لمدينيه؟ أو يواجه بها منطق التاريخ والقدر أو أن يكشف أخيراً فى أعماقه إنسانا آخر يصارعه؟.

فليست إرادة الإنسان ندا لإرادة الله موجودة أو متصورة مطلقاً فى الإسلام كما فى التراجيديا اللبنانية شهد بذلك ماسينون حيث يقول:(فالله ـ عند المسلمين ـ هو مصدر وأساسى لكل شىء). .كل شىء يخرج منه وكل شىء يعود إليه إنه

(١) مجلة الناشر العربى العدد الأول ١٩٨٣ ص١٧.

ينبوع كل الأشياء.. وابن طفيل يجعل بطله الوحيد والمتوحد حيّ بن يقظان ويقول: وبما أن المادة فى كل جسد تحتاج إلى شكل. لأنها لا توجد إلا به... فإن كل ما هو موجود لا يوجد إلا بإرادة الخالق).. وإن إرادة الإنسان هى جزء من إرادة الرب الشاملة.. ومن هنا لا يمكننا تصور نشوء صراع يتواجه فيه(الكل) مع شىء صغير منه.. والإنسان ليست له أهمية إلا بكونه قطعة صغيرة فى محرك ميكانيكى كبير فكل شىء يأتى من الرب وإليه يعود كل شىء ويزول ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]..

إن التواصل بالذات الإلهية هو الذى يمنع حركة التمرد - وليس الخوف وحده - لأن التمرد هو النضال قبل أى شىء آخر.

وإذا كان المسلم رجلاً حرا فإن هذه الحرية متصورة ومراقبة من قبل الرب حرية تجعله ينفذ القدر المكتوب عليه فحسب، أى أن الإنسان حر فقط فى إرادة ما يرده الله.

أما لماذا لا يكون هناك فى الإسلام ثورة أنتجونا؟ نقول: أن الإسلام دين ودنيا.. نظم الأمور الدنيوية وقواعد الحياة بالنسبة لكل فرد مسلم وكل جماعة المسلمين كما لاحظ لويس جارديه فى كتابه عن المدينة الإسلامية - أمة واحدة تنظمها التعاليم الجماعية وكل من يخرج عن جماعة المسلمين ولو بمقدار فارق شعرة فإنه يكون كافراً. حينئذ تتقلص الحرية الإنسانية إلى أقصى درجاتها تجاه المتطلبات الاجتماعية المفروضة، ومن الملاحظ أن ثورة الانتجونا تعطينا شعراء ولا تعطينا كتاباً للدراما.

أما صراع الإنسان المسلم مع القدر فليس له وجود، فالتاريخ ليس دراميا وإنما هو دورى حيث عقد الله ميثاقاً مع الإنسان منذ الأزل ﴿ وإذ أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ وبين فترة وأخرى يأتى الأنبياء والرسل الذين يذكرون الناس بهذا الميثاق.. وكما يقول هنرى كوريان: (إن الفكر التاريخى للإسلام يتحرك حركتين متعادلتين «المبدأ والمعاد» لذلك لا يمكننا أن نرى العالم يتطور لأنه لا يسير عموديا بل أفقيا.. وهذا الزمن البعيد غير المحدد والدورى يخلق الأسطورة ولا يمكنه أن يخلق الدراما.. فكل ما

يحدث «مكتوب» ومقدر بالنسبة للمسير العمودى وكل ما يحدث فالمسير الأفقى للزمن المعاش هو «حادث ثانوى». . وكل ما هو مكتوب لم يكتب إلا بسبب عادل مما يجعل المسلم يتحرك فيه بعيداً عن التناقضات والصراع).

ويعزو لويس غارديه: أن يظل الفن المسرحى مجهولاً فى الإسلام إلى صعوبة تنظيم العروض المسرحية فى مجتمع يحارب فيه رجال الأخلاق والمحافظين تمثيل الأدوار النسوية ويعود أكثر من ذلك إلى المعنى الأليم والقدر الإنسانى. . فإن صراع العواطف النفسية الذى يعقب المادة الأساسية للدراما أو التراجيديا وتحليل الطباع الذى تقوم عليه كل الكوميديات الكبيرة إنسانية لم تكن قط من خصائص المجتمع الإسلامى القديم، فهذا العراك بين الإنسان وقدره الذى مجده كتاب المسرح اليونانى لا يتناسب مع مفهوم الحياة ولا مع العلاقات التى تربط الإنسان بخالقه فى المجتمعات العربية الإسلامية.

ويقدم على أحمد باكثير رأيه فى إشكالية وجود مسرح عربى عموماً فيقول:

(ولا شك أن عدم وجود مسرح عربى التى لانعرف له نظيراً عند الأمم الأخرى مرجعها إلى هذا الدين القيم دين التوحيد الذى جعل التقديس لله وحده ولا يعترف بتقديس من سواه من الأشخاص. . ولذلك تعذر عند العرب وجود التمثيل بمعناه المعروف لدى الأمم التى تدين بتعدد الآلهة وتقديسها وإسناد صفات البشرية لها، إذ كان معظم هؤلاء فى الأصل من البشر ممن كانوا ملوكاً عظاماً لهم أو أبطالاً فى تاريخهم فلما ماتوا اتخذوهم آلهة وعبدوهم. .) ويستطرد باكثير فيقول: (وإذا لم يوجد المسرح عند العرب فى جاهليتهم فأحرى ألا يوجد لديهم بعد الإسلام الذى قضى على تلك الوثنية العربية وأعاد إليهم دين التوحيد. كأصفى وأنقى ما يكون التوحيد)[1] ويمكن القول بعد كل ما سبق أن المسرح لم يكن له وجود ملموس عند الجاهليين وإن وجدت بعض عناصره مثل الغناء والرقص والموسيقى وربما التصوير أيضاً ومجالس الشراب والمسامرة وهذه عناصر رفضها الإسلام. .

(١) باكثير: المسرحية من خلال تجاربى الشخصية ـ جامعة الدول العربية ـ القاهرة ١٩٦٤م.

أما د/ محمد مندور ففي اجتهاد فردى منه يرد على السؤال: لماذا لم يظهر المسرح عند المسلمين فى صدر الاسلام؟ فيقول(إن روح الإسلام وطبيعته وتصوره تتعارض مع الدراما عموماً والتراجيديا على وجه الخصوص). . فالدين الإسلامى - فى نظره - قد حال دون ترجمة المسرح الإغريقى القائم على الوثنية وآلهتها وأساطيرها إلى العربية.

ونحن إذ نتفق مع هذا الرأى فى أن هناك تعارضاً حقيقيا بين التصور الإسلامى وتلك المعتقدات من تعدد فى الآلهة وما يصاحب ذلك من إشراك بالله وانتقاء لعقيدة التوحيد التى جاء بها الإسلام إلا أننا فى ذات الوقت نقر بأن الإسلام لم يجد تعارضاً بينه وبين الفلسفة اليونانية فى كثير من مناحيها وخاصة حين استعان المسلمون بالمنطق وهو فلسفة إغريقية - فى تأييد الإسلام بحجج عقلية وفى الرد على المبتدعة الفاسقين فى الاعتقاد والتصور عن أهل السلف والسنة. . ولذلك فنحن نرى - كما يرى الكثيرون من المعتدلين - أن عدم ظهور الفن المسرحى فى صدر الإسلام لم يكن له علاقة بالتحريم الدينى أو التدهور الثقافى وإنما كان امتداداً لعدم التعرف إلى هذا الفن فى الفترة التى سبقت ظهور الإسلام.

وقد وجد لدى بعض الإخباريين ذكر سوابق فى تاريخ حياة العرب الترفيهية والدينية وكان يسمى لديهم(خيال الظل) فقيلت فيه أشعار ونقلت عنه أخبار وكان الولاة بين المنع والجواز، وقد قال فيه ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ كما جاء فى (النجوم الزاهرة)[١]

رأيت خيال الظل أكبر عبرة لمن هو فى علم الحقيقة راقى
شخوص وأشباح تمر وتنقضى وتنفى جميعاً والمحرك باقى

ويعزو المؤرخون ظهور المسرح العربى الحديث إلى الغزوة الأوربية للبلدان العربية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين بتأثير من المسرح الأوربى . . ومن هؤلاء غنيمى هلال الذى يرى أن المسرحيات العربية وجدت فى الآداب

---

(١) جـ٦ ص١٧٦ .

العربية الدعامة الحقة لنشأتها ونهضتها. . وأنه من المقطوع به أن الإيطاليين قد أسسوا في النصف الأول من القرن التاسع عشر مسرحا كان ذا أثر في تهيئة أذهان المواطنين لفهم المسرحيات الحديثة والإقبال على مشاهدتها[1] ـ ولقد كان أول حدوثه في ديار الإسلام بوصفه الحاضر على يد نصراني وهو: مارون النقاش اللبناني، إذ عمل أول تمثيلية عام ١٨٤٠م[2] بعد أن عاد من إيطاليا ليقدم أول مسرحياته: (البخيل) المترجمة عن موليير ثم تلته أسماء لا تنسب للإسلام مثل: أديب إسحق وسليم النقاش ويعقوب صنوع وفرح أنطون ونجيب الريحاني . . . ويقال أن مسرحا فرنسيا قد تم إنشاؤه في مصر عام ١٩٣٧م وكانت كثير من الفرق الأجنبية تأتي لتمثل فيه. .

ومع ذلك فإن التأثير الإيطالي هو الذي ترك بصمته في مصر وقد كتب السائح الإيطالي بلزوني عام ١٨١٥م مؤكدا أنه رأى في شبرا في مصر عروضا مسرحية وأن المسرحيات الممثلة ـ (الحاجي والجميل) (والأجنبي والعربي الفقير) كانت شعبية جدا، أما المغرب فقد عرفت المسرحية بالعربية عام ١٩٠٨م، وفي رأي آخر أن المسرح العربي ظهر في بلاد الشام ومنها إلى مصر على يد أحد الممثلين الدماشقة المتوفي ١٣٢٠هـ وهو : أبو خليل القباني: أحمد بن محمد أغا أفيق؛ حيث قدم مصر سنة ١٨٨٤م ومعه (جوقة) من الممثلين والمنشدين فبدأ بتمثيل (أنس الجليس) واقتبس من الأدب الغربي قصصاً عن كورونيه الفرنسي وغيره وسافر إلى العاصمة العثمانية (الأستانة) حيث منع من الاستمرار فاحترف التجارة بما يسمى (مال القيان).

وبعد هذا نستطيع أن نجزم بأن المسرح عندنا اليوم اقتباس من المسرح الأوربي . . . وكذلك الفن السينمائي إنما هو الآخر صناعة أوربية انتقلت إلينا وإلى كل بلاد العالم. .

●●●●●

(١) تاريخ الأدب للزيات ص ٤٢٦.
(٢) الاعلام للزركلي ١/ ٢٣٥.

• المدرك الفقهى لبيان حكم التمثيل

لِمَ لَمْ نر فيه كلاماً لمتقدمى العلماء نظراً لأنها لم تدخل محيط العبادات ولم تنتشر فى العادات صار تقليب النظر فى تنزيلها على أى من أحكام التكليف على النحو الآتى:

١ـ هل التمثيل: محرم لذاته تحريم غاية فيشمل جميع أقسامه وأنواعه سواء فى العبادات أو العادات؟

٢ـ أم أن أصله الإباحة والحكم عليه بحسب موضوعه فيتنزل الحكم التكليفى عليه حسب موضوعه.؟

٣ ـ أم أن الإباحة لأصله وموضوعه والنهى لم يخف به من بعض المحرمات فيكون من تحريم الوسائل؟

هذه هى القسمة التى يمكن تصورها للمدرك الفقهى حتى يتثنى بيان موجبات الحكم الشرعى فى (التمثيل)، وعموما ينقسم الباحثون فى (التمثيل وحكمه) مذهبين:ـ

أحدهما:ـ يرفضه جملة وتفصيلا لما فيه من محرم ومحظور بشكل عام..

والثانى:ـ يجيزه.

وإذا كان الأمر كذلك فإلى سياق مناقشة أصحاب الرأيين..

الرأى الأول بتحريم التمثيل

١ـ أدلة تحريم التمثيل لذاته:

أولا: التمثيل بدعة:

وهذا الفريق يؤكد أن التمثيل ـ كما رأينا ـ منقطع الصلة بتاريخ المسلمين فى خير القرون وأن وفادته إليهم كانت طارئة فى فترات الاحتلال الأجنبى، وأنه فى القرن الرابع عشر الهجرى استقبلته دور اللهو وردهات المسارح وتسلل من معابد النصارى إلى فريق التمثيل الدينى.. فى المدارس والجامعات إذا علمنا ذلك، فمعنى ذلك أن قواعد الشريعة وأصولها وترقيها بأهلها إلى مدارج الشرف والكمال

تقضى برفضه ورده من حيث أتى.. فالمعلوم أن الأعمال إما عبادات أو عادات (والأصل فى العبادات لا يشرع منها إلا ما شرع الله والأصل فى العادات لا يحظر منها إلا ما حظره الله) (1).

وعليه فلا يخلو التمثيل أن يكون على سبيل التعبد (تمثيل دينى) أو من باب الاعتبار على سبيل (اللهو والترفيه)... فإن كان على سبيل التعبد فإن العبادات موقوفة على نص ومورد (والتمثيل الدينى) لا عهد للشريعة به فهو سبيل محدث والرسول يقول: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» فهو (تمثيل بدعى) وجد فى أمم الكفر ثم وفد لنا. والله يقول ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾.

إنما يحصل العدول عن هدى الكتاب والسنة إلى أمثال هذه الوفادات إذا ضعف أهل الإسلام عن تحمل العلم الشرعى وأعياهم الفقه فيه حينئذ يذهب بهم العجز والخواء إلى هذه المحدثات فكيف نسمح بأن يمثل مسلم دور مشرك بالله فيسجد لشجرة أو وثن دون الله.. لبيان فضل التوحيد؟؟ وأما كان التمثيل فى (العادات) فهذا تشبه بأعداء الله الكافرين وقد نهينا عن التشبه بهم ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء﴾.

ثانيا: التمثيل لا ينفك عن الكذب:

لا يخلو (التمثيل) أن يكون أسطورة متخيلة فهذا كذب يشرب النفوس الكذب وعدم التحرز منه .. عن معاوية بن حيدة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له .. ويل له» (2)..

نعم التمثيل فيه كذب، فالممثل واسمه محمد يسمى فى هذا العرض أو المسلسل إبراهيم وقد ينسب إليه العزوبية وهو متزوج والانحراف وهو مستقيم كل ذلك من أجل ما لا يكاد يجدى إلا إضاعة الوقت.. فإن كان أسطورة فهذا من

---

(1) الفتاوى الاسلامية لدار الإفتاء المصرية ٤/١٩٦

(2) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم.

أساسه اختلاق وإن كان يمثل معينا كصلاح الدين الأيوبى وغيره فإنهم يقولون ـ قال وما قال وفعل وما فعل فى حرجات وتصرفات هى محض افتراء، أو أن يكون (التمثيل) حقيقه بتمثيل معين فهذا محاكاة، والمحاكاة منهى عنها بإطلاق كما فى حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال: «ما أحب أنى حكيت إنسانا وأن لى كذا وكذا» [1] فهى غيبة فعلية وهى كالغيبة القولية فى التحريم سواء.. قال النووى [2]: (ومن ذلك ـ أى الغيبة ـ المحاكاة بأن يمشى متعرجا أو مطاطاً أو غير ذلك من الهيئات مريدا حكاية من يتنقصه بذلك فكل ذلك حرام بلا خلاف) وهذا إيذاء فى جميع الأحوال وسخرية واغتياب «وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» وذكر عن الشاعر دعبل الخزاعى المتوفى سنة ٢٥٠هـ [3] قوله: (ما غلبنى إلا مخنث، قلت له: والله لأهجونك قال: والله لئن هجوتنى لأخرجن أمك فى الخيال) خيال الظل .. وصدق الرسول: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب..» الحديث [4].

ثالثا: من المسلمات أن (التمثيل) لا يحترفه أهل المروءات ولا من له صفة تذكر فى العقل والدين والمروءة من مقاصد الشرع، والشرع يأمر بمعالى الأخلاق وينهى عن سفاسها فكم رأى الراءون (الممثل) يفعل بنفسه الأفاعيل فى أى عضو من أعضائه وفى حركاته وصورته واختلاج أعضائه بل يمثل دور مجنون أو معتوه أو أبله وهكذا..

وقد نص الفقهاء فى (باب الشهادة) على سقوط شهادة المضحك والساخر والمستهزئ وكثير الدعابة قضاء، وقد جاء فى مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية [5] سئل عن الرجل يحدث بين الناس بحكايات كلها كذب فقال: (أما المتحدث بأحاديث مفتعلة ليضحك الناس أو لغرض آخر فإنه عاص لله ولرسوله..

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن الجعد.
(٢) الأذكار ص٢٩٠.
(٣) الديارات للشابشتى ص٤٥.
(٤) رواه أحمد فى المسند من رواية أبى هريرة.
(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣/٢٥٥، ٢٥٦.

قال ابن مسعود: (إن الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولا يعد أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجزه) وبكل حال ففاعل ذلك مستحق للعقوبة الشرعية التى تردعه عن ذلك . .

رابعا: أن الإسلام لما أبيح فيه المزاح والضحك واللهو أبيح فى قوالب معينة وحف بضوابط أما مطلقا فلا . . والتمثيل لا يكون فى حبائله إلا من نزع الحياء منه والحياء من الإيمان ولا إيمان لمن لا حياء له وفى الحديث «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» . . وقد سمى المزاح مزاحا؛ لأنه مزيح عن الحق ومزيح للهيبة عن معتمله. وقد ذكر الغزى المتوفى سنة ٩٨٤هـ فى كتابه (المراح فى المزاح) [١] أن المزاح كان يأتى عند صحابة رسول الله والتابعين عرضا وليس حرفة وبضوابط من الصدق وعدم الاعتداء على عرض . .

خامسا: التمثيل مضيعة للمال والوقت:

فمن ينفق على إعداد الأدوار والأماكن والمجالس من الأموال . . وهو كذلك مضيعة للوقت، فكم من الساعات يضيعها الممثل حتى يحفظ ما سيقوله . . وكلما كان أشد نفاقا فى العرض أعنى تجاوبا كان أنجح تنفق الأموال والأوقات من أجل ماذا؟ ومن يدرى فقد يكون فيه موسيقى وغناء وحكمة فى الإسلام معروف. والتمثيل فى مسلسلاته ومسرحياته التى تستغرق الساعات الطوال عدو كاسر على قتل وقت المسلم وامتصاص للأموال لا سيما وقد صار فنا وحرفة . .

سادسا: أن التمثيل تقمص:

والممثل فى هذا العرض يتقمص شخصية واعظ يأمر باسم الإسلام وينهى . . وذلك أمر حسن فى ذاته ولكن هل الممثل ذلك الرجل فرقة؟

سابعا: أن التمثيل تلون :

وذو الوجهين لا يكون عند الله تعالى وعند الناس مصداقا لحديث رسول الله . . فالممثل يخرج على الناس فى هذا العرض مؤمن وفى ذلك مشرك وملحد يدعو إلى الشرك والإلحاد وقد يقاتل عليه نعم نحن وهو نعلم جميعاً أنه كاذب:

---

(١) المراح فى المزاح للبدر الغزى ص٨ ـ١٣.

فى شركه وحديثه ولكن أليس قد أهان الإسلام الذى يعتقده من أجل... من أجل ماذا؟

ثامنا: أن التمثيل فيه تغيير للخلقة من تحسين أو تشويه:

ولقد علم الناس أن الممثل فى هذا العرض قد يلصق على وجهه ما يشبه اللحية أو يصل شعر رأسه بباروكة وخلافه ولا يقول مسلم أنه يجوز التلاعب بالصور أو تغييرها خاصة إذا كان فى التمثيل ما يؤدى إلى إهانة اللحية أو العمامة.. ومن أجل ماذا؟ نعم من أجل ماذا؟

تاسعاً: التمثيل (محاكاة):

والمحاكاة خاصية (القردة) من الحيوانات والمسلم منهى عن التشبه بالحيوانات يقول الله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر**﴾ الآية.. قال الحافظ ابن حجر [1] (ومن خصال القرد أنه يضحك ويطرب ويحكى كما يراه) فهل نترفع بالمسلمين فضلا عن آدميتهم عن هذا المستوى..

عاشرا: التمثيل نوع من الترف:

والأمة الإسلامية من خصائصها الزهد.. وكيف نسمح لنسائنا المسلمات وقد رقصن مع الرجال ويحاورن ويجادلن وربما انفردن وربما ضحكن أليس ذلك قدوة سيئة للنساء؟ أليس هذا إغراء للعفيفات من بناتنا إلى سلوك هذا الكلام باسم الإسلام... وكنت قرأت أن فيلما عربيا واحدا قبل فيه الممثل الممثلة فقط (٤٨قبلة) يا حسرة على العباد والأخلاق .

أحد عشر: التمثيل بنوعيه (الدينى والترفيهى) ردة فعل لدى المنهزمين من المسلمين.

لمحاكاة الأجانب والأمم الكافرة من أساطير وإلياذات وهمية منسوجة يهرع إليها الناس مثل إلياذة هوميروس والتراجيديا التى اختلقها (إيسكولوس)...

ولما نشأت ظاهرة (القصص الكاذب) فى عهد عمر بن الخطاب بغية الوعظ والتذكر منعه عمر ـ رضى الله عنه ـ وشدد النكير على القصاص والمذكرين.. وقد

---

(١) الفتح لابن حجر ٧/ ١٦٠.

أغنانا الله بقرآن يتلى فيه أنواع القصص والعبر بل فيه أحسن القصص. .

ثانى عشر: ـ أجمع القائلون بالجواز المقيد على تحريمه فى حق أنبياء الله ورسله (عليهم الصلاة والسلام) وعلى تحريمه فى حق أمهات المؤمنين زوجات النبى ـ عليه السلام ـ وولده، وفى حق الخلفاء الراشدين ـ رضى الله عنهم ـ وفى كوكبة الصحابة ومنهم العشرة المبشرين بالجنة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. .

ثالث عشر: ـ أن التمثيل الدينى (الوعى) لا أظن وجود قائل يفتى بمزاولته فى بيت من بيوت الله كصحن المسجد الحرام وأورقة المسجد النبوى وهكذا فى سائر المساجد وهذا دليل على أنه لا يلتقى مع شرف المكان. .

*** توجيه تحريمه لموضوعه وما أفضى إليه**

هناك قاعدة شرعية لا يمكن تجاهلها وهى إذا كان الشىء فى أصله مباحا ثم احتوى على محرم أو أفضى إليه فإنه يكون حراما وهكذا، (فالتمثيل) إذا قيل أنه فى الأصل يلتحق باللهو المباح ثم خالطه محرم أو أفضى إليه فإنه يكون حراما: أداء وكسباً وعرضا ومشاهدة طردا لقاعدة الشريعة المذكورة. . .

ومن هذه الفعلات المحرمة والأقوال المنكرة التى قد يشتمل على واحدة منها فأكثر ما يلى:ـ

١ـ أن يحوى القيام بفعل أو قول عن الله سبحانه وتعالى وتقدس عن أن يشبهه شىء.

٢ـ أن يكون فيه القيام بدور عن أحد من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

٣ ـ أو عن أحد من الصحابة ومن الخلفاء الراشدين وزوجات الرسول.

ومَنْ مِنَ المسلمين يجرؤ على أن يقيس نفسه بعمر وحمزة وعلى وخالد يتقمص شخصيتهم؟ ويكلم الناس كأنه عمر وعلى؟ ففيلم (الرسالة) الذى لم تجرؤ حكومة أن تعرضه فى بلادها والحمد لله فى ذلك يقول الكافر الذى يمثل دور حمزة أسد الله ولرسوله يقول للرسول الكريم: يا ابن أخى إنى لا أفهمك وإنى لا

أدرى ماذا تريد؟؟

ولا شك أن مسلما لو قال هذا الكلام لكذبه فإنه يزعم أن رسول الله عليه السلام ليس صريحا ولا صادقا أنه يريد الله بعونه ويريد تشريده بجهاده، وفى مسرحية تقمص رجل دور خالد بن الوليد سيف الله المسلول وهو فى الجاهلية فإذا بخالد عند صديقة كانت معه فى الجاهلية ولم تزل معه بعد الإسلام؟..

٤ ـ أو عن شخص معين من المسلمين حى أو ميت.

٥ ـ أو مسلم يقوم بدور شيطان أو كافر بالله تعالى.

٦ ـ أو عكسه من كافر يقوم بدور مسلم.

٧ ـ أو مسلم عن حيوان.

٨ ـ أو رجل يمثل امرأة أو عكسه.

٩ ـ أو محاكاة معن على سبيل الإضحاك أو السخرية أو الإيذاء أو محاكاة مجردة.

١٠ـ أو تبنى غير الرشدة.

١١ـ أو يكون التمثيل مركبا من رجال ونساء وما وراء ذلك من خلوة واختلاط ومصافحة وسفر بلا محرم.

١٢ـ عرض دور ولدان شباب مرد حسان.

١٣ـ كشف عورة مغلظة أو غير مغلظة من رجل أو امرأة.

١٤ ـ اشتماله على المعازف والغناء المحرم والرقص من نساء ورجال.

١٥ـ اشتماله على التصوير: فإنهم ينكرون عرض الصور المتحركة ومشاهدتها فى الأفلام ويستدلون بامتناع النبى ﷺ من دخول الكعبة حتى محى ما فيها من صور، وامتناعه من دخول بيت سيدنا على بن أبى طالب لما رأى فيه تصاوير يحكمون بذلك أنه لا يجوز مشاهدة الصور فى البيت ولا فى السينما ولا دخول

مكان تعرض فيه [1].

١٦ـ التزين بزى يسخر منه كاللحى المصطنعة ووصل الشعر.

١٧ـ القيام بأفعال فيها رعونة وسخرية وخرم مروءة.

١٨ ـ اشتماله على قول محرم من السباب والشتم واللغو والقذف والغزل.

١٩ـ احتوائه على الكذب والاختلاق أو فى فرع منها مثل دعوى الزواج والهزل بالطلاق وهذا مشهد صغير يدور فيه حوار بين (البطل والبطلة).

قالت له: وهبت لك نفسي.. قال: وأنا قبلت الزواج منك. قالت متسائلة: ومن يشهد على ذلك؟.. فنظر إلى السماء كأنه يشهد الله عز وجل على ما يقول وفعلا تم الزواج بهذه الطريقة دون ولى ولا شهود بلفظ الهبة..

ولقد أجمع العلماء على أن هبة المرأة نفسها غير جائزة.. وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح [2] وبعد انتهاء الفيلم الذى عرض فى السينما ثم فى التليفزيون اقتنع بعض المشاهدين بصحة هذا الزواج وقد يمارسه.. إن هذا المشهد قد أشاع مفهوما خاطئاً يتنافى مع تعاليم الإسلام وقواعد الزواج التى قررها علماء الشريعة الأجلاء واستقرائها من كتاب الله ومن سنة رسول الله عليه السلام، أما فى دعوى الزواج والطلاق والهزل بذلك فقد يقول لها فى التمثيلية: تزوجتك وتقول قبلت، وقد أخرج الطبرانى عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والعتاق»[3].. وفى رواية أخرى «ثلاث لا يجوز فيهن اللعب: الطلاق والنكاح والعتق»..

٢٠ ـ قيامها على اختلاق أسطورة مكذوبة فى مشوار طويل من الكذب والوهم.

٢١ ـ اشتماله على تعظيم شعائر الكفر كالمعابد الكنسية والوثنية وبيوت النار.

٢٢ ـ اشتماله على مواقف الشعوذة والدجل كالوقوع فى النار وتحت الأثقال.

---

(١) الإعلام بالرد على القرضاوى فى كتاب الحلال والحرام ـ صالح بن فوزان ص١١١.

(٢) انظر تفسير القرطبى جـ ١٤ ص٢١١.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

٢٣ ـ نشر لأخلاق وعادات الكافرين والمبتدعة والفاسقين.

٢٤ ـ الخوض واللعب والاستهزاء وأى من الهزل فى أى من أحكام دين الله وشرعه.

٢٥ ـ اشتماله على أى ناقض للعبادة من الخوف والرجاء والحب والبغض والولاء والبراء.

٢٦ ـ تمثيل قصص وحكايات عن أشخاص لا تصح عنهم فهى قلب لحقائق التاريخ وتشويه له.

٢٧ ـ إفضاؤه إلى نشر رذيلة أو إشاعة فساد ومنكر.

٢٨ ـ نشر الرعب والخوف والقنوط واليأس.

٢٩ ـ إلحاق الأذى بالشخص الممثل غيبا فى لباس أو نطق أو شعور مصطنعة أو هيئة معينة مثل العلماء والزهاد والفرسان.

٣٠ ـ إثارة الشبهات والشهوات.

٣١ ـ إثارة مخطط رهيب لتخدير الأمة وتكوين جيل سلج تافه.

وبذلك يصدق قول الرسول (الأشرة شر) والأشرة: العبث... لذلك نرى البعض قد ذهب إلى المنع مطلقا للتمثيل سدا للذرائع فقد جاء رجل إلى عبد الله ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يسأله عن الرجل يقتل عمدا أله توبة؟ فقال: لا فلما ولى الرجل قال أحدهم لابن عباس كيف قلت له ما قلت؟ فقال رضى الله عنه: رأيت رجلا فى عينيه القتل فخشيت إن قلت له: لك توبة.. أن يقتل.. وذكر أبو هريرة رضى الله عنه أن رجلين سألا رسول الله ﷺ عن قبلة الصائم فأذن لأحدهما ومنع الآخر فقيل فى ذلك: فقال رضى الله عنه: «فأما الأول فكان رجلا كبيرا وأما الآخر فكان شابا... والخبر فى الترمذى، ومن هنا فقد يقع المفتى فى محاذير دون قصد ونية ويخرج السائل بالجواب الذى أراد فتكون فتنة..

وقد ذكروا أن باطنيا يرى إباحة نكاح البنات جاء إلى شيخ فى درسه فسأله عن رجل غرس شجرة وعنى بها وهذبها وشذبها حتى كبرت وأثمرت أليس هو الأحق بثمارها؟ ... فأجاب الشيخ: نعم .. فانطلق الخبيث فرحا بجواب

الشيخ: وقيل للشيخ: إن الذى استفتاك باطنى يرى نكاح البنات . . . وقد الأخذ منك الإذن !!

* واقع التمثيل اليوم

- إن نظرة موضوعية إلى واقع التمثيل سواء من خلال المسرح أو السينما تدل على أنه لا يمكن اعتباره وسيلة حضارية للتقدم وإصلاح حال المجتمع والمحافظة على طهارته وسلامته، بل من الممكن أن نزعم أنه أضحى أداة هدم وإفساد وتخريب لا مثيل لها سواء فى ذلك نظرنا إلى مضمون الأعمال التى تمثل وما فيها من مخاطر عظيمة على شخصية المسلم المعاصر ومجتمعه بل على المجتمع البشرى عامة . .

إن الدراما التى تهدم الأخلاق وتقوض المثل وتخدش الحياء وتشبع الباطل وتنشر الفساد ويصبح تأثيرها خطير يجب أن نقف معها وقفة: حيث تدفع المتلقين لها إلى الرذيلة والجريمة، حيث تصور الجريمة بطريقة جذابة وتزين الرذيلة والفاحشة بكلمات بسيطة ويمكننا أن نقف على أثرها ونقدره تماما إذا علمنا أن الشباب هم أكثر المتعرضين للسينما والتليفزيون، هم على سبيل المثال ونخشى أن بعض الأطفال قد يقلدون أسوأ ما يعرض عليهم فى وسائل الإعلام [1] وبين الحين والآخر نسمع صيحات نذير من خبراء الإعلام يحذرون من تأثير الدراما على الأطفال والشباب ولكنا نفعل ذلك أو نتفاعل عنه، فالأفلام السينمائية والتليفزيونية تسمم العقول وتخرب النفوس من أجل الربح، والمنتجون لا يهمهم شىء تماما كأصحاب المصانع الذين يتركون مخلفات مصانعهم الضارة دون رعاية لأثرها على الناس[2] . .

- ويكفى أن ننظر نظرة فاحصة إلى حياة الممثلين الخاصة والعامة وما فيها من خروج على قيم المجتمع ودينه . . لقد أصبحت أفلام السينما خاصة أداة جبارة

(١) الإعلام التليفزيونى والإذاعى د/ إبراهيم إمام ص٢٢٣ .
(٢) علم النفس الاجتماعى .

لمحاربة الفضيلة والعفة ولموافقة التمسك بقيم الإسلام وتعاليمه، فالأفلام المسرحية جميعها تقريبا اختلاط محرم وتبرج وعرى وغناء مفحش وموسيقا ورقص وقصص مكشوفة... وما يقع كثيرا فى التمثيل بين الممثلين والممثلات مما لا يجوز بين الأزواج ..(وكأنه يعطى دروسا فى الفاحشة لم يبق معها للمثلين والممثلات مما لا يجوز بين الأزواج) سوى أن يعرضوا على الأنظار للناس منظر الفاحشة وأظنهم فعلوها..

- إن أخطار الأفلام والمسرحيات يتسع ويتنوع، فهى أداة غزو ثقافى من الدول المتقدمة...

وغزو اجتماعى تتصدع بتأثيره أركان المجتمع وتهدر اقتصاده سواء من خلال الوقت الطويل الذى يصرف فى مشاهدتها أو الأموال الطائلة التى تنفق فى إعدادها أو استيرادها..

ويرجع تأثير الدراما الخطير ربما يعود إلى أنها تعتمد على عدة عوامل تزيد من فاعليتها هى: (١).

أ - التكرار لهذه المواد: مما يرسخ القيم التى تحتويها القصة أو الفيلم أو المسرحية...

ب - الجاذبية: فالدراما تستخدم كل الوسائل لجذب المشاهدين من موسيقا ومناظر حية وديكورات..

جـ - المشاركة من الجمهور فى المواد والمقدمة نساء/ أطفال / عمال.. إلخ فتربط بينهم وبين المستقبِلينَ حيث تخفق لهم ذواتهم...

د/ النماذج (موجبة وسالبة) وعرض هذه النماذج الموجبة فيه دعوة صريحة أو إيحاء باعتناقها أو بتقليدها وعرض النماذج السالبة يتضمن دعوة صريحة أو إيماء بتشجيعها (٢).

ويحسن بنا أن نسوق هنا بعض الصور التى ترينا الحد الذى وصلت إليه

---

(١) الدراما إلى أين / عاطف زهران الأزهر أكتوبر ١٩٨٩.

(٢) علم النفس الاجتماعى فى المجالات الإعلامية د/زيدان عبد الباقى ص٢٠٢.

الدراما عسانا أن نتدارك ذلك ونعمل على تطهيرها مما يضر بشبابنا وبناتنا وعلمائنا وهذه بعض الصور على سبيل المثال :-

١- المحاولة الدائبة لإظهار بعض من يرتدون ملابس علماء الدين وكذا المدرسين والمربين بصورة ساخرة مما يقلل من منزلة علماء الدين فى أعين العامة كما هو واضح فى مدرسة المشاغبين .

٢- ظهور النساء غير محتشمات فى أحيان كثيرة بلباس البحر أو ملابس النوم بغرض استثارة المشاهدين وقد ساعد ذلك على انتشار أزياء يرفضها الإسلام وعلى انتشار أخلاق تتنافى مع العفة والشرف ومبادئ الأخلاق التى يدعو إليها ديننا وقيمنا. . ومع ذلك العرى نسمع ونشاهد من المناظر ما يخدش الحياء من تقبيل متبادل وعناق بين الرجال والنساء .

٣ - تزييف بعض المفاهيم الدينية مثل الزواج العرفى والزواج بدون ولى وشهود بلفظ الهبة، وقد أجمع العلماء على أن هبة المرأة نفسها غير جائز وأن هذا اللفظ من الهبة، لا يتم عليه نكاح (١).

التليفزيون بين الترفيه والإثارة

فالترفيه مادة لا تستغنى عنها أية وسيلة إعلامية، إذ إن هناك قاعدة عامة إعلامية عندهم تقول أن الخيال يفوق فى الأهمية العنصر الواقعى فى تشكيل آراء الناس (٢).

ولقد ساعدت أجهزة الإعلام عندنا وعلى رأسها التليفزيون فى نشر قيم سلبية استورد معظمها من مجتمعات أجنبية كالعنف وحرية الفتاة المطلقة - وخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية. . والمعنى الحسى للحب. . إلخ حيث غزا التليفزيون بيوتنا فعرض على نسائنا وبناتنا صور المرأة الكاسية العارية فألفت النسوة عندنا ذلك حتى القرى بدأت تتغير وتفكر بعقل (البطلة) فى الفيلم وعلى نفس الطريقة تغيرت العلاقة بين الشباب والفتيات لما رأوا الشاشة الصغيرة تعرض عليهم صورا للعلاقة بين الطرفين

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١٤ ص٢١١.

(٢) المتلاعبون بالعقول ترجمة عبد السلام هارون ص١٠٤

كخروج الفتاة للنزهة مع صديقها وممارسة الحب والخلوة واللمس والعناق والتقبيل . . .

إن الإسلام لم يحرم الترفيه الهادف والموجه الذى تقوم فلسفته مرسومة لصلاح المجتمع والحفاظ على أخلاقه ودفعه إلى العمل والرقى، والمفروض أن تحرص المادة الترفيهية على تقديم مبادئ أو اتجاهات مرغوبة من خلال عملها . . . كما نرى فى أحد الأفلام الأجنبية بطلة الفيلم عارية تماما وتقول لحبيبها فى تدلل وتبذل وعهر: لماذا تفسد علاقة الحب السعيد بالزواج [1] فهل تعد مثل هذه متعة، ففى دراسة أجريت على التليفزيون العربى والبرامج التى يقدمها وتأثير ذلك على الأجيال القادمة اتضح من نتائجها :ـ

أن المادة الدرامية التى يقبل الأطفال على مشاهدتها كثيرا ماتتضمن سلوكيات وأفكاراً بعيدة عن الإسلام وتمثل فى الوقت نفسه أنماطا ثقافية غريبة على المجتمع الإسلامى مما يحدد مساراً آخر لهم نحو الاغتراب الثقافى، ومن تلك السلوكيات المريبة التى يشجعها وينميها: الفردية ـ القسوة ـ العنف ـ التعصب ـ العدوانية ـ الخيانة ـ السرقة ـ الاختطاف ـ الخداع ـ الخوف من المستقبل ـ عدم احترام النظام ـ البخل ـ الهمجية ـ الكسل ـ الكذب ـ ازدواجية الخوف من المستقبل ـ التواكل ـ الميل إلى الشر والحرب ـ عدم تقدير قيمة الوقت [2] .

مما يؤدى إلى التقليد الْمَرَضِى أو غير المرغوب لسلوكيات وأفكار شاهدوها على الشاشة الصغيرة. . وأهم من ذلك الخلط بين الحقيقة والخيال عند الطفل، حيث إن الشاشة تنقل إليه فى الحقيقة والواقع مخلوطة بالخيال، فالطفل الذى يتابع حلقة درامية لا يستطيع أن يتصور أنه فى غير الحقيقة والواقع. . إنه يعرف الممثلين ويرى المأساة على وجوههم ويشاهد كل تفاصيل الحب والغضب واليأس والقتل ومعالم الهدم والدمار. ولا يختلف اثنان أن الوسائل الإعلامية الحديثة من

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى العدد ٢٥٥ ربيع أول ١٤٠٦هـ السلوك المنافى فى الإسلام فى الدراما التليفزيونية المستوردة .

(٢) تتفق البرامج من الخارج فى تلفاز مصر رسالة ماجستير مقدمة من عدلى سيد رضا لكلية الإعلام ١٩٧٩ ص٤ .

مذياع وتليفزيون وفيديو وسينما ومسرح. .إلخ لا بأس بها إن استخدمت فى الخير ونشر العلم وتثبيت العقيدة الإسلامية وتدعيم الأخلاق الفاضلة وربط الجيل المسلم بأمجاده وتاريخه وتوجيه الأمة إلى ما يصلحها فى أمور دينها ودنياها. . وتربية الأبناء إلى ما يقودهم نحو العز والمجد. . أما إذا استعملت لأجل ترسيخ الفساد والانحراف ونشر الميوعة والانحلال وتحويل الجيل الحاضر عن دينه، حيث ترمى إلى هدم الشرف والتوجه نحو الزنا وتشجع على السفور والاختلاط والإباحية والمفاسد الاجتماعية . . وإذا فهى سلاح ذو حدين تستعمل للخير وتستعمل للشر. . وإذا كان الأمر كذلك فقد بات المسلم المعاصر فى حيرة من أمره يتساءل:

هل يجوز اقتناء التليفزيون والمذياع؟ وهل يحل ارتياد السينما أو المسرح؟...

- وفى فتوى للأستاذ عبد الله ناصح علوان عن التليفزيون يقول فيها [1]: مادام التليفزيون اليوم يرمى فى أكثر برامجه إلى هدر الشرف ويوجه نحو الفساد والاباحية ويشجع السفور. والاختلاط. . فإن اقتناءه والاستماع إلى برامجه والنظر إلى مشاهده يعد من أكبر الحرام وأعظم الإثم. . ويستدل عن ذلك بالأدلة الآتية التى تؤيد ذلك ومنها:-

١- أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدين على أن مقاصد الشرع خمسة: حفظ الدين والعقل والنسب والنفس والمال وكل ما يعمل على ضياع ذلك وهدمه فهو حرام، ومن وجهة نظره الخاصة أن التليفزيون يستهدف ضياع العرض وشيوع الزنا والفاحشة ومن ثم يحرم اقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة إلى النظر والسماع. .

٢- يحرم على المسلم أن يشترى التليفزيون ويدخله بيته حفاظا على عقيدة الأسرة وأخلاقها وقطعا لدابر الأضرار، حيث يثير فى الفرد والمجتمع كوامن الغريزة والشهوة تطبيقاً للقاعدة الأصولية الواردة فيما رواه مالك وابن ماجه والدارقطنى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن الرسول قوله: «**لا ضرر ولا ضرار**».

٣ - من القواعد المقررة فى الشريعة الإسلامية قاعدة (سد الذرائع) ومعناها تحريم المباح لكونه يؤدى إلى المحرم وباعتبار أن النظر إلى برامجه الحالية يؤدى إلى

(١) حكم الإسلام فى وسائل الإعلام ص٧ وما بعدها.

الفساد والتحلل صار اقتناؤه يؤدى إلى الفساد والتحلل وصار اقتناؤه واستعماله محرما لكونه يئول إلى أسوأ المفاسد وأحط الأخلاق..

٤ ـ أن أكثر البرامج الترفيهية التى تعرض على الشاشة الصغيرة مصحوبة بالمعازف والغناء الخليع والرقص والمجون ـ وباعتبار أن الاستماع إلى الموسيقا والمعازف الماجنة محرمة كما سيأتى بعد باعتباره أن المجون يترتب على مشاهدته إثارة الغرائز وهياج الشهوات لما يصاحبه من مظاهر الفتنة وتكشف العورات، ففى سورة النور ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ..﴾[النور: ٣٠، ٣١]. والذى نحن عليه من الرأى والفتوى:ـ أن الأجهزة الإعلامية يجوز اقتناؤها شرعا إذا استطاع المسلم أن يتحكم عند الاستعمال فى اختيار البرامج المفيدة النافعة كبرامج الحفلات الدينية والبرامج العلمية التى تتصل بالعلم والتوعية والإصلاح، وبرامج الأخبار المصورة.. وإلا فيصبح اقتناؤها من الحرام..

* بعض محاذير التمثيل... والرأى فى مشاركة المرأة فيه

وأول هذه المحاذير بلا شك هو الصد عن الحق والسقوط فى الفتن، فالواجب خلو التمثيليات من أى تحريف للدين أو تشويه لحقيقته أو دعوة ظاهرة أو مستترة للخروج عليه.

ـ كما يمكن ألا يكون هناك اختلاط بين الرجال والنساء وأن يمنع ما يخدش الحياء أو يمس الأخلاق الفاضلة، فضلا عن أن يدعو إلى فجور وانحلال...

ـ كما يجب ألا يستخدم المعازف المحرمة ولا يكون هناك غناء يحض على الرذيلة ثم لا مجال على الإطلاق للرقص أو التبرج والعرى..

ولعل من أهم الأطروحات التى تطرح فى العصر الحديث عندما نتناول قضية (أسلمة المسرح) إمكانية مشاركة المرأة فى العمل المسرحى لظهورها على خشبة المسرح:

فهل يسمح الإسلام بذلك ويدخله فى نطاق من الجائز الضرورى؟

وللإجابة على هذا التساؤل نذكر ما أورده الأستاذ/ زكى طليمات فى قوله:

إن عدم ظهور المرأة على خشبة المسرح لم يكن عقبة تمنع الفن الإسلامى، فلقد ظل الإغريق يستخدمون ممثلا ذكرا لكى يقوم بالأدوار النسائية على المسرح منذ فجر الدراما الإغريقية ولم يسمح للمرأة بالظهور على خشبة المسرح أثناء عصور الدراما فى كل بقاع أوربا حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى. ولعل استقراءنا للتاريخ المسرحى يكشف لنا أن أول مرة ظهرت فيها المرأة على المسرح كان فى فرنسا عام ١٩٦٧م، حينما أدت دور الفرنسية (كاترين) وكذلك فى إنجلترا فى عهد الملكة إليزابيث عندما قامت بدور (ديدمونة) فى مسرحية شكسبير (عطيل). . . ـ وإننا بعد هذه الحقائق نوجز رأينا فى أن الإسلام قد كفل للمجتمع الإسلامى حمايته مما أودعه الله فيه من رغبات عارمة ربما تفتك به فأمره بغض البصر وحفظ الفرج عما حرمه الله عليه ضمانا لصحة المجتمع وسلامته، ومن ثم لا يكون مباحا ولا جائزا أن تعتلى امرأة خشبة المسرح لتؤدى دوراً إباحيا كان أم عفيفا وهذا من تكريم الإسلام للمرأة وحفظه لها وللرجل عن مواطن الفتن ودروب الهلاك. . .

ونحن نرى ألا تمتهن المرأة التمثيل لأنها مأمورة بالقرار فى البيوت والاحتجاب عن الرجال وعدم إبداء الزينة، ففى سورة الأحزاب ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ...﴾ [الأحزاب:٣٣]، فخير للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يراها الرجال كما قالت السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ . . ونرى أنه لا يمكن تمثيل الرجال أدوار النساء كما كان فى المسرح الإغريقى والرومانى القديمين والمسرح الصينى فى النصف الأول من القرن العشرين؛ لأن الإسلام يحرم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال. . كما أننا لسنا مع الرأى القائل بإجازة اشتراك المرأة فى العمل المسرحى حين تكون من القواعد التى ليس لهن بالرجال حاجة وليس للرجال بهن حاجة ولاسيما فى أداء أدوار الأم العجوزة والجدة الشمطاء. . فقد يكون المراد من وراء هذه الفكرة مدخلا لتقديم مزيد من التنازلات .

وعلى عود للمحاذير فى التمثيل ألا تكون دور العرض السينمائى والمسرحى مأوى للدنس والفساد الخلقى والمنكر وأن تتطهر مما وصلت إليه وما يحدث بين الممثلين من حلف بغير الله من أصنام أو غيرها فهو شرك وما يكون من زواج وطلاق يقع لا محالة فلا هزل فى ذلك كما وضحنا سابقا .

الرأى الثانى: القائل بجواز التمثيل

ـ وأصحاب هذا الرأى يرون أنه لما كان التمثيل معناه تجسيد الحادثة التاريخية أو الواقعة الاجتماعية أو الموقف السياسى.. أو الفكرة التوجيهية بشخصيات بشرية أو صور مادية وحسية.. لتوضح للناس حقيقة هذه الحادثة وتتبلور ماهية هذه الواقعة أو معالم هذا الموقف أو تجسيد هذه الفكرة.

فإننا لو استعرضنا القرآن الكريم فى كثير من آياته وتقصينا أحاديث النبى ﷺ فى كثير من أحاديثه.. لوجدنا أن التمثيل بالشىء المحسوس وتجسيد الفكرة بالصورة المادية أمر لا ينكره إلا مكابر.

* بعض أمثال القرآن العظيم:

١ـ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

قال الإمام الألوسى فى روح المعانى: إن هذا تمثيل للكافر المخذول والمؤمن شبه الأول بمملوك لا تصرف له وهو لإحباط عمله وعدم الاعتداد بأفعاله واتباعه لهواه كالعبد المنقاد الملحق بالبهائم بخلاف المؤمن الموفق وجعله تمثيلا لذلك.

وقال أيضا: هذا تمثيل للمؤمن والكافر بالأبكم ومن يأمر بالعدل هو المؤمن وليس المراد برجلين معينين بل رجلين متصفين بما ذكر من الصفات وعلى كون الغرض من التمثيلين، ففى المساواة بينه جل جلاله وبين ما يشركون.

٢ـ وجاء فى سورة البقرة: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ

---

(١) سورة النحل: الآيتان ٧٥، ٧٦.

سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

قال الإمام القرطبى فى تفسيره: شبه المتصدق بالزراع وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة.. وقال الزمخشرى فى الكشاف: وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عينى الناظر.. وفى ذلك استثارة لمشاعر المنفق المسلم واستجاشة لوجدانه فينفق ماله بلا حساب.

٣ ـ وقال تعالى فى سورة البقرة أيضا: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

قال الزمخشرى: وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبغى وجه الله فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنات وأجمعها للثمر فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة...

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه سأل عنها الصحابة فقالوا الله أعلم.. فغضب وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم فقال لابن عباس ـ رضى الله عنهما:ـ فى نفس منها شىء يا أمير المؤمنين.. قال ـ لرجل غنى يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها.. فرضى ذلك عمر...

٤ ـ وقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (٣) فقد شبه الحياة الدنيا فى زوالها وفنائها بحقيقة النبات الحى الذى لم يدم على حيويته ونمائه حتى يصبح فى النهاية هشيما يابسا مفتتا تذروه الرياح حتى لا يغتر إنسان بمظاهر الحياة الفانية ولا ينخدع بمباهجها الذائلة.. وفى ذلك استثارة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦١.

(٢) سورة البقرة الآية:٢٦٦.

(٣) سورة الكهف. الآية: ٤٥ .

للمؤمن حتى يعمل لهذا اليوم الباقي الخالد، ويقول الله تعالى فى سورة الجمعة: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥] فقد مثل حال اليهود الذين أوتوا التوراة وكلفوا العمل بها فأعرضوا عنها ولم ينتفعوا بها بحال الحمار يحمل على ظهره أحمالا من كتب العلم لا ينتفع بها ولا يعقل ما فيها وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة حتى لا يهمل الإنسان حق الله فى العمل والتكليف.. وفى ذلك استثارة لوجدانه فى امتثاله لشريعة الله والوقوف عند حدوده !! .

٥ - ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) .

قال العلامة الألوسى: وفى الآية إشارة إلى حسن التمثيل كيف والله سبحانه مع عظمته وبالغ حكمته لم يتركه ولم يستح منه وما انفكت الأمثال فى الناس سائرة..

وقال الإمام الزمخشرى: سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ما استنكره ليس بموضع الاستنكار والاستغراب؛ لأن التمثيل إنما يراد منه كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد والله سبحانه وتعالى لما كانت الآلهة التى جعلها الكفار أندادا لله تعالى لا يوجد أحقر منها وأقل جعل بيت العنكبوت لها مثلا فى الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوض فما دونها مثلا فلا يقال للمتمثل استحى من التمثيل بالبعوضة؛ لأنه مصيب فى تمثيله محق فى قوله .

٦ - وفى سورة النحل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] الآية، وهذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى لمن ينقض عهده

---

(١) سورة البقرة :٢٦.

ولا يفى به.. مثله بالمرأة الحمقاء التى تنقض غزلها وتفسده بعد أن تبرمه وأحكمته وقضت فى ذلك وقتا طويلا.. وهذا عمل غاية فى الحمق وفساد الرأى وسوء التصرف.. وقوله أنكاثا جمع نكث وهو ما ينفض من الغزل أو الحبل بعد القتل.. قال الرواة والمحدثون: كانت امرأة فى قريش معروفة تسمى ربطة بنت عمرو بن سعد وكانت خرقاء حمقاء بها وسوسة... فكلما غزلت غزلا من الصوف أو الشعر أو الحرير.. هى وجواريها تعود فتنقضه فهى لا تكف عن العمل ولا تبقى الصوف أو الشعر أو الوبر فينتفع ولا هى تكف عن النقض فيبقى الغزل ينتفع فكذلك الذى ينقض العهد لا هو تركه فى غير عهده ولا هو وَفَّى بعهده حينما عاهد..

* بعض الأمثال من السنة الشريفة

فقد ثبت أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يستعين على توضيح الفكرة للناس بضرب المثل وتجسيد الموعظة أحيانا بالصوت أو بالصورة أو بهما معا ليكون وقع الموعظة فى النفس أعظم وتثبيت الفكرة فى الذهن أرسخ..

- روى البخارى عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - عن رسول الله ﷺ - قال: **«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (اقترعوا) على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم وقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»**..

- روى النسائى فى سننه عن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: **«مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة (فاكهة تشبه البرتقال) ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها..»**.

- عن جابر - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﷺ: **«مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة فكان من دخلها ونظر إليها قال :ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة .. فأنا اللبنة ختم بى الأنبياء»** رواه البخارى ومسلم..

• الملائكة ترشد الخلق من البشر بمواقف تمثيلية:

- عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه سمع النبى ﷺ يقول: إن ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص - وأقرع - وأعمى، أراد الله أن يبتليهم فبعث ملكا أتى كل منهم فى صورته وهيئته.. والحديث كما رواه البخارى واضح فيه مثل الملك فى الهيئة والقول صور الثلاثة وهم مساكين ليتوصل إلى المراد من القصة ولتكون العبرة أوقع فى النفس، فالملك ليس رجلا ولا مسكينا ولا أعمى ولا محتاجا وفعله ذلك لم يقصد به الكذب ولا الخداع وإنما لتوصيل العبرة ترسل بهذه المواقف التمثيلية ليعتبر من هذه المواقف..

- وفى الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الذى جاء فيه (بينما نحن جلوس عند رسول الله - عليه السلام - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وسأله عن الإسلام - ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان وعن الساعة وآمارتها والرسول يجيب والرجل يصدق على ذلك... ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال: يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم.. قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) رواه مسلم من طريق كهمس فى حديث عمر..

ونحن نرى من هذا الحديث أن جبريل لم يأت وحيا كالعادة ولكنه تمثل للصحابة بشرا سويا كما تمثل من قبل لمريم عليها السلام، ثم علم الصحابة أمور دينهم بهذا المشهد العظيم بين معلم ومتعلم من حيث هيئته وجلسته وسؤاله وجوابه..

ولقد كان التمثيل طريق الدعوة إلى الله:

- فهذا هو سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء كما يحكى ذلك لنا القرآن الكريم فى سورة الأنعام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلاَلٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١) . . فإبراهيم عليه السلام قد لجأ إلى هذا الموقف التمثيلى ليتوصل معهم إلى فساد عبادة الكوكب ويحاكى موقفهم فيقول عن رؤية الكواكب: هذا ربى فإذا بالكوكب يأفل ويختفى فيقول أمامهم: لا أحب الآفلين لإظهار فساد رأيهم فى الكواكب، إذ كيف يعبد ويحب من يغيب عن عبادته؟ . . ثم فجأة يرى القمر منيرا فيقول أمامهم هذا ربى فيتكرر الموقف ويريهم سفه عقولهم فى عبادة القمر، كذلك الشمس ويقول: هذا ربى هذا أكبر فإذا بها وبحجمها الكبير تتغيب وتختفى عن عبَّادها فلم يعد فى الكواكب أمامهم فى السماء من يستحق العبادة، وعندئذ يعلن براءته من هذا الشرك وتوجهه إلى الإله الحق ليدعوهم إلى اتباعهم لمنهجه. . ويكون ذلك الموقف والمشهد حجة علمها الله إبراهيم وطريقًا للدعوة أرشده الله إليه. . ثم إن إبراهيم عليه السلام لا يكتفى بتمثيل الحجة باللسان وبيان الحال ولكنه يتدرج إلى التمثيل العملى بكسر الأصنام. . . ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ (٢).

- كما أن إبراهيم عليه السلام يتوصل إلى عدم مشاركة قومه أعيادهم بتمثيل

(١) سورة الأنعام : الآيات ٧٤ - ٧٩ .

(٢) سورة الأنبياء الآيات [٥٨ - ٦٢].

المريض بمرض معد حتى يتركوه ويفروا منه ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (1).

- وهذا سيدنا يوسف عليه السلام يحتال بموقف تمثيلى على أخوته ليستبقى معه أخاه بنيامين ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٠ - ٧٦].

قال الإمام الالوسى فى تفسيره المسمى روح المعانى: وهذا من الظاهر فى الأفعال، حيث بدأ بتفتيش أوعية إخوته قبل وعاء أخيه الشقيق فإذا المفتش بدأ بأوعيتهم مع علمه أن الصاع ليس فيها وأخَّر تفتيش وعاء أخيه مع علمه بأنه ليس فيها تظاهر بأنه لا يعرف فى أى وعاء هذا الصاع ونفيا للتهمة عنه لو بدأ بوعاء الأخ الشقيق..

- وهذا نبى الله سليمان عليه السلام يمثل موقفا رائعا:-

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام فأخبرتاه فقال: ائتونى بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى: لا تفعل رحمك الله هو ابنها.. فقضى به للصغرى**» رواه البخارى ومسلم..

- ومشهد تمثيلى للنبى عليه السلام:

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال:

«**وبينما صبى رضع من أمه فمر راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت**

(1) سورة الصافات الآيات ٨٨ - ٩٣.

أمه: اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الصبى الثدى وتوجه نحوه ونظر إليه فقال: **اللهم لا تجعلنى مثله ثم أقبل على الثدى فجعل يرضع»** قال فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكى إرضاعه بإصبعه السبابة فى فمه فجعل يمصها.. رواه البخارى وهذه رواية مسلم..

- وأمير المؤمنين على بن أبى طالب يمثل بأمر النبى عليه السلام وينام فى بردته ليلة الهجرة حتى يخلص النبى من أعدائه وهم واهمون أنه عليه السلام لا يزال فى بيته وليس النائم عليا رضى الله عنه .

- مشاهير الصحابة يمثلون وهم يجاهدون:

روى البيهقى ومحمد بن عمرو بن إسحق ،وأهل السير أن النبى ﷺ بعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم الطاغية اللاب وتسمى الربة فخرجا وأصحابهما فلما دنوا من الطائف قال المغيرة لأبى سفيان: تقدم أنت على قومك وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرم (موضع بقرب الطائف) ودخل المغيرة فى بضعة عشر رجلا يهدمون الربة فلما نزلوها عشاء باتوا ثم غدوا على الربة يهدمونها فقال المغيرة لأصحابه الذين قدموا معه: لأضحكنكم اليوم من ثقيف فاستكفت ثقيف كلها، أى اجتمعت الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال حزنا يبكين على الطاغية لا يصدق عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتنعة . . فقام المغيرة بن شعبة واستوى على رأس الدابة ومعه المعول وقام معه بنو معتب قومه دريئة بالسلاح مخافة أن يصاب كما فعل عمه عروة بن مسعود .

وجاء أبو سفيان وصمم على ذلك فأخذ الكرزين، أى الفأس وضرب المغيرة الربة بالكرزين ثم سقط مغشيا عليه يركض برجليه فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا: أسعد الله المغيرة قد قتلته الربة.. زعمتم أن الربة لا تمنع بل والله لتمنعن وفرحوا حتى رأواه ساقطا وقالوا: من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها فو الله لا يستطاع أبدا فوثب المغيرة بن شعبة وقال: فبحكم الله يا معشر ثقيف إنما هى لكاع حجارة ومدر فأقبلوا عافية الله ولا تعبدوها، ثم إنه ضرب الباب فكسره ثم تسورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجرا حجرا حتى سواها بالأرض وجعل السادن يقول: ليغضبن الأساس فليخسفن بهم . . فلما سمع ذلك المغيرة حفر أساسها فخربه حتى أخرجوا أترابها وانتزعوا حليتها وكسوتها وما

فيها من طيب وذهب وفضة فبهتت ثقيف وأقبل أبو سفيان والمغيرة وصاحبهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ بحليتها وكسوتها وأخبروه خبرهم فحمد الله تعالى على نصر نبيه وإعزازه دينه وقسم رسول الله ﷺ مال الطاغية من يومه.

وانظر كيف أقرهم النبى عليه السلام على كل صنيعهم عندما عادوا فأخبروه بخبرهم فحمد الله، وتروى السيرة قصة إسلام الحجاج بن علاط السلمى - رضى الله عنه - عندما مثل دوره بإتقان حتى وصل لمقصوده وهو استخلاص ماله من بين المشركين بمكة.. وهذا كله بعلم النبى ﷺ، وأمره، حيث قال عليه السلام الحجاج: قل وأنت فى حل...

- وها هم سادة الصحابة الكرام فى أنبل عمل جهادى لقتل عدو الله ورسوله والمؤمنين: كعب بن الأشرف هذا الملك الداهية الذى أغضب رسول الله يخدعونه ويمكرون به ويتغلبون على مكره ودهائه اليهودى بهذه المشاهد المتكررة فيظهرون له غير الحقيقة ويكذبون عليه بل ويقولون كفرا ليتوصلوا إلى تحقيق غرضهم المشروع وهو قتل هذا الكافر الملعون..

- فانظر كيف أن الصحابة الكرام الذين قاموا بهذا العمل الإسلامى قد أعدوا أدوارهم سابقا واتفقوا عليها وعرف كل واحد دوره فى هذه السلسلة من مشاهد التمثيل وأنهم أتموها وأتقنوها؟ - وهذا هو عبد الله بن أنيس - رضى الله عنه - يتوصل لقتل شيطان العرب بإجادته التمثيل.. هذا المذهب الثانى يتمسك بالتمثيل فى محاولة لبناء مسرح إسلامى وفيلم إسلامى؛ بل لأن أنصار هذا المذهب يدعون إلى ضرورة قيام ذلك...

ويرون أن التمثيل فى السينما والمسرح يمكن أن يلعب دورا هاما فى الدعوة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامى وتقديم البدائل العصرية للفن المستورد بأن تقدم الفن الإسلامى الموعظ لأفراد الصف الإسلامى على صورة ترضى عنها نفوسهم فتحسن استقبالها والانفعال بها.. فإن المسرح يمثل الطريق الأمثل لتوصيل تلك الموعظة فيما تدنوا إليه من فهم صحيح لأمور الحياة أو توضيح جلى لفكرة من الأفكار للوصول بالإنسان إلى النموذج الصالح الذى يعيش بأقصى طاقته فى عالم الواقع ويحاول فى الوقت ذاته أن يحقق المثال والانفصال فى نفسه ولا فى عالمه

بين الواقع والمثال[١] .

- ومن هنا فإن أسلمة المسرح من حيث الحاجة إليه فى نشر الدعوة خارج محيط المجتمع الإسلامى . . . وإصلاح ما يطرأ على المجتمع الإسلامى من آفات يمكن تداركها فى مراحلها المتقدمة وذلك كما نرى يرجع إلى سببين هامين :-

أولهما: أن المسرح فى عمومه: يمثل وسيلة مهمة ونافعة من وسائل التوجيه والتربية وهى وسائل لا غنى عنها للمجتمع الإسلامى سواء فى تربية أبنائه أو دعوة الآخرين إلى بوتقته .

ثانيهما : - أن المسرح من أهم الأسلحة التى يستخدمها أعداء الصحوة الإسلامية للقضاء على مفاهيم الإسلام فى نفوس أبنائه ولمحاولة طمس معالمه عن غير المسلمين، ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى وجود المسرح الإسلامى بتصوره الشامل والمتكامل كمحاولة لوأد هذه الفتن فى مهدها .

• الإسلام والسينما

- لأن السينما أمر واقع وقائم وذو تأثير لا جدال فى البحث فيه . . فإن البحث فى السينما والموقف منها عموما أمر منطقى ومشروع يتمشى مع ما يتحلى به الفيلم من منهج عملى فى مواجهة الحقائق والأوضاع القائمة فيقبلها أو يرفضها أو يعدلها أو يصنعها من جديد .

ويقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه(منهج الفن الإسلامى) :

(أما السينما ففى اعتقادى أنها آخر فن يمكن أن يدخل فى نطاق الفن الإسلامى لا لأن السينما فى ذاتها محرمة ولكن لأنها - ككل فن آخر - تستطيع أن تكون إسلامية حين تتبع مفاهيم الفن الإسلامى)[٢].

- وقد انتشرت مجلة(الدعوة) التى تصدر فى النمسا[٣] تحت عنوان الموقف من القضية الإعلامية فتشير إلى (اعتماد السلبية الكاملة من المسلمين الملتزمين تجاه

---

(١) منهج الفن الإسلامى - محمد قطب .
(٢) منهج الفن الإسلامى - محمد قطب .
(٣) العدد ٨٤.

السينما والتليفزيون، حيث حظروا مشاهدة الأفلام السينمائية وحرموا اقتناء أجهزة التليفزيون على اعتبار أن معظم ما يعرض من خلالها إما سخيف مبتذل وإما مصنوع ليبدد فى المشاهد قيمه الأخلاقية الإسلامية ومرت فترة من الزمن وجد الإسلاميون أنفسهم خلالها مضطرين لاعتماد التليفزيون وسيلة للدعوة بعد أن زاد الإقبال عليه..).

ويرى الأستاذ حسان أبو غنيمة (أن السينما من الفنون بل كفن من أوسع الفنون انتشارا وأكثرها تأثيرا لابد أن يأخذ دوره فى خدمة المفاهيم الإسلامية والحضارة الإسلامية تماما مثل ما خدمت هذه المفاهيم والحضارة فنا من أروع الفنون العالمية ألا وهو(فن العمارة الإسلامية)، بالإضافة إلى الفن التشكيلى الإسلامى وهو فن الزخرفة الإسلامية والمنمنمات وفن الخط العربى الإسلامى بنوعياته وأشكاله المتعددة..).

- وجاء فى كتاب (السينما فى البلدان العربية) رأى للأستاذ جلال الشرقاوى يقول فيه:(إن الفنون يمكنها أن تفعل ما لا تستطيع المدارس ولا حتى الجوامع أن تفعله أن تكون الوسيلة الأصلح لفن الإسلام وحب الإسلام للمثقف وللأمى على حد سواء... إن السينما هى لغة الفن الأسهل إدراكا والأقوى حجة للإقناع).

- ويقول الشيخ أحمد الشرباصى: (إنى أقر مبدأ إنتاج الأفلام الدينية ولكن بشرط أن يقوم الفيلم بواجبه، أى أن يسهم فى نشر مبادئ الإسلام...

- ويقول صلاح ستيته فى بحثه عن (الصورة والإسلام): الحلال والحرام فيها (لكن السينما قبل كل شىء لعبة أخيلة (جمع خيال) ووضعها شبيه بوضع مسرح الدمى الذى لم يحرمه الإسلام)..ويمكن القول أن السينما الإسلامية هى التى تلتقى بمفهومات الإسلام التقاء كليا أو جزئيا يتحدد على ضوئه مدى إسلاميتها..

- يقول الأستاذ محمد قطب: (والفن الإسلامى ليس بالضرورة هو الفن الذى يتحدث عن الإسلام، وهو على وجه اليقين ليس الوعظ المباشر والحث عن إشباع الفضائل..وليس هو كذلك حانق عن العقيدة المجردة مبلورة فى صورة فلسفية..إنما هو الفن الذى يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامى لهذا الوجود..هو الفن الذى يهيئ اللقاء الكامل بين(الجمال والحق)، فالجمال حقيقة فى هذا الكون

والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان فى القمة التى تلتقى عندها كل حقائق الوجود)..

- إن السينما كوسيلة اتصال جماهيرية تجمع ما بين العلم والفن والثقافة وكظاهرة اقتصادية لا يمكن التغافل عنها تظل على أساس مجرد مثلها مثل غيرها من وسائل العصر المتطورة مرهونة بأسس استخدامها لا بطبيعتها المجردة مثلها مثل العلم ذاته..الذى يمكن استغلاله لصالح الإنسانية ولغير صالحها..فالمسألة ليست مرهونة بالأداة ذاتها وإنما بمن يقف وراءها وهكذا هو الأمر بالنسبة للسينما فليس المهم الآلة السينمائية أو تقنيات هذا الفن الجميل الجديد وإنما الأهم هو الإنسان الذي يقف وراء هذه الآلة ويتعامل مع هذه التقنيات..

- والأسباب التى تدفع إلي الدعوة لأن تصنع سينما إسلامية وهى التي تحدد بالتالى مدى ضرورية السينما الإسلامية ومدى الحاجة إليها(وقائى - ودفاعى)..

١- فهى إحدى الوسائل التى نوقف بها مظهرا من مظاهر الغزو الثقافى لأمتنا وطريقة من الطرق التى نواجه بها حملات التشويه والتشكيك والعداء التي يضمها جزء من السينما الأجنبية الواردة إلينا..

٢- وهى وسيلة من وسائل الحد من تأثيرات السينما العربية التى تبتعد في معظمها عن كل ما هو عربي وإسلامى وجاد وجوهرى فى قضايا الأمة العربية والإسلامية ومشكلاتها.. وطريقة من الطرق التى تواجه بها عمليات التخريب والتشويه .. وقتل المشاهد العربى بخبث أو عن نية عبر مئات الأفلام السينمائية السخيفة التافهة، الرديئة التى تبحث عن الربح والتجارة..بالإضافة إلى أن هناك قضايا ذات طابع (إيجابى) تؤكد الحاجة إلى سينما إسلامية فاعلة ومؤثرة وهناك ثانيا سعة التصور الإسلامى والدائرة الفسيحة مما يتيح للسينما الإسلامية مجالات متعددة واختراق عوائق كبيرة لنصل إلى مختلف دول العالم..

وإذا كان الفنان المسلم هو الأجدر والأقدر على صناعة السينما الإسلامية لكن هذا لا يعنى أن الأمر حكر عليه ذلك أن سعة التصور الإسلامى ورحابته تتيح فرصا كثيرة لغير المسلمين للالتقاء بالفن الإسلامى جزئيا أو كليا أو لصناعة فن إسلامى أو سينما إسلامية...

- ويمكن أن يتمحور العمل السينمائى الإسلامى حول التاريخ الإسلامى من حياة النبى إلى حياة الخلفاء الراشدين إلى حياة الأعلام البارزين أو الأحداث البارزة فى التاريخ الإسلامى الطويل. .

- ويقول الاستاذ محمد قطب (ليس من الضرورى أن يتحدث الفن عن الإسلام: حقائقه وعقائده وشخصياته وأحداثه وإن كان من الجائز أن يتناول كل هذه الموضوعات). .ويقول (ومجالات الفن الإسلامى هى كل مجالات مرسومة من خلال النفس المؤمنة المتفتحة بالإيمان). . .

وبمقتضى الشمول والتكامل (فى الإسلام) يعرض لنا الفن الإسلامى حياة البشرية من جميع جوانبها وفى جميع لحظاتها). .(والفن الإسلامى حريص على أن يلفت الحس إلى الناموس الأكبر الذى يحكم الكون والحياة والإنسان إذ الفن الإسلامي موكل(بالجمال) يتبعه فى كل شىء وكل معنى فى هذا الوجود)

- وإن كان هناك عقبات على طريق السينما الإسلامية أهمها:-

١ـ الحلال والحرام:معضلة المرأة: فالانسان هو الكائن الحى الذي يتمحور حوله العمل السينمائى والمرأة نصف هذا المجتمع ولا مداهنة فى أن المرأة لا ينبغى أن تظهر أمام الآخرين إلا مغطاة الرأس محتشمة اللباس فكيف أن نوفق بين هذين الأمرين المعضلين.إن الممثلة المسلمة التى تنفعل بالإسلام وتعامل بصدق مع مفهوماته وتصوراته والتزاماته هى المطلوبة. . .

٢ـ التنظير لسينما إسلامية وينبغي أن يتوافر عليه العلماء والمفكرون والسينمائيون المختصون وفعاليات أخرى عديدة وأن يبذل من أجل هذا البحث الكثير من المجهود والوقت والمال. . .

٣ـ ويزيد من صعوبة هذا الأمر أن أجواء العاملين فى الحقل السينمائى والاستديوهات والصالات كلها أجواء غير إسلامية مما يزيد من صعوبة إعداد الكوادر المدربة لصناعة السينما الإسلامية. . .

٤ـ التمويل: ما نظن أن هناك جهات إسلامية أو غير إسلامية ترضى بتوظيف مثيلاتها من أجل صناعة أفلام مشكوك فى رواجها أو ربحيتها إن لم نقل فى

إمكانية التوزيع على الصالات..

٥- أن الأفلام السينمائية ستكون أدعى لأن تمنع من العرض ولا يسمح بتوزيعها أى ستصطدم لا محالة بمسألة الرقابة الفنية والسياسية

٦- كما أن سلم الأولويات[1] فإن السينما على أهميتها ليست فى أول السلم بالنسبة لاهتمامات المؤسسات الإسلامية بشكل عام وهذا يقلل من الجهود التى تبذل للقيام بها ويخفض من فرص النهوض بها..وهذه العقبات على أهميتها يمكن تذليلها بالتدريج...ولقد ظهر فعلا للوجود فيلمي (عمر المختار) و(الرسالة) للمخرج السورى مصطفى العقاد مما يؤكد أن لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس..ومن أجل هذا كان البحث فى جواز التمثيل الذى لم يكن معروفا أمام الفقهاء المتقدمين لذلك لم يتكلموا فيه ولم يبينوا حكمهُ حيث قام بعض العلماء باستنباط حكمهُ والذهاب إلى جوازه بشروط منها:-

- ألا يؤدى إلى فتنة.

- ألا يكون هناك اختلاط للنساء بالرجال.

- أن يكون الموضوع حاثا على الفضيلة وينهى عن الرذيلة.

- ألا تنهك حرمة السابقين كالصحابة - رضى الله عنهم - فهؤلاء لا يجوز إظهارهم فضلا عن الأنبياء.

- ألا تستعمل آلات موسيقية محرمة.

- ألا تُزَوَّرَ الحقائق من أجل الحبكة والإمتاع والإثارة.

- ألا تظهر النساء أصلا فى التمثيل...إلخ...

- وفى هذا المجال قام الأستاذ محمد حسين بعمل رسالة فى جواز المثل والتمثيل من السنة والتنزيل واعتمد على أسلمة القضية وإحالتها إلى مصادرها الأساسية المعتمدة بعيدا عن إفراط ممقوت أو تفريط مذموم متمثلا فى محاولته مقتضيات العصر ومحكمات الشرع قد اقتبسنا فيما سبق جزءا من أدلته - ولو أن البعض يرد على ذلك فيقول أن القياس على ضرب الأمثال فى الكتاب والسنة

---

(١) محمد وليد حداع / الموقف من سينما إسلامية ص٩١.

قياس مقدوح فيه بقيام الفارق بين المقيس عليه إذ الأمثال قولية أما (التمثيليات) فهى فعلية تمارس بالذوات. .ثم إن ضرب الأمثال فى القرآن قد تنوعت فضرب المثل بالأعمى والأصم وبالعنكبوت ورؤوس الشياطين والكلب والحمار والأنعام والعبد المملوك .

وهكذا فهل يقول المستدل على جواز التمثيل بضرب الأمثال بجواز تمثيل المسلم بدور الشياطين والكلاب والحمير والأنعام. . . .

وهذا إلزام وارد على سبيل التنزيل وإلا فأصل القياس غير سليم. .أما تمثيل جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى وغيره فقياس فاسد لما يلى: وهو أن القدرة على التشكل من خصائص عالم الغيب عن عالم الشهادة فقد جعل الله سبحانه وتعالى الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم تشكيلا حقيقيا كما فى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية. .ففى القرآن أرسل الله تعالى جبريل إلى مريم صورة بشر﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[1]. .وجاءت الملائكة إلى إبراهيم فى صورة بشر وإلى لوط فى صورة شباب حسان الوجوه وجاء جبريل إلى نبينا عليه السلام فى صورة دحية الكلبى وفى صورة أعرابى.

- ومن إعطاء الله لهم القدرة على التشكل ما فى قصة الأقرع والأبرص والأعمى كما أعطى الله الشياطين والجان مثل مجيء الشيطان إلى المشركين يوم بدر في صورة سراقة بن مالك كما تشكل فى صورة كلب أو حيات وقياس(عالم الشهادة) على عالم الغيب فى ذلك قياس فاسد لأنه قياس جزئى وهمى كاذب على تشكل كلى صادق[2]. .

- وقد جاء فى كتاب(بيان للناس) من الأزهر الشريف[3]:(وتمثيل الشخصيات التاريخية تصوير لحياتهم وحكاية لتاريخهم بالقول ولفعل أى بالكلمة والحركة فإن كان صادقا شكلا وموضوعا ويستهدف غرضا شريفا أعطى حكم الخبر الصادق وهو الجواز وإن كان كاذبا فى شكله كيفا وكما أو فى موضوعه قولا أو فعلا أعطى حكم الخبر الكاذب وهو المنع ولا يستباح هذا الكذب حتى لو كان الغرض صحيحا

(١) سورة مريم ١٧ (٢) التمثيل حقيقة تاريخة حكمه/ بكر عبد الله أبو زيد ص٥٣.
(٣) جـ٢ ص٣٣٩ وما بعدها

فهو ليس من الضروريات التى تباح من أجلها المحظورات، ولكن فى حيز ضيق لا يوجد غيره لأداء الغرض. . .

وهذا كله فى الشخصيات العادية أما الشخصيات التي لها قداسة واحترام كالأنبياء الذين جعلهم الله للناس أسوة ومثلهم الخلفاء الراشدين والذين أمرنا الرسول باتباع سنتهم فإن الكذب عليهم تضليل للناس وكغير الخلفاء من الصحابة وعظماء الإسلام الذين تكونت عندنا صورة طيبة عنهم فى أقوالهم وأفعالهم يكون الكذب عليهم إيذاء لهم وكل ذلك منهى عنه ففي الحديث الشريف: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[1].

والكذب عليه عام فى كل ما ينسب إليه من قول أو فعل أو وصف أو تقرير حتى لو كان التمثيل لشخصه بصورة هى فى نظر الممثل أحسن من الحقيقة فهى أيضا كذب وذلك لأهمية الأسوة. .يقول النبى ﷺ :«لا تطرونى - أى تمدحونى - كما أطرت النصارى المسيح لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فبغضى أبغضهم ومن أذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه»[2] ويقول الله تعالى فى الإيذاء العام: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[3] . .

هذا، وقد أخرجت دار الإفتاء المصرية فتواها بشأن تمثيل شخصية نبى من الأنبياء أو زوج أو ولد أو والدته، فأجاب المفتى حينذاك فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق بتاريخ ٧ أغسطس ١٩٨٠ بهذه العبارة: (عصمة الله لأنبيائه ورسله من أن يتمثل بهم شيطان مانعه من أن يمثل شخصياتهم إنسان ويمتد ذلك إلى أصولهم وفروعهم وزوجاتهم وصحابه الرسول ﷺ)[4] يؤكد هذا الحديث الشريف الذى رواه أنس - رضى الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: «من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لايتمثل بى» وفى رواية أبى هريرة «من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولكأنما فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى»متفق على صحته. . .

---

(١) رواه البخارى ومسلم ٢٩ رواه الترمذى.

(٢) رواه الترمذي وابن حبان.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٥٨ .

(٤) الفتاوى الإسلامية - المجلد العاشر ص٣٥٣٤.

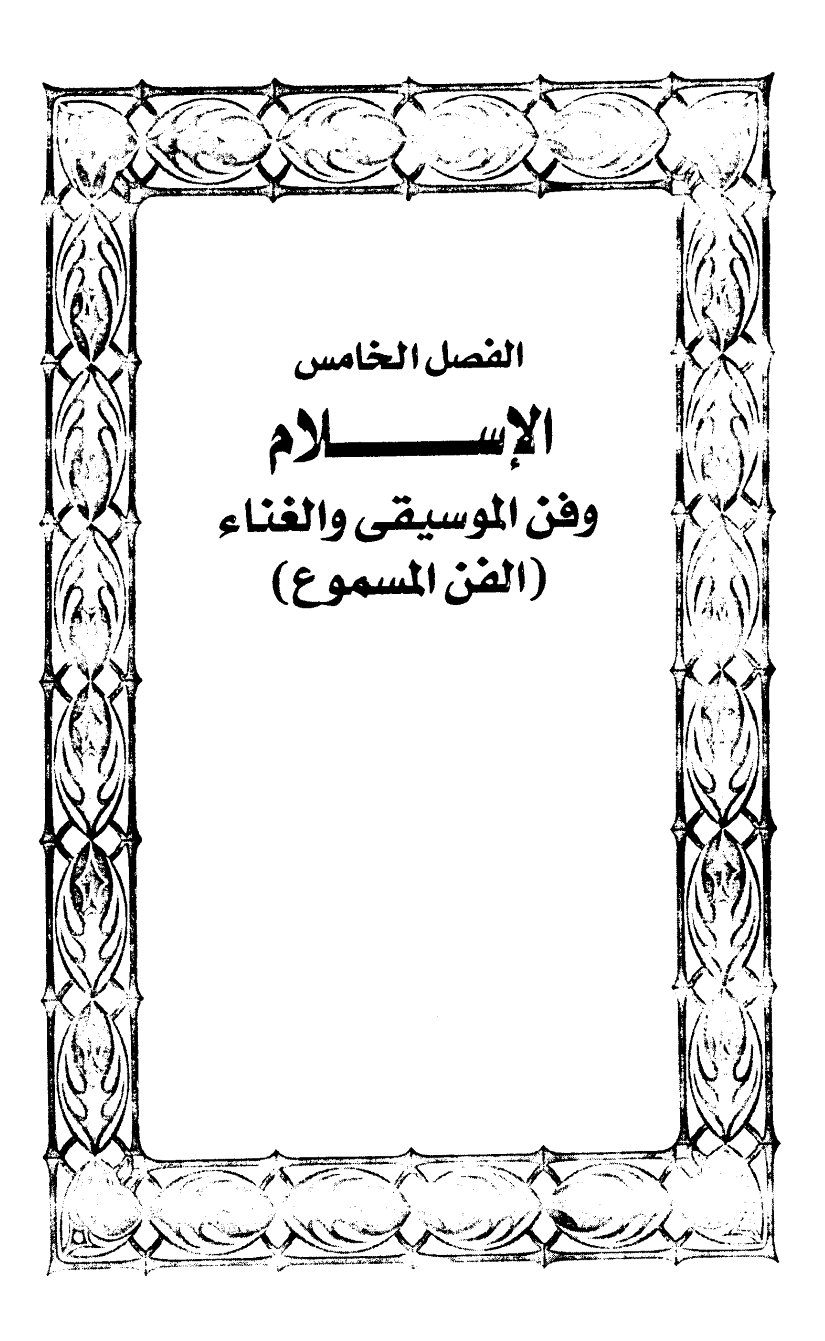
ـ كما جاء فى فتوى الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله تعالى بتاريخ ٧ مايو ١٩٥٠م أنه (اجار إخراج فيلم عن الإسلام بشرط عدم التعرض لأى موقف للرسول ﷺ ولا لأى أحد من آله وخلفائه بحيث لا تظهر فيه صورة أو يسمع صوت لأى واحد من هؤلاء)[1].

ـ وفى شهر ذى القعدة ١٣٩٧هـ ـ أكتوبر ١٩٧٧م أكد المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية ما أقره المجمع من قبل من عدم إنتاج فيلم يتناول بالتمثيل صاحب الرسالة أو أحد أصحابه الكرام ولا يجوز السماح بعرضه صيانة لشخصية الرسول الكريم وأصحابه الأجلاء من التعرض لما لا يليق بمنزلتهم المصونة. .ويطالب المؤتمر بمراقبة الأفلام السينمائية والتمثيليات قبل عرضها ومنع ما يتعارض فيها مع تعاليم الدين الحنيف.

ـ ومما تجدر الإشارة إليه أن التصوير السينمائى ينطبق عليه ما ينطبق على ما سبق أن قلناه بشأن التصوير الضوئى(الفوتوغرافى) حلالا وحرمة عندما تعرضنا لموقف الإسلام بالنسبة إلى الرسم والتصوير.

---

(١) الفتاوى الإسلامية ـ المجلد الرابع ص١٢٩٧.



الفصل الخامس

الإســـــلام

وفن الموسيقى والغناء

(الفن المسموع)

الفصل الخامس

الإسلام...والموسيقى والغناء(الفن المسموع)

يقول فضيلة الشيخ عطية صقر[1]: (موضوع الغناء كثر الحديث فيه والخلاف حوله) .وكما يقول البدر بن جماعة: (تباينت الطرق فى هذه المسألة تباينا لا يوجد فى غيرها وصنف فيها العلماء تصانيف ولم يتركوا لقائل مقالا . .وملخص القول فيها: أن الناس أربعة أقسام: فرقة استحسنت ـ وفرقة أباحت وفرقة كرهت. . وفرقة حرمت. وكل هذه الفرق على قسمين: منهم من أطلق القول، ومنهم من قيده بشرط، وأبو الطيب الطبرى ألف فى الغناء وكتابه: تحريم السماع ـ والإمام الغزالى تحدث بتوسع عنه فى كتابه (الأحياء) ـ وعقد السهرورى بابا خاصا عنه فى كتابه عوارف المعارف، وكذلك ابن القيم فى كتابه (مدارج السالكين) ولابن حجر الهيثمى كتاب(كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع).

* **أدلة المحرمين للغناء: من الكتاب: ـ**

١ـ ما جاء فى سورة الإسراء ما قاله الله تعالى فى خطابه لإبليس عدوه.

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[2].

قال مجاهد من أئمة التفسير: عن ابن عباس رضى الله عنه (صوت الشيطان: الغناء والمزامير واللهو)، وقال الضحاك أيضا: (صوت الشيطان فى هذه الآية هو صوت المزمار). . وروى عن الحسن البصرى: قال صوته هو الدف. .

٢ـ والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[3]. .قال ثعلب: الزور هنا مجالس اللهو. .وقال الزجاج قيل الزور: مجالس الغناء، وقال أبو حنيفة: الزور: اللهو والغناء، وروى عن مجاهد : الزور: الغناء، وقال قتادة والكلبى: مجالس الباطل ولذلك سمى الغناء باطلا. .

(١) ندوة الغناء فى الإسلام ٩ شوال ١٤٠٠هـ ـ ١٩ أغسطس ١٩٨٠/ منبر الإسلام.
(٢) الإسراء :٦٤.
(٣) الفرقان :٧٢. .

وقال البغوى: يعنى إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراما مسرعين معرضين﴿ والذين هم للغو معرضون﴾ [المؤمنون : ٣].

٣ـ والآية الثالثة: قوله تعالى في سورة النجم: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾(١) قال عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه: السمود هو الغناء بلغة حِميَر، وهى إحدى القبائل العربية. . .وقال: يقال: إسمدى لنا يا فلانة: أى غنى لنا. .وقال عكرمة فى تفسير الآية: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ليصدوا الناس عن القرآن بالغناء فنزلت الآية﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ إلى﴿ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾؛ ولهذا سمى السلف الصالح الغناء: قرآن الشيطان لأنه يعارض به القرآن ويشغل به عنه وعن ذكر الله كما يصد به عن الله تعالى. .وقال مجاهد؛ هو الغناء يقول أهل اليمن: سمد فلان إذ غنى وقال أبو زبيد:ـ

وكان العزيف فيها غناء   للندامى من شارب مسمود

وقال ابن الأنبارى: السامد اللاهى. . .والسامد الساهى والسامد المتكبر والقائم ويرى ابن القيم أن الغناء يجمع هذا كله ويوجبه ويقول ابن تيمية (ومن الفحشاء والمنكر استماع العبد مزامير الشيطان والمغنى هو مؤذنه الذى يدعو إلى طاعته فإن الغناء رقية الزنا.

٤ـ الآية الرابعة: من سورة لقمان : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٢). . . قيل أن هذه الآية نزلت فى ابن خطل اشترى جارية تغنى بالسب حكاه أبو حيان فى تفسيره. .

قال الواحدى وغيره من أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء قال ابن عباس رضى الله عنهما وهو قول ابن مسعود ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن جيد وأكثر المفسرين . . وأخرج ابن جرير فى تفسيره: حلف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بالله الذى لا إله إلا هو ثلاث مرات إنه الغناء يعنى لهو الحديث فى هذه الآية وقال الحسن البصرى نزلت هذه الآية فى الغناء والمزامير . . .وذكره ابن

---

(١) سورة النجم الاية ٥٩ ـ ٦١.

(٢) سورة لقمان: الآية ٦.

كثير فى تفسيره. قال البغوى ومعنى قوله: يشترى لهو الحديث أن يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن قال الواحدى وهذه الآية على هذا التفسير تدل على تحريم الغناء ثم ذكر قول الشافعي رحمه الله تعالى فى رد الشهادة بإعلان الغناء. وقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾[1] وقد جاء تسمية الشعر حديثاً فقد سئلت عائشة رضى الله عنها هل كان الرسول يتسامع عنده الشعر فقالت كان أبغض الحديث إليه. .رواه الإمام أحمد وأبو داود.

*** ومن الأحاديث الشريفة:**

١- ما رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده أنه عليه السلام قال: **«إن الله عز وجل بعثنى رحمة وهدى للعالمين وأمرنى أن أمحق المزامير والمعازف والخمور والأوثان التى تعيش فى الجاهلية»**..

٢- روى البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: **«إن الله تعالى حرم الميتة والميسر والكوبة»** يعنى الطبل **«وقال كل مسكر حرام»**. . .

٣- روي البخاري فى صحيحه عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: **«ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»**.

فالمراد بالحر(الفرج)، والمعنى أنهم يستحلون الزنا والمراد بالمعازف آلات اللهو من طبل وطنبور وعود وقانون وقيثارة ونحوها. .

٤- وروى الترمذى فى (سننه) من حديث على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها إذا اتخذت القينات والمعازف»**.

٥- وروى الحميدي فى(مسنده) عنه قوله: **«لا يحل ثمن المغنية ولا بيعها ولا شراؤها ولا الاستمتاع بها»**[2].

---

(١) الشعراء: الآيات ٢٣٤ ـ ٢٣٦.

(٢) أخرجه ابن ماجة رقم (٢١٦٨).

٦- وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله سمع رجلاً يتغنى من الليل فقال: «**لا صلاة له..لا صلاة له..لا صلاة له**».

٧- ذكر القرطبى فى تفسيره (الجامع لاحكام القرآن) من رواية مكحول عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من جلس إلى قينة(مغنية) يسمع منها صب فى أذنيه الأنك، أى الرصاص المذاب يوم القيامة**»[١].

٩- وروى الترمذى الحكيم فى(نوادر الأصول) مرفوعاً من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانية**» فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله قال: «**قراء أهل الجنة**»[٢].

١٠- وروى ابن ماجه عن أبى أمامة مرفوعاً عن النبى ﷺ: «**إن الله يبغض صوت الخلخال كما يبغض الغناء**»[٣].

وغير ذلك من الأحاديث التى لا تخلو أسانيدها من مقال...[٤]

ويستدلون على ذلك بحكم الأئمة الأربعة: نقل أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه..فالمعروف عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله النهى عن الغناء وعن السماع إليه...وقد سئل مرة تلميذه ابن القاسم عن الغناء فأجاب قائلاً: قال الله تعالى: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ**﴾[٥] **أفحق هو؟**

وسئل مرة عما يترخص فيه بعض أهل الدينة من الغناء كأمثال إبراهيم بن سعد الذى اتخذ المقنع عمله حجة فى إباحة الغناء فقال:(إنما يفعله عندنا الفساق)، ومن أحكام مالك أن الرجل إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب الذى كونها مغنية وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد

---

(١) رواه الدارقطنى.
(٢) أخرجه الحكيم ص١٥٤.
(٣) ذكره السيوطى فى الجامع الكبير
(٤) فصل الخطاب فى الرد على أبى تراب/ حمود بن عبد الله النويجيرى ص٥١
(٥) يونس : ٣٢.

المتوفى سنة ١٨٥هـ وكان لا يسمع طبلهم بالحديث إلا إذا أسمعهم بعض الغناء نشيداً وتنشيطاً.

أما الإمام الشافعى:ـ عالم قريش فيقول فى كتاب أدب القضاء(الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته. .وسئل رحمه الله عن رجل تكون له القينة فيجمع أصحابهم لتسمعهم الغناء؟ فقال هذه دياثة والرسول يقول لا يدخل الجنة ديوث. .) وحكى عنه أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول: وضعه الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن ـ وهكذا رأى أصحابه.

أما أبو حنيفة رحمه الله:ـ فقد كان حكمه أشد وأقسى، فهو يرى الغناء من الذنوب التى يجب تركها والابتعاد عنها وتجب التوبة منها فوراً كسائر الذنوب والمعاصى. أما أصحابه فقد صرحوا بحرمة الغناء وسائر الملاهى من مزمار ودف وقيثارة ونحوها وخصوا الغناء بأنها معصية توجب فسق صاحبها وترد شهادته وبالغوا فى النهى والسماع إلى حد أن قالوا: السماع فسق والتلذذ به كفر. .وقالوا فى المار يسمع الغناء: يجب عليه أن يجتهد فى أن لا يسمعه وكذا إذا كان فى دار مجاور له. . وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان وحماد وإبراهيم والشعبى وغيرهم لااختلاف بينهم فى ذلك. .وكذلك أهل البصرة. . .ومن غير المشكوك فيه تحريم الملاهى عامة غناء كانت أو ضرباً على عود أو مزمار أو غير هذه عند أحمد بن حنبل رحمه الله وعند أصحابه. . .ومن المنصوص عليه فى كتابهم: كسر آلات اللهو والطرب كالطنبور وغيره إذا رئيت مكشوفة وأمكن كسرها، ولو علم أن هناك آلة مستورة تحت ثوب بالكشف عنها وكسرت. .وقد أمر الإمام الا تباع الجارية على أنها مغنية لأن ثمنها حينئذ يكون حراماً. .وقد سأله مرة ولده عبدا. عن الغناء فقال: الغناء ينبت النفاق فى القلب فلا يعجبنى. .

أما د/ يوسف القرضاوى[١] فيقول: الأصل فى الأشياء الإباحة لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾[٢]. .ويقول: ولا تحريم إلا بنص

(١) انظر كتابه الحلال والحرام ـ والإسلام والفن ص٣٣ وما بعدها.
(٢) البقرة : ٢٩.

صريح صحيح من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ أو إجماع ثابت متيقن فإذا لم يرد بنص ولا إجماع أو ورد نص صريح غير صحيح أو صحيح غير صريح بتحريم شيء من الأشياء لم يؤثر ذلك فى حله وبقى فى دائرة العفو الواسعة قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾(1) وقال رسول الله ﷺ :(ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً: وتلا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾(2).. وقال: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»(3)..... ثم يقول: وإذا كانت هذه هى القاعدة فما هى النصوص والأدلة التى استند إليها القائلون بتحريم الغناء؟.. وما موقف المجيزين منها؟

* أدلة المحرمين للغناء ومناقشتها

١- استدلالاً لهم بقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان الآية: ٦]، وتفسيرهم لهو الحديث بالغناء... قال ابن حزم: ولا حجة فى هذه الوجوه: أحدهما: انه لا حجة لأحد دون رسول الله ﷺ ، والثانى أن ابن مسعود وابن عباس وبعض التابعين قد خالفوا غيرهم من الصحابة والتابعين.

والثالث: أن نص الآية يبطل احتجاجهم لان فيها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ وهذه صفة من فعلها كان كافراً بلا خلاف، إذ اتخذ سبيل الله هزوا قال:(ولو أن امرءاً اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذه هزواً لكان كافراً هو الذى ذم الله تعالى.. وما ذم قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليتلهى به ويروح نفسه لا ليضل عن سبيل الله تعالى فبطل تعلقهم بقول هؤلاء.. وكذلك من اشتغل غير

(1) سورة الأنعام الآية ١١٩.

(2) رواه الحاكم عن أبى الدرداء وصححه والآية من سورة مريم ٦٤.

(3) أخرجه الدارقطنى.

عامد عامداً عن الصلاة بقراءة القرآن أو بقراءة السنن أو بحديث يتحدث بما ذكرنا فهو محسن)[1]. . وهكذا حقق الحافظ ابن حزم درجات الأحاديث المحرمة للغناء والمعازف فى الجزء التاسع من المحلى وبين عللها للغناء والمعازف فى الجزء التاسع من المحلى وبين عللها التى تمنع الاحتجاج بها ونقل عن الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار الجزء الثامن وكل ما قاله منقول من الجزء التاسع الجزء العاشر من فتح البارى».

٢- واستدلوا بقوله تعالى فى صفات المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[2] وقالوا: الغناء من اللغو فوجب الإعراض. . . ويجاب بأن الظاهر من الآية أن اللغو: سفه القول من السب والشتم ونحو ذلك وبقية الآية تنطق بذلك. . قال تعالى: ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين﴾ فهى شبيه بقوله تعالى فى وصف عباد الرحمن فى [سورة الفرقان: ٦٣] ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. . ويقول القرضاوى: ولو سلمنا أن اللغو فى الآية يشمل الغناء لوجدنا الآية تسحب الإعراض عن سماعه وتمدحه وليس فيها ما يوجب ذلك. . . وكلمة (اللغو) مثل كلمة (الباطل) تعنى ما لا فائدة فيه. . . وسماع ما لا فائدة فيه ليس حرام ما لم يضيع حقا أو يشغل عن واجب.

روى عن ابن جريح: أنه كان يرخص فى السماع فقيل له: أيؤتى به يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك؟ فقال: لا فى الحسنات ولا فى السيئات لأنه شبيه باللغو. . . قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[3].

قال الإمام الغزالى: (إذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشىء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه - مع أنه لا فائدة فيه - لا يؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص)؟[4] وقد أفاض الغزالى فى(الإحياء) فى الاستدلال على إباحته بالنص والقياس وفند أدلة المحرمين وأثبت أنها ليست نصاً فى التحريم فإن الصوت الجميل من الطيور ومن الناس نعمة حلال والحديث يقول: «لله أشد

(١) المحلى لابن حزم.
(٢) القصص الآية ٥٥.
(٣) البقرة: ٢٢٥.
(٤) إحياء علوم الدين - كتاب السماع ص١١٤٧.

أذنا استماعا للرجل الحسن الصوت بالقرآن...من صاحب القينة لقينته»[1] وقال النبى ﷺ فى أبى موسى الأشعرى: «لقد أُعْطِىَ مزماراً من مزامير آل داود»[2]. .ولم يقصر جمال الصوت على كونه بالقرآن فالبلابل لا تقرأ . .ثم انتهى إلى أن السماع لا يحرم لذاته بل لعارض فغناء الحجيج والجهاد لا بأس به.

ويقول القرضاوى: على أننا نقول ليس كل غناء لهو، إنه يأخذ حكمه وفق نية صاحبه، فالنية الصالحة تحيل اللهو قُرْبة والمزح طاعة والنية الخبيثة تحبط العمل الذى ظاهره العبادة وباطنه الرياء «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[3] «إنما الأعمال بالنيات» . .ويرد ابن حزم فى المحلى على الذين يمنعون الغناء قال: (احتجوا فقالوا: من الحق الغناء أو من غير الحق؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾[4] وجوابنا ـ وبالله التوفيق ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى» متفق عليه، فمن نوى ترويح نفسه لبقوى بذلك على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع ومحسن وفعله هذا من الحق، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه كخروج الإنسان إلى بستانه وقعوده على باب داره متفرجاً وصبغة ثوبه لا زورديا أو أخضر أو غير ذلك. .أو مد ساقه وقبضها وسائر أفعاله)[5].

٣ـ واستدلوا بحديث: «كل لهو به المؤمن فهو باطل إلا ثلاثة: مُلاعبة الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه»[6] والغناء خارج عن هذه الثلاثة. . .

وأجاب المجوِّزون بضعف الحديث ولو صح لما كان فيه حجة فإن قوله: «فهو باطل» لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة، فقد ورد عن أبى الدرداء قوله: إنى لأستجم نفسى بالشىء من الباطل ليكون أقوى على الحق) على أن الحصر فى الثلاثة: غير مراد فإن التلهى بالنظر إلى الحبشة وهم يرقصون فى المسجد النبوى خارج عن تلك الأمور الثلاثة، وقد ثبت فى الصحيح ولا شك أن

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه.
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) يونس الآية ٣٢.
(٥) المحلي ٩/ ٩٦٠.
(٦) فيه اضطراباً: قاله الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث (الإحياء).

التفرج فى البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وضعه بأنه باطل. . .

٤ـ واستدلوا بالحديث الذى رواه البخارى ـ معلقاً ـ عن أبى مالك أو أبى عامر الأشعرى ـ وهشام بن عمارة وفيه شك من الراوى عن النبى ﷺ قال: **«ليكونن قوم من أمتى يستحلون الحر، أى الفرج والحرير والخمر والمعازف: وهى الملاهى أو الات العزف»**. . .وقد رفض الحافظ ابن حزم الاحتجاج بالحديث وغيره منهم الشوكانى فى نيل الأوطار، والعراقى فى التخريج. .وقالوا: والحديث وإن كان فى صحيح البخارى إلا أنه من المعلقات لا من المسندات المتصلة؛ ولذلك رده ابن حزم لانقطاع سنده ومع التعليق فقد قالوا: إن سنده ومتنه لم يسلما من الاضطراب وقد اجتهد الحافظ ابن حجر لوصل الحديث ووصله بالفعل من تسع طرق ولكنها جميعاً تدور على راو واحد تكلم فيه عدد من الأئمة النقاد ألا وهو هشام بن عمار[١] وهو وإن كان خطيب دمشق ومقرئها ومحدثها وعالمها، ووثقه ابن معين والعجلى. .فقد قال عنه أبو داود: حدث بأربعمائة حديث لا أصل لها. .وقال الإمام أحمد: طياش خفيف، وقال أبو حاتم: صدوق وقد تغير فكان كل ما دفع إليه قرأه وكل ما لقنه تلقن وكذلك قال ابن سيار: ورغم دفاع الحافظ الذهبى عنه قال: صدوق فكثر له ما ينكر[٢]. .

ومثل هذا لا يقبل حديثه فى مواطن النزاع وخصوصا فى أمر عمت به البلوى.

ورغم ما فى ثبوته من الكلام ففى دلالته كلام آخر. .فكلمة المعازف لم يتفق على معناها بالتحديد ما هو؟ فقد قيل:(الملاهى. .وهذه محملة. .وقيل آلاف العزف. .ومعنى يستحلون فسرها ابن حجر بالاسترسال فى التناول والعقل كالاستمرار فى الحلال.

وكل ما روى الحديث من طريق غير طريق هشام بن عمار جعل الوعيد على شرب الخمر والمعازف إلا مكملة وتابعة. .وقال ابن الصلاح فى المقدمة ما ذكره

(١) تعليق التعليق لابن حجر(٥/ ١٧ ـ ٢٢).
(٢) ميزان الاعتدال(٤/ ٣٠٢).

البخارى بصنعه الحزم فهو صحيح وما ذكره بصنعه التعريض فهو ضعيف..ومن أجل هذا قال بعض العلماء أن النهى للكراهة وليس للتحريم وبسط الشوكانى الآراء فى هذا الموضوع فى نيل الأوطار، وقال بعض العلماء أن المعيب الجمع بين هذا كله بأن تكون الجلسة فيها الخر والمعازف ويقوم عليهم القيان بالغناء.

٤- واستدلوا بحديث عائشة: «إن الله تعالى حرم القينة «أى الجارية» وبيعها وغناءها وتعليمها». . والرد عن ذلك:-

أ - أن الحديث ضعيف وكل ما جاء فى تحريم بيع القيان ضعيف[(١)].

ب - قال الغزالى: المراد بالقينة: الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشراب. . وغناء الأجنبية للفساق ومن يخالف عليهم القنية حرام وهم لا يقصدون بالقنية إلا ما هو محذور... فأما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها سماعها عند القنية، بدليل ما روى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها[(٢)] كما سيأتى.

ج - كان هؤلاء القيان المغنيات يكون عنصراً هاما من نظام الرقيق الذى جاء الإسلام بتصفيته تدريجيا فلم يكن يتفق وهذه الحكمة: إقرار بقاء هذه الطبقة فى المجتمع الإسلامى فإذا جاء حديث فإذا على إمتلاك (القينة) وبيعها والمنع منه فذلك لهدم ركن من بناء نظام الرق. . العتيد

٥- واستدلوا بما روى نافع: (ابن عمر سمع صوت زمارة راع فوضع إصبعيه فى أذنه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول: يا نافع أتسمع؟ فأقول: نعم فيمضى حتى قلت: لا فرقع يده وعدل راحلته إلى الطريق. . وقال: رأيت رسول الله ﷺ يسمع زمارة راع فصنع مثل هذا[(٣)]... والحديث قال عنه أبو داود: حديث منكر. . ولو صح لكان حجة على المحرمين لا لهم فلو كان سماع المزمار حراماً ما أباح النبى عليه السلام منع وتغير هذا المنكر، فإقرار النبى ﷺ لابن عمر دليل على أنه حلال. . وإنما تجنب ﷺ سماعة كتجنبه الأكل متكئاً. . وأن يبيت عنده دينار أو درهم... إلخ.

(١) المحلى لابن حزم(٩/ ٥٦ - ٥٩).

(٢) الإحياء للغزالى ص١١٤٨.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

٦- واستدلوا أيضاً بما روى: «أن الغناء يسبب النفاق فى القلب».

ونحن نرد بأنه لم يثبت هذا حديثا عن النبى ﷺ وإنما ثبت قولاً لبعض الصحابة أو التابعين فهو رأى لغير معصوم خالفه فيه غيره.. فمن الناس من قال: وبخاصة الصوفية: أن الغناء يرقق القلب ويبعث الحزن والندم على المعصية ويهيج الشوق إلى الله تعالى.. ولهذا اتخذوه وسيلة لتجديد نفوسهم وتنشيط عزائهم وإثارة أشواقهم قالوا: وهذا لا يعرف إلا بالذوق والتجربة والممارسة ومن ذاق عرف وليس الخير كالعيان.. ومع ذلك يقول الغزالى فى الإحياء: كتاب السماع:

(وذلك لا يوجب تحريماً فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة التفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت النفاق فى القلب.. ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب فى ظهور النفاق فى القلب: المعاصى... بل إن المباحات التى هى مواقع نظر الخلق أكثر تأثيراً)(١).

٧- واستدلوا على تحريم غناء المرأة خاصة بما شاع عن بعض الناس من أن صوت المرأة عورة وليس هناك دليل أوشبه دليل من دين الله على أن صوت المرأة عورة.. وقد كان النساء يسألن رسول الله ﷺ فى ملأ من أصحابه.. وكان الصحابة يذهبون إلى أمهات المؤمنين ويستفتونهن ويفتينهم ويحدثنهم.. ولم يقل أحد إن هذا من عائشة أو غيرها كشف لعورة يجب أن تستر، مع أن نساء النبى عليهن من التغليظ ما ليس على غيرهن.. وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾(٢).. فإن قالوا: هذا فى الحديث العادى لا فى الغناء.. قلنا: روى الصحابة أن النبى ﷺ سمع غناء الجاريتين ولم ينكر عليهما، وقال لأبى بكر: «دعهما»، وقد سمع ابن جعفر وغيره من الصحابة والتابعين الجوارى يغنين.

٨- واستدلوا بحديث الترمذى عن علىّ مرفوعاً: «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء..» وذكر منها «واتخذت القينات والمعازف» والحديث متفق على ضعفه فلا حجة فيه، ثم ينهى د/ القرضاوى بحثه.. بأن النصوص التى استدل بها القائلون بالتحريم إما صحيح غير صريح أو صريح غير صحيح ولم

---

(١) الإحياء ص١٥١.

(٢) الأحزاب : ٣٢.

يسلم حديث واحد مرفوع إلى رسول الله ﷺ يصبح دليلاً للتحريم وكل أحاديثهم ضعفها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية. .قال القاضى أبو بكر بن العربى فى كتابه(الأحكام): لم يصح فى التحريم شىء، وكذلك قال الغزالى وغبن النحوى فى العمدة. . .وقال ابن طاهر فى كتابه. .فى السماع:(لم يصح منها حرف واحد) وقال ابن حزم:(ولا يصح فى هذا الباب شىء وكل ما فيه فموضوع ووالله لو أسند جميعه أو واحد منه فأكثر من طريق الثقات إلى رسول الله ﷺ لما ترددنا فى الأخذ به)[1].

*** أدلة المجيزين للغناء والموسيقى**

وفى ذلك يقول د/ القرضاوى: تلك هى أدلة المحرمين وقد سقطت واحداً بعد الآخر لم يقف دليل واحد منها على قدميه. وإذا انتقت أدلة التحريم بقى حكم الغناء وعلى أصل الإباحة بلا شك ولو لم يكن معنا نص أو دليل واحد على ذلك غير سقوط أدلة التحريم. .فكيف ومعنا نصوص الإسلام الصحيحة الصريحة وروحه السمحة وقواعده العامة ومبادئه الكلية. .؟

*** أولاً ـ من حيث النصوص:**

١ـ فقد ورد فى الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث قالت وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ وذلك فى يوم عيد فقال رسول الله ﷺ :«يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» وفى لفظ «حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح» وفى رواية لهما عنها رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تغنيان وتضربان ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله ﷺ عنه وقال:«دعهما أبا بكر فإنها أيام عيد»[2]. .وقوله: مزمور الشيطان فى بيت النبى ﷺ وهذا يدل على أنهما لم تكونا صغيرتين كما زعم بعضهم فلو صح ذلك لم تستحق غضب أبى بكر إلى هذا الحد. . والمعول عليه هنا هو رد

---

(١) المحلى لابن حزم (٩/٥٩).

(٢) أخرجه البخارى (رقم ٩٥٢) ومسلم(٨٩٢/١٦ ـ ٢) كتاب العيدين.

النبى ﷺ على أبى بكر رضى الله عنه وتعليله: أنه يريد أن يعلم اليهود أن فى ديننا فسحة وأنه بحقيقة سمحة وهو يدل على وجوب رعاية تحسين صورة الإسلام لدى الآخرين وإظهار جانب اليسر والسماحة فيه.

٢ـ روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبى ﷺ بحرابهم فى المسجد دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها.. فقال رسول الله ﷺ: **«دعهم يا عمر»**[1].

٣ـ وفى لفظ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحا بذلك وهذا اللفظ متفق عليه.

٤ـ روى الخمسة إلا أبا دود قوله ﷺ: **«فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت فى النكاح»**[2].

٥ـ روى ابن ماجه قوله عليه الصلاة والسلام: **«أعلنوا النكاح واضربوا عليها بالغربال»**[3].

٦ـ روى البخارى وأحمد عن عائشة رضى الله عنها: أنها زفت امرأة من الأنصار فقال النبى ﷺ: **« يا عائشة ما كان معكم من لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو»**[4].

٧ـ روى الجماعة إلا مسلما والنسائى عن الربيع بنت معوز قالت: دخل على النبى ﷺ غداة بنى على فجلس على فراش كمجلس منى وحويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهم يوم بدر حتى قالت إحداهن: وفينا رسول الله يعلم ما فى غد. فقال النبى ﷺ: **«لا تقولى هكذا وقولى ما كنت تقولين..»**[5].

٨ـ وروى ابن ماجة عن ابن عباس قال: أنكحت عائشة وأن قرابة لها من

---

(١) أخرجه البخارى رقم ٢٩٠١ ومسلم(٨٩٣/٢٢).
(٢) حسن: أخرجه الترمذى رقم(١٠٨٨).
(٣) ضعيف أخرجه ابن ماجه رقم(١٨٩٥) والبيهقى (٧/ ٢٩٠).
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه رقم(٥١٦٢) والبيهقى(٧/ ٢٨٨).
(٥) أخرجه البخارى رقم ٤٠٠١، ٥١٣٧، والترمذى (١٠٩٠).

الأنصار فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أهديتم الفتاة؟» قالوا نعم: . . قال «أرسلتم معها من يغنى؟» قالت: لا فقال رسول الله ﷺ : «إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول:

أتينـاكـم أتينـاكـم فحـيانا وحـياكـم
ولولا الذهب الأحمـر ما حلت بواديكـم
ولولا الحنطة السـمراء ما ثمنت عذاريكـم

وهذا الحديث يدل على رعاية أعراف الأقوام المختلفة واتجاهاتهم المزاجى ولا يحكم المرء مزاجه هو فى حياة كل الناس. .

٩- وروى النسائى والحاكم وصححه عن عامر بن سعد قال: دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود الأنصارى فى عرس وإذا جوارى يغنين فقلت: أى صاحبى رسول الله أهل بدر يفعل هذا عندكم؟ فقالا: اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قد رخص لنا اللهو عند العرس. . .

١٠- وروى ابن حزم بسنده عن ابن سيرين: أن رجلا قدم المدينة بجوارى فأتى عبد الله بن جعفر فعرضهن عليه فأمر جارية منهن فغنت وابن عمر يسمع فاشتراها ابن جعفر بعد مساومة ثم جاء رجل إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن غبنت بسبعمائة درهم. . فأتى ابن عمر إلى عبد الله بن جعفر فقال له: إنه غبن بسبعمائة درهم فإما أن تعطيه إياه أو ترد عليه بيعه فقال: بل نعطيه إياها. . قال ابن حزم: فهذا ابن عمر قد سمع الغناء وسعى فى بيع المغنية وهذا إسناد صحيح لا تلك الملفقات الموضوعة.

كما استدل المجيزون للغناء بقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فقال: إن اللهو والتجارة وهى حلال بيقين. . ولم يذمها إلا من حيث شغل الصحابة بهما بمناسبة قدوم . . فقال: القافلة وضرب الدفوف فرحا بها وعن خطبة النبى ﷺ وتركه قائما. . . واستدلوا بما جاء عن عدد من الصحابة رضى الله عنهم أنهم باشروا السماع بالفعل أو أقروه وهم القوم يقتدى بهم فيهتدى. . واستدلوا بما نقله غير

واحد من الإجماع على إباحة السماع. .وعن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبى ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنياتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدوا بالقوم يقول:ـ

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اتقينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينة علينا ... إنا ذا صيح بنا أبينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع قال: «يرحمه الله» قال رجل من القوم: وجبت يا نبى الله لولا أتبعتنا به[1]. .وقد ورد أنه عند دخول النبى ﷺ يثرب (المدينة) كانت بنات الأنصار والتجار تتغنى بهذه

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

الأبيات فرحا وسرورا[2].

وقد ورد أيضا فى كتب السيرة أن النبى ﷺ وهو يبنى المسجد النبوى بالمدينة وينقل اللبن والحجارة أول ما نزل فى أرض سهل وسهيل يقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

وهذا من قبيل أهازيج العمال والفعلة. . .الذين يعملون فى البناء وحمل الأثقال. . .

هذا الحمال لا حمال خيبر ... هذا أبر ربنا وأطهر

وكان ذلك مما يزيد نشاط الصحابة فى البناء حتى أن أحدهم ليقول:

---

(١) صحيح البخارى باب غزة خيبر(٢/٦٠٣) وصحيح مسلم باب غزوة ذى قرد وغيرها(٢/١١٥).
(٢) نفسه.

لئن قعدنا والنبى يعمل   لذاك منا العمل المضلل

وقد ورد أن الصحابة كانوا يرتجزون بين يديه فى حفر الخندق(نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا)..وفى هذا إشارة إلى أن الإسلام لا يباين طبيعة البشر ولا تسلية أفراحهم ولا تسلية مواقفهم ولا مواقف بطولتهم بشرط ألا يجر ذلك إلى تسيب أو تبرج أو انحراف[1]..

كما استدلوا على ذلك بقوله عليه السلام: «زينوا القرآن بأصواتكم»[2]..وقوله:

«ليس منا من لم يتغن بالقرآن» [3]..كما ذكر العلامة ابن القيم وصححه ويعضده ما فسره الإمام أحمد فقال: يحسن صوته ما استطاع، وقد قال الرسول للصحابى الذى كشف له عن ألفاظ الآذان فى رؤيا صادقة «علمه بلالا فإنه أندى منك صوتا»..وقد ورد أنه عليه السلام دخل مكة والمرتجز يرتجز بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة وحدا به الحادى فى منصرفه من خيبر كما سبق..وأنه أنشد الأعشى شيئا من شعره فسمعه ومنه أنه صدق لبيدا فى قوله:ـ

ألا كل شىء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة ذائل[4]

وأنشدت عائشة رضى الله عنها قول أبى كثير الهزلى:ـ

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه   برقت كبرق العارض المتهلل

وقال: أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها..ومنها: أن إجماع العلماء متفقة على إباحة أصوات الطيور الشجية وأن الصوت الطيب نعمة من الله(فى روضة يجدون)، فالغناء مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح إليه...

●●●●●

(١) انظر رحمة للعالمين(١/١٠٦) للمنصور فوزى.

(٢) أبو داود (١٤٦٨) النسائى(٧٤٦) والمسند جـ٤ (٢٨٣ ـ ٢٨٥).

(٣) أبو داود (٢٤١٦٩) وأحمد فى المسند(جـ١/ ١٧٢ ـ ١٧٥).

(٤) البخارى (٦١٤٧) ومسلم.

الموسيقى

هى أصوات معينة بينها سكنات لها نسب رياضية. . . والأصوات أصلها الإباحة والسكوت، فأصل الإباحة ونسب السكتات ونسب الأصوات أصلها الإباحة. . والمركب من المباح مباح لم ينشأ عن التركيب كيان آخر، وبذلك تكون الموسيقى مباحة ومركبها مباح ولأنها من علم الأصوات والرياضيات. . . وهى علوم مباحة. .

*** أنواع الموسيقى:-**

تنقسم الموسيقى إلى أنواع هى:-

نقر، ونفخ، وعزف، فلو سلمنا بتعليق البخارى صحيحا وهو صحيح وسلمنا بالتحريم يكون خاصا بالعزف، أما ما كان نقرا أو نفخا فلا يندرج تحت الحديث ولأجل هذا لم يحرم الدف ووردت إباحته، ومن الطريف أن نذكر أن الوسيلة التى ينهى الله الدنيا ويبدأ الآخرة هى النفخ فى الصور كما عبر القرآن:

﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَمَن فِى الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١). . . وكما قال الرسول ﷺ: **«كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جبينه وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر» فهل يفعل الله ذلك بشىء حرمه؟؟ ثم إن الموسيقى فن من الفنون العلمية والأصل فى الفن والعلم الإباحة. . ومن علماء المسلمين من كان عالما بالموسيقى ومنهم الخليل بن أحمد مؤسس علم العروض وعلم اللغويات. . وواضع كتاب العين أول معجم عرفته اللغة** العربية وبسبب علمه بالموسيقى برهن على أن القرآن ليس شعرا وقد حفر فى بيته بئرا وأخذ يتغنى بشعر العرب ويدون النغمات فيما يسمى الآن(النوتة الموسيقية) إلى أن اكتشف ولأول مرة ما يسمى ببحور الشعر ويتوصل إلى أنها خمسة عشر وزنا واستدرك عليه العلماء بحرا اسمه (بحر المستدرك) وبرهن بذلك على أن القرآن ليس شعرا ولولا علمه بالموسيقى لما استطاع هذا البرهان الذى ما زال حجة للقرآن إلى هذا اليوم وإلى ما شاء الله. . ومن هؤلاء العلماء الكندى. .

(١) سورة الزمر : ٦٨.

والفارابى. . الذى بلغ من نضوجه ونبوغه فى علم الموسيقى أن كان يرتب الأعواد تركيبة خاصة ثم يعزف عليها فيبكى المستمعين ثم يحلها ويركبها تركيبا آخر ثم يعزف عليها فيضحك المستمعين وتركيب ثالث فينيم المستمعين. .

ومن علماء المسلمين ابن سينا الذى كان أول طبيب فى العالم يعالج بالموسيقى على مستوى تخصصى وكذلك الكندى. . . فكان العلماء المسلمون هم أول من عالج بالموسيقى. . . ثم إن الموسيقى فطرة تطرب لها النفس وهى وسيلة فطرية لتربية الحس والذوق وللعلاج الجسمى والنفسى وللتنشيط على العمل وزيادة الإنتاج وتحسينه، وهى وسيلة للترفيه والترويح عن النفس والوجدان فهى بلا شك كما يقولون هى: غذاء الروح. . ونحن نشاهد هذا فى استجابة الأطفال الذين لا يعلمون الشهوة ولم يبلغوا مبلغها ومحال أن يحرم السلام أمرا من أمور الفطرة. . يهذبها نعم. . أما التحريم المطلق فلا. . والقرآن الكريم له موسيقاه الخاصة المعروفة بعلم التجويد حيث يحرم قراءته لمن استطاع إلى ذلك سبيلا.

* وقد بحث علماء المسلمين هذا الموضوع من قديم - تعرض له المفسرون وتناوله الغزالى فى إحياء علوم الدين وبحثه ابن خلدون وأفرده البعض بالتأليف كابن القيسرانى فى كتاب السماع لكن الذى يلفت النظر ويستدعى الإعجاب أن العلماء مع اختلافهم فى كثير من تفاصيل الموضوع دافع كل منهم عن رأيه وكان كثير منهم فى بحث الموضوع على قدر من التسامح لاسيما عند المتقدمين ولعل ذلك يرجع إلى أن المجتمع الإسلامى فى الصدر الأول من الإسلام كان فى غير حاجة أن يتشتت غذاء هذه القضية وأمثالها، فقد كان لهذا المجتمع من سلامة الفطرة وصدق الإيمان ما يجعله يرفض بحسم كل ما يقترن بالموسيقى من قصد سيئ ومجلس لا تراعى فيه حرمات الله. . حتى إذا تغير الحال بعد ذلك واقترنت الموسيقى فى أكثر الأحيان بما يفسد ويتجاوز الحلال كان لعلماء الشريعة موقف آخر تجاهها أو ما يقترن بها. .

* وأنا أقتبس هنا من كتاب الشيخ عبد الغنى النابلسى من كتابه الجليل الذى ألفه فى الموضوع(أصح الدلالات فى الاستماع للآلات ص١٣٠ - ١٣٢) هذا الكتاب لخص لنا الموقف الذى يطمئن له كل مسلم، وأوضح فيه أن كل الأحاديث

النبوية الواردة التى قد يفهم منها تحريم الموسيقى كانت دائما مقيدة بأصحاب الموسيقى لألوان الفجور أو المجون أو مجرد اللهو العابث الذى ليس له هدف وإلا فكيف يحرم ترويح قال عنه نبى الإسلام: «روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت وإذا عميت لم تهتد» . .

وكان الرسول يستمع للغناء مع الدف واستمع إلى حاد الإبل حتى أن سائق الإبل أنجشه لما غنى بالحداء فأسرعت الإبل وخشى الرسول على النساء وعلى قلوبهن فقال: رويدك أنجشه رفقا بالقوارير. .وقد ثبت من قول الرسول «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن» [1]. .وقد استمع عمر بن الخطاب إلى المغنى ليلا حتى أذن الفجر فقال له: حسبك.

* تذكر كتب العقائد منها كتاب المقاصد وهو أهمها وأوسعها أن معجزة داود هى الموسيقى.

* فى الطبيعة التى هى صنع الله الموسيقى كأصوات المياه والطيور.

* من القرآن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] وهو نص يتضمن أصوات أخرى تستحسنها الفطرة ولا تكون كالذين قيل فيهم:-

يستيقظون على نهاق حميرهم ‏‏ وتنام أعينهم على الأوتار

فالفطرة الإنسانية والنص الدينى تطابقا على استحسان الحسن من الأصوات واستنكار المنكر منها وتلك من خصائص الإسلام، قال ابن تيمية: إن الأنبياء قد بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا تبديلها وتغييرها. .إن القلوب خزائن الأسرار ولا شك أن سماع الكلام الموزون والكلام حسن التقسيم يستخرج مخزون أسرار القلوب ويهيج كوامن شوق النفوس، والقران الكريم على رأس ذلك كله ولذلك لا تجده مرسلا كل الإرسال وإنما ركب تركيبا معجزا فى تنسيق اللفظ وتركيب الجمل جعل لكل صورة روحا خاصة تتجاوب معها المشاعر فى تنوع معجز يستخرج كل ما فى وجدان الإنسان من وجدانات وعواطف مختلفة. .إن أناشيد الجهاد المصحوبة بنوع من الموسيقى العسكرية تثير الحماس الدافق فى قلوب الجند

(١) البخارى ومسلم.

والأناشيد التى يؤلفها بعض الشباب اليوم عن الانتفاضة والقدس..

وقد أمر الرسول ﷺ ابن رواحة فى سفره فقال: حرك القوم فاندفع يرتجز وأدرك رسول الله ﷺ ركبا من بنى تميم معهم حادى فأمرهم أن يحدوا وقال: إن حادينا ولى من آخر الليل: قالوا يا رسول الله نحن أول العرب حداء بالإبل.. قال: «كيف ذلك؟» قالوا: كان العرب يغير بعضنا على بعض فأغار رجل منا فأستاق إبلا فشد رجل منا فغضب على غلامه فضربه بالعصا فأصاب يده فقال الغلام: وايداه... وايداه فجعلت الإبل تجتمع فقال هكذا فافعل..

والنبى ﷺ يضحك... الغناء كان حداء وانتقل من الحداء إلى الغناء.. وكان الحداء يربى البطولة والرجولة وكان الصحابة يحدون.. والحداء كان سبيلهم إلى قطع المسافات البعيدة وكان الحادى ينادى دائما وهو يسير إلى المدينة المنورة الأهل والأوطان لكنه الإيمان فداؤه القلب والروح والأبدان فليقبل الرب .. هذا من حداء المدينة.

* من أقوال الأئمة:

قال الشافعى رحمه الله: فالحداء مثل الكلام والحديث المحسن باللفظ وإذا كان هذا كهذا الشعر كان تحسين الصوت بذكر الله والقرآن أولى أن يكون محبوبا، فقد روى عن النبى ﷺ «ما أذن الله بشىء أذنه لنبى حسن الترنم بالقرآن».. وأنه سمع عبد الله بن قيس يقرأ فقال: لقد أوتى هذا من مزامير آل داود.. قال الشافعى: ولا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأى وجه ما كان وأحب ما يقرأ إلىّ حدرا وتحزينا.. قال الشافعى فى رد شهادة من صنعته الغناء وينسب إليه ويكون مشهورا به ويغشاه الناس عليه وذلك أنه من اللهو المكروه الذى يشبه الباطل وإن لم يكن محرما كل التحريم ولو كان ينسب نفسه إلى الغناء.. وكان يعرف بأنه يطرب فى الحال فيترنم فيها... لم تسقط شهادته وكذلك المرأة..

وقال فى الرجل يتخذ الغلام والجارية المغنيين وكان يجمع عليهما ويغشاه الناس لذلك فهذا سفه ترد به شهادته وهو فى الجارية أكثر من قبل أن فيه سفه دياسة وإن كان لا يجمع عليهما ولا يغشى لهما ـ كرهت ذلك له ولم يكن فيه ما ترد شهادته.. قال: وكذلك الرجل يغشى بيوت الغناء ويغشاه المغنون وكان لذلك

مستعلنا عليه شهودا عليه، فهى بمنزلة سفه ترد بها شهادته وإن كان ذلك يقل لم ترد شهادته لما وضعت ذلك ليس بحرام بين. . .

ونقل أبو طالب المكى إباحة السماع وقال: سمع جماعة من الصحابة والتابعين وكان أهل الحجاز مشهورين بذلك فى عصر الصحابة والتابعين وتعد الكلمة المروية عن يحيى بن معاذ قاعدة فى حكم السماع قال: فقنا علامة أشياء: سمع جماعة من الصحابة والتابعين وكان أهل الحجاز مشهورين بذلك فى عصر الصحابة والتابعين وتعد الكلمة المروية عن يحيى بن معاذ قاعدة فى حكم السماع قال: فقنا علامة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة. . حسن القول مع الديانة. . حن الإخاء مع الوفاء وروى الترمذى فى الشمائل حديث: ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت. . وأصل الأصوات الحناجر وإما وضعت آلات الموسيقى محاكاة لصوت الحناجر وسماع الأصوات الحسنة من إنسان أو حيوان مباح وكذلك ما كان تقليدا له. . وما من شىء توصل إليه أهل الصناعات إلا فى خلق الله مثله. .

وإلا كما يقول الإمام الغزالى: لو حرمت الموسيقى والمعازف لحرم علينا أن نسمع صوت العندليب. . لحرم علينا أن نسمع صوت خفيف الرياح مع ورق الأشجار لأن الرياح لو مرت على ورق الآجال فى وقت معين وزاوية معينة: سمعنا نغما حلوا من هذه الأوراق فى الغابات وغيرها يطرب لها الإنسان. . لو حرم الإسلام هذه الأصوات الشجية لحرم هذه الأمور الطبيعية ولأمرنا أن نسد آذاننا حتى لا نسمع شيئا من ذلك. . لا. .

لم يحرم الإسلام إذا الآلات كما يقول الإمام الغزالى ليست ذاتها وإنما حرمها لعارض. . ما هو العارض؟ لأنها كانت جلبا لما يجتمعون للشراب وللسكر يتممون مجلسهم بهذه الموسيقى.

وقد ورد أن الإمام مالك كان يصلح الألحان إذا سمع لحنا نشازا أطل مالك رضوان الله عليه من المدينة المنورة الذى كان لا يركب دابة فى المدينة حياء وإجلالا لرسول الله ﷺ كان يصلح الألحان لبعض العرب الذى بدأ فى لحنهم بعض النشاز. . وهكذا أفاض الغزالى فى (الإحياء) فى الاستدلال على إباحته بالنص والقياس وفند أدلة المحرمين وأثبت أنها ليست بنص صريح فى التحريم. . فإن

الصوت الجميل من الطيور ومن الناس نعمة حلال.. والحديث يقول: لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته: رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصحيحه.. وقال النبى ﷺ فى أبى موسى الأشعرى «وقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود» وقال له أبو موسى(لو أعلم أنك استمعت لحبرته لك تحبيرا) أى زينته وحسنته رواه البخارى ومسلم.. ولم يقصر جمال الصوت على كونه بالقرآن فالبلابل لا تقرأ ثم انتهى إلى السماع لا يحرم لذاته بل لعوارض: فغناء الحجيج والجهاد لا بأس به والسماع لمجرد السرور مباح إن كان لم يسر له كالعيد والعرس وقدوم الغائب وولادة المولود وختانه وختام القرآن مستشهدا بغناء الجاريتين عند عائشة والنبى يسمع ولم يرتض إنكار أبى بكر عليه.

ـ وكان فى أيام منى (حديث متفق عليه) وجاء قريب منه أنه كان فى يوم عيد فطر أو أضحى وسمع النبى غناء الجوارى.. بل إنه ذهب إلى أن سماع الأغانى المحركة إلى العشق حلال إذا كان المعشوق حلالا كزوجته وأمته أما ينزل الأغانى على من لا يحل له فهو حرام وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب على ذلك...

وانتهى الغزالى إلى التأكيد على أن الغناء فى حد ذاته ليس حراما بل حرمته لعارض فيمن يغنى وفى الآلة وفى اللحن وفى المستمع.. فإذا كان المغنى امرأة أجنبية وتخشى الفتنة من سماعها فهو حرام لخوف الفتنة.. ثم قال الغزالى وصوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فما زالت النساء فى زمان الصحابة يكلمن الرجال فى السلام والاستقناء والسؤال والمشاورة وغيرها لكن للغناء مزيد أثر فى تحريك الشهوة فيبقى أن يتبع مثار الفتنة فيقتصر التحريم عليه هذا هو الأشبه والأقيس عندى وهو يختلف باختلاف المرأة والرجل فى كونه شابا أو شيخا...

يقول صاحب الإمتاع: إذا خاف الفتنة فهو محل نظر أيضا لأن المفسدة غير حاصلة وإنما تتوقع فيحتمل حصولها وعدمه والمتوقع لا يلحق بالواقع إلا بنص أو إجماع والشافعية لا يقولون بالمصالح المرسلة وكذلك أكثر العلماء.. والغزالى يقول فى عوارض التحريم إن كانت الآلة من شعار أهل الشراب المسكر فالسماع حرام.. وحصرها فى ثلاثة: المزامير.. والأوتار وطبل الكوبة.. وذلك فى زمانهم.. وقد استحدث ما هو أشد ...وقال فى الأداء: إن كان الكلام شىء من الفحش أو الكذب على الله ورسوله وأصحابه فهو حرام بألحان وغيرها والمستمع

شريك القائل.. وكذا ما فيه وصف امرأة بعينها فلا يجوز وصف المرأة بين يدى الرجال.. فقد ورد نهى النبى ﷺ أن تنعت المرأة المرأة لزوجها فإن كانت المرأة المعينة زوجته وهو يغنى لها فلا بأس..

وجاء فى النهاية من شرح الهداية من كتب الحنفية: إن الشعر إذا كان فيه صفة امرأة معينة وهى حية كره وإن كانت ميتة لم يكره وإن كانت مرسلة ـ أى غير معينة ـ لم يكره.. وقال الغزالى : التشبيب بغير المعينة فيه خلاف فإن اختلق اسم لغير معين كسعاد وسلمى على عادة الشعراء لم يفسق وكلام الشافعى صريح فى الجواز أما التشبيب بوصف الخد والقد وسائر أوصاف النساء ففيه نظر والصحيح أنه لا يحرم نظما أو إنشادا بلحن و غيره وعلى المستمع ألا ينزله على من لا تحل له.. والمستمع إن كانت الشهوة غالبة عليه كالشباب فالسماع حرام عليه لأنه ينزله على صورة معينة..

وقال الغزالى أخيرا: إن كان السماع حلالا لا يجوز أن يتخذ ديدنا ويقصر عليه أكثر أوقاته فإن المواظبة على اللهو خيانة والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار والمداومة ومثلها المباحات ـ وقد أوضحنا من قبل أن الحافظ ابن حزم ناقش جميع الأحاديث مبينا أنه ليس فى إحداها ما يصح الإحتجاج به ومنها تعليق البخارى: ولم ينفرد ابن حزم بذلك إذ أن الحافظ العراقى فى تخريجه لأحاديث الأحياء ذكر بعضا مما رواه أحمد وغيره ثم قال: قال أبو داود وهو حديث منكر قلت وفى النص ما يبطل زعم التحريم ذلك أنه لم يأمر نافعا بوضع إصبعيه ولو كان حراما لأمره بذلك ولنهى الزامر.. وحديث تحريم بيع القينة الذى رواه الطبرانى رواه بإسناد ضعيف وقال عنه البيهقى ليس بمحفوظ..

أما الآية الكريمة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾[لقمان: ٥] فمعناها: شراء لهو الحديث بالدين وهو أن يستبدل اللهو بالدين ليضل به عن سبيل الله وهذا حرام قطعا وليس هو موضوع السماع وليس كل سماع بدل من الدين وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ وتفسيره بالغناء فيكون حراما فهذا يقتضى تحريم الضحك وعدم البكاء لأن الآية ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾ فلماذا الاقتصار على السمود بمعنى الغناء وترك الضحك وعدم البكاء

والآية جامعة لكل ذلك وليس السمود نصا فى الغناء بل من معانيه التكبر - واللهو.. وإذا كان بمعنى الغناء فلا يكون إلا.. والمراد به استهزاؤهم بالقرآن ولا شك أنه حرام سواء كان بالغناء أو الضحك بل ولو كان بالقرآن وقد هم عمر بن الخطاب يقتل المنافق الذى كان يصر فى صلاته على قراءة سورة عبس وتولى ولا شك إن ما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والمقاصد..

وأما قوله ﷺ: **«كل شىء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته»** فقد قال الحافظ العراقى عنه فيه اضطراب.. قلت ومع التسليم به فلا دلالة فيه على تحريم ماعدا الثلاثة بل يدل على عدم الفائدة وهذا هو أصل كلمة باطل فليس كل باطل حرام فعن يحيى بن مالك وعن عائذ بإسناده يرفعه إلى أبى الدرداء: **«احموا النفوس بشىء من الباطل ليكون عون لها على الحق»**. ومن أقوال السلف الصالح: المرضى من لم يحسن يتغنى (يمرح ويلهو) ثم يحسن يتقوى (يتنسك ويتعبد) وقد رأى الرسول لعب الحبشة ورقصهم وهو خارج عن الثلاثة واستمع إلى غناء الجاريتين وهو خارج عن هذه الثلاثة وفى الفقه أنه يجوز أن يلحق بالمحصور غير المحصور كقوله ﷺ **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بثلاث»** فإنه يلحق بعد رابع وخامس.. ولعل من تمام الفائدة أن أنقل هنا ملخص ما قاله ابن حجر الهيثمى المتوفى ٩٧٤هـ فى كتابه (كف الرعاع) التنبيه الثالث: - الغناء قسمان:

الأول: ما اعتاده الناس لمحاولة عمل وحمل ثقيل وقطع مغاوز والحداء وغناء النساء لتسكين صغارهن ولعب الجوارى بلعبهن فإن سلم من فحش وذكر محرم كوصف الخمور والقينات لا شك فى جوازه وربما يندب إليه إذا نشط على فعل كالحداء فى الحج والغز..

الثانى: ما ينتحله المغنون العارفون بصنعة الغناء مع التلحين الأنيق والنغم الرقيق المهيج للنفوس ففيه خلاف على أقوال..

١- حرام: وهو مذهب مالك وأهل المدينة إلا ابراهيم بن سعد وحده وهو أيضا مذهب أبو حنيفة وسائر أهل الكوفة وأحد قولى الشافعى وأحمد..

٢ـ مكروه: وهو الأظهر عند الشافعى وأحمد وأكثر أصحابهما وقول أهل البصرة بلا خلاف .

٣ ـ الإباحة: وهو المروى عن إبراهيم بن سيعد والعنبرى وهما شاذان والعنبران مبتدع فى اعتقاده غير مرضى عنه وإبراهيم بن سعد ليس من أهل الاجتهاد. . قال القرطبى وحكاية أبى طالب المكى لذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين. . فإن صحت فهى من القسم الأول دون بوحه. .

٤ ـ يحرم كثيره دون قليله ذكره بعض شراح المنهاج.

٥ ـ يحرم فعله وسماعه إلا إذا كان فى بيت خال.

٦ ـ يحرم إذا كان من إمرأة لرجل أو لرجال أو من رجل لامرأة أو نساء أو إن اقترن به نحو مسكر أو أكثر منه أو انقطع إليه.

٧ ـ إن صحت النية فيه لم يكره وإلا كره. . قال الخوارزمى. . فى كافيه. .

٨ ـ يجوز الغناء وسماعه إن سلم من تصنيع فرص أو حرمة مبيح وكان من رجل أو محرم لرجل ولن يسمع على قارعة الطريق ولم يقترن به مكروه ذكره أبو منصور.

٩ ـ يحرم إن كان يجعل كما نقل عن نص الشافعى.

١٠ـ هو طاعة إن نوى به نزوع القلب إلى الطاعة ومعصية إن نوى به التقوية على التعصية فإن لم ينو طاعة ولا معصية فهو معفو عنه. . كخروج الإنسان بستان وقعوده على بابه متفرجاً ذكره ابن حزم ونحا نحوه الغزالى. . وغيره. .

١١ـ إن كان ما استعمل يحتمل وجهين جائزا أو حراما فسماعه جائز. وإن لم يحتمل إلا وجها واحدا وهو وجه الفسق فحرام. .

هذا معرض آراء ينبغى أن ينظر فيها إلى جانب الفتنة وإلى اتخاذ السماع ديدنا يلهى عن واجب الفتنة إما من الكلام نفسه وإما من الآراء وأسلوبه وإما من المغنى والطرب فإن خلا من الفتنة بأى وجه فلا بأس بالقليل لترويح النفس على ألا يصحبه حرام من شرب أو نظر أو نحوهما.

* القائلون بإجازة الغناء:

قال الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار: ذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة الصوفية إلى الترخيص فى الغناء ولو مع العود والبراع... وحكى الأستاذ أبو منصور البغدادى الشافعى فى ولفه فى السماع: أن عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالغناء بأسا ويصوغ الألحان لجواريه ويسمعها منهن على أوتاره وكان ذلك فى زمن أمير المؤمنين على رضى الله عنه... وحكى مثل ذلك أيضا عن القاضى شريح وسعيد بن المسيب وعطاء بن رباح والزهرى والشعبى.. وقال إمام الحرمين فى النهاية وابن أبى الدنيا: نقل الإثبات من المؤرخين أن عبد الله بن الزبير كان له جوار عوادات وأن ابن عمر دخل عليه وإلى جنبه عود فقال: ما هذا يا صاحب رسول الله؟. فناوله إياه فتأمله ابن عمر فقال: هذا ميزان شامى؟ قال ابن الزبير: يوزن به العقول!

وروى ابن حزم فى رسالته فى السماع بسنده إلى ابن سيرين قال: أن رجلا قدم المدينة بجوار فنزل على ابن عمر وفيهن جارية تضرب. فجاء رجل فساومه فلم يهو فيهن شيئاً قال: انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيعا من هذا.. قال: من هو؟ قال: عبد الله بن جعفر.. فعرضهن عليه فأمر جارية منهن فقال لها: خذى العود فأخذته فغنت فبايعه ثم جاء إلى ابن عمر.. إلى آخر القصة...

وحكى الماوردى عن معاوية وعمرو بن العاص: أنهما سمعا العود عند ابن جعفر.. وروى أبو الفرج الأصبهانى: أن حسان بن ثابت سمع من عزة الميلاء الغناء بالمزهر بشعر من شعره. والمزهر عند أهل اللغة: العود.. وذكر الأدقوى: أن عمر بن عبد العزيز كان يسمع جواريه قبل الخلافة.. وحكى الرويانى عن الغفال: أن مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف.. وحكى أبو الفضل بن طاهر فى مؤلفه فى (السماع) أنه لا خلاف بين أهل المدينة فى إباحة العود.. وإليه ذهب الظاهرية قاطبة.. قال الأدقوى: ولم يختلف النقلة فى نسبة الضرب إلى ابراهيم بن سعد بن عبد الرحمن الزهرى من التابعين وهو ممن أخرج له الجماعة كلهم.. وجزم بالإباحة الأتقى.. وحكى الماوردى إباحة العود عن بعض الشافعية هؤلاء جميعا قالوا بتحليل السماع مع آله من آلات الموسيقى.. وأما مجرد الغناء

من غير آلة فقال الأنقوى فى (الإمتاع) أن الغزالى فى بعض تآليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله.. ونقل ابن طاهر إجماع الصحابة والتابعين عليه.. ونقل التاج الفزارى وابن قتيبة إجماع أهل المدينة عليه.. وقال الماوردى: لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه فى أفضل أيام السنة المأمور فيها بالعبادة والذكر.. وقد ذكر الشوكانى فى نيل الأوطار أسماء الصحابة والتابعين الذين رووا الغناء وسماعه(١).

***قيود وشروط لابد من مراعاتها:**

وبعد.. فلا يفهمن أحد أنا نطلق القول بحل كل سماع فمما لا شك فيه أن التوسع فى المباح مدخل من مداخل الشيطان لصرف المسلم عن الجادة ولذلك كان ترك المباح أحيانا من وسائل تهذيب النفس ومن استطاع ملك أمامه فى المباح كان لنفسه أملك فى الممنوع ولا ننسى أن نضيف إلى ذلك قيودا لابد من مراعاتها فى سماع الغناء:ـ

١ـ ولابد أن يكون موضوعه مع أدب الإسلام وتعليمه أو التى تمدح الظلمة والطغاة والفسقة من الحكام فغناء الحجيج وهم ينشدون أشعار يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك والأشعار التى تحض على الغزو سماعها مباح (٢)..

٢ ـ طريقة الأداء وطريقة المغنى فى ذلك فلا يصح التكسر فى القول وتعمد الإثارة لايقاد الغرائز الهاجعة والفتنة وإغراء القلوب المريضة فإن ينقل الأغنية من دائرة الاباحة إلى دائرة الحرمة أو الشبهة أو الكراهة يقول الله تعالى مخاطبا أمهات المؤمنين ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (٣).

٣ ـ يجب ألا يقترن الغناء بشيد محرم كشرب الخمر أو التبرج أو الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء بلا قيود ولا حدود..

٤ ـ الغناء ـ ككل المباحات ـ يجب أن يقيد بعدم الإسراف فيه وبخاصة الغناء العاطفى الذى يتحدث عن الحب والشوق حساب الدين وقيم المجتمع وعلى حساب عقل الفرد وروحه وإرادته ..

---

(١) نيل الأوطار (٨/ ٢٦٤ ـ٢٦٦).
(٢) رسالة في السماع والرقص لابن تيمية ص٣٥
(٣) الأحزاب: ٣٢.

*الرد على المجيزين للغناء :

تقتضينا أمانة العرض أن ننقل الرأى.. والرأى الآخر..

١- يقولون أن الاحتجاج بالآية ﴿ويُحلُّ لهُمُ الطَّيِّبَات﴾ (١) فقالوا: أن الطيبات قد فسرت بالمستلذات وما دام الأمر كذلك فأصوات المطربة مستلذة والغناء مستلذ والمعازف مستلذة فهى إذن حلال: فهم قد فسروا الطيب مستلذًا ويرد عليهم بأنه تفسير لغوى لا شرعى وعليه فليس هناك محرم يتلذذ منه الإنسان وبالتالى فإن الزنا لذيذ وشرب الخمر لذيذ كذلك وهذا ما لا يرضى به أحد.. لكن المعارضين لذلك يقولون أن المراد بالطيبات فى هذه الآية هى كل ذى ظُفُر وشحوم البقر والغنم إلا ما استثنى منها إذا فالمراد بها طيبات خاصة قد حرمت على اليهود عقوبة لهم على فسقهم وظلمهم وجاء نبينا ﷺ بشريعة ناسخة لما قبلها فأحلتها لهم ومن الإنصاف أن نقول: أنه قد جاء ذكر الطيبات فى غير هذه الآية فى القرآن والمراد بها مطلق اللذيذ الطيب مثل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم﴾(٢).

ويجمع المفسرون على أن المراد بالطيب هنا زيادة على كونه لذيذاً غير مستقذر أنه حلال مباح بالحكم الشرعى (٣).. وبالتالى فإن اللذة تكون فى أحكام التكاليف الخمسة.. ويدخل فى ذلك قولهم أن الله تعالى خلق الصوت الطيب.. والإباحة بسماع أهل الجنة أنهم فى روضة يحبرون.. فإن هذا كمن يستدل على إباحة الخمر لأن فى الجنة خمراً وعلى إباحة لبس الحرير بأن لباس أهل الجنة الحرير وعلى حل أوانى الذهب والفضة والتحلى به للرجال فإن هذا كله مباح لأهل الجنة(٤)..

٢- حديث الجاريتين الذى سبق أن ذكرناه بنصه عن السيدة عائشة فإنما هو دليل على جواز الصوت بالأناشيد فى يوم العيد ومشروطة بشروط فإن وجدت قيدوها وتوفرت شروطها جازت.. ويؤكد المعترضون بأن الحديث لا يعدو عن

(١) الأعراف الآية ١٥٧.

(٢) البقرة ١٧٢.

(٣) الإعلام بأن العزف والغناء حرام لأبى بكر الجزائرى ص٨٠

(٤) رسالة فى السماع والرقص لابن تيمية ص٤٩.

اجتماع البنتين الصغيرتين وهما دون البلوغ عند إمرأة صبية فى يوم عيد وفرح بأبيات للعرب فى وصف الشجاعة ومكارم الأخلاق (١) والشيم فأين هذا مما نراه الآن؟ فإن الصديق سمى ذلك مزمور الشيطان وأقره الرسول على هذه التسمية ويقول ابن تيمية (وأعجب من هذا الاستدلال على إباحته بما صنعه الرسول من الحد المشتمل على الحق والتوحيد وهل حرم أحد مطلق الشعر وقوله واستماعه وأعجب من إستدلالهم على إباحة صوت الطيور اللذيذة وهل هذا إلا من جنس قياس الذين قالوا ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ (٢).. وأين أصوات الطيور إلى نغمات النسوان أو المردان أو الأوتار والعيدان)(٣).

وذكر ابن تيمية فى موضع من كلامه: (قال اسحق بن موسى الطباع: سألت مالكا عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال إنما يفعله هذا عندنا الفساق (٤).

ويقول: وما استدلوا به على أن الرسول استحسن الصوت الحسن وأذن فيه كما تقدم من حديث أبى موسى الأشعرى وغيره فإن هذا الاستحسان من صوت النسوان والوردان وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف والأوتار والمعازف وذكر القدود والثغور والنهود والخصور والعيون والصد والهجران والفراق والاشتياق..

٣ ـ حديث لعب الحبشة بالحراب والدرق فى المسجد فى يوم عيد فإن فى هذا إظهار لقوة الإسلام وإحياء روح الدفاع والمقاومة فى النفوس.. وأين هذا من الرقص الماجن والفواحش القبيحة واختلاط الجنسين فى المسارح والأغانى الخبيثة والزمر الجنونى (٥)..

٤ ـ حديث عائشة رضى الله عنها فى قصة زفاف الفتاة التى كانت فى حجرها وأن النبى قال:

«فلو بعثتم من يقول معها: أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم» (٦).

---

(١) نفس المرجع ص٥١.

(٢) البقرة الاية ٢٧٥

(٣) رسالة فى السماع ص٥٢.

(٤) تلبيس إبليس ص٢٢٩

(٥) الإعلام بأن العزف والغناء حرام ص٨٢.

(٦) حسن أخرجه ابن ماجة (١٩٠٠) وأحمد (٣/ ٣٩١) والبيهقى (٧/ ٢٨٩) من حديث جابر

فإن هذا رخصة العرس التى لم ينكرها مسلم وكيف والرسول ﷺ يقول: «فصل ما بين الحلال والحرام: الدف والصوت فى النكاح» فهل لنا أن ننقل هذه الرخصة عن موضعها ونعديها إلى غير محلها ونبيح الغناء والزمر؟ . .

٥ - حديث (لله أشد سماعا) إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته: فهو حديث ضعيف فكيف يتخذ هذا الحديث دليلا على إباحة الغناء والزمر؟

وإباحة أغانى المخنثين تسمعها العفيفات.. وعلى أغانى العاهرات يسمعها الصالحون فى كل يوم وكل بيت . .

٦ - حديث نذر الجارية الضرب بالدف بين يدى رسول الله ﷺ إن رده الله من سفره سالما معافى. . فما المانع من أن تنذر هذه الطفلة الصغيرة والتى لم تكلف بعد ضرب الدف يوم عيد قدومه ﷺ والرسول يقول: «إن كنت نذرت فأوفى»..

٧ - قولهم أن القصب والآلات الوترية لم يرد فيها نص صريح يمنعها فهذا فيه مغالطة:

أ - فهذه الآلات تسمى معارف وقد جاء تحريمها فى (صحيح البخارى) تحريما قطعيا. .

ب - أنهم يريدون بفهمهم هذا من أن الرسول يجب أن يكون فنانا عصريا فيسمى كل آلة باسم خاص كأن يقول: العود حرام. . البيانو حرام. . القيثار حرام. . وهكذا. .

٨ - يستدلون على إباحة الأغانى الحالية بعمل ابراهيم بن سعد. . وهو فى نظر المعارضين رجل مطعون فيه فكيف تكون فتواه حجة على إجماع المسلمين وعلى نصوص الكتاب والسنة. . هذا وقد عقد الإمام الغزالى فصلا فى كتاب إحياء علوم الدين [1] الكتاب الثامن فى السماع جاء فيه (فإن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ومعادن الجواهر فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها أو مساويها) ثم يقول كذلك (ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوب

---

(١) صـ١١٥٠ جـ٦

التلطف بها لسياقها إلى علم الحق علم قطعا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى له..) ومن هنا نعلم كيف أصبح الغناء والموسيقى وهو ما يطلق عليه الإمام الغزالى (السماع) له أهميته فى الصحة النفسية وأنه وسيلة من وسائل التربية وحينئذ تكتمل للإنسان تربية صحية ونفسية وفكرية (١).. ولقد نبه فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت إلى أن (تعليم الموسيقى وسماعها يتصل بالغرائز التى تستهدى ما يلذها ويشبع رغبتها) (٢)..

وهنا ينبغى أن نُذَكِّر بآداب الشريعة وقواعدها التى رسمت حدود تلك الرغبة وجعلتها فى إطارا فلم تتجاهل الغريزة ومتطلباتها ولم تطلق لها العنان جامحة بل حكمتها وقادتها إلى شاطىء السلام والسلامة فلا ضرر ولا ضرار ولا لغو ولا تأثيم ولا عدوان على شرعة الله تعالى ـ حلا وحرمة ـ فلنا أن نستمتع وفى عقلنا وآذاننا هذه المقولة (أحرار داخل إطار)...

ولكن يبقى السؤال: ماذا نسمع؟ وكيف نسمع؟ ومن نسمع؟ تلك هى القضية وحقيقة فإن تصانيف كثيرة ذكرت كلاما طويلا بين مؤيد ومعارض كما بسطنا.. وقد تولى القاضى أبو بكر الطبرى رواية أقوال فى هذا عن أبى حنيفة ومالك والشافعى وسفيان الثورى وحماد والشعبى.. أما أبو طالب المكى قد نقل هو الآخر لأقوال ومواقف لبعض الصحابة رضى الله عنهم والسلف الصالح (٣)..

ولقد وقف الإمام الغزالى ليرد على مواقف للبعض ممن ذهبوا إلى تحريم السماع مطلقا وكان أمينا فى منهجه فقد ذكر أقوال هؤلاء وما استندوا إليه ثم أعلن رؤيته وما اطمأن إليه من حكم وهو العابد التقى الورع الزاهد العارف لقد ثبت لديه أن بعض ما استندوا إليه من أحاديث غير صحيح ثم كشف البعض أن أحاديث أخرى استند إليها هؤلاء إما منكرة أو سندها ضعيف أو ليس لها أصل أو فيها اضطراب نذكر موجزا لذلك فيما يلى:ـ

١ـ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

---

(١) فكر المسلم المعاصر جـ٢ ص٢٢٦ موقف الإسلام من الموسيقى والغناء د/ عبد الشكور.
(٢) الفتاوى صـ٣٧٥ ـ ٣٨٥.
(٣) إحياء علوم الدين للغزالى.

﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾[لقمان: ٦] مفسرين اللهو بالغناء وأجاب على ما قالوه بأن شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل عن سبيل الله حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين ومشترى به ليضل عن سبيل الله فلو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراماً كما روى أن عمر هم بقتل منافق كان يؤم الناس فى الصلاة ويحرص على قراءة سورة (عبس) لما فيها من عتاب رسول الله.. ولو نتأمل ما يصف به الغزالى من لا يحس أثر الغناء فى قلبه يقول (البليد الجامد القاسى القلب هو المحروم من لذة السماع.. كما يذكر رحمه الله (أن اللهو الذى خلا من محرم دواء للقلب من داء الإعياء والملال فينبغى أن يكون مباحا.. وعلى هذا فإن السماع كما يقوله (من جملة المباحات من حيث أنه سماع صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض.. أى لأمر تجاوز به ما حددته الشريعة خارج عن حقيقة ذاته)..

٢- ويقول الغزالى فى رده على من يحرم السماع قال الرسول (إن الله تعالى حرم القينة وثمنها وتعليمها قال العراقى فى حديث ضعيف ليس بمحفوظ والجواب أن القينة هى الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشراب وغناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام أما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة بدليل مما روى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها..

ويقول أما حديث (كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى فقد جمع بين النياحة والغناء.. قال العراقى لم أجد له أصلا عن جابر.. والجواب: ليست كل نياحة محرمة ومن المباحة نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم ومن الغناء المباح ما يحرك السرور والشوق إلى الحلال فقد سمعه النبى عليه السلام فى يوم العيد وعند قدومه إلى المدينة... أما حديث «ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله شيطانين على منكبين يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك» قال العراقى حديث ضعيف.. والجواب أن ذلك فى بعض الغناء لا فى جميعه.. أما قول ابن مسعود «الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل» فيقول رفعه بعضهم إلى النبى وهو غير صحيح.. ويقول أما من قال أن ابن عمر كان فى

طريقه فسمع زمارة راع فوضع إصبعيه فى أذنيه وقال: وهكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع قال العراقى حديث منكر والجواب أن امتناع ابن عمر عن السماع لا يدل على حرمته بل يدل على أن الأولى بتركه والمباحات إذا أثرت فى القلب كان الأولى تركها كما خلع الرسول بعد الفراغ من الصلاة ثوب إلى جهنم إذ كانت عليه إعلام شغلت قلبه فهل يدل ذلك على حرم الاعلام على الثوب؟..

**** الخلاصة: نخلص من ذلك إلى:**

١- أن أصل السماع مباح.. وأن الضرب بالدف وغيره من الآلات مباح باتفاق فى أمور معينة..

٢- أن الغناء والموسيقى فى التعليم والطب حلال.. وأن سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها كذلك آلاتها من المباحات مالم تكن محركة للغرائز باعثة على الهوى والمجونية مقترنة بالخمر والرقص والفسوق أو ألهت عن الواجبات..

٣ - أن الترويح على النفس بحسن الغناء والأصوات مباح وغير مسقطة للمروءة، وقد ارتجز الرسول ﷺ وهو يحمل حجارة المسجد وفى غزوة الأحزاب وقد ارتجز بعض الصحابة..

٤ - أن المداومة عليه واتخاذه صناعة والشهرة به والانتساب إليه مسقط للمروءة وصارف عن مقاصد الشريعة ورسالة المسلم فى الحياة..

٥ - أن الغناء والموسيقى بحالها الشائع فى الملاهى وغيرها لهو حرام...

ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى:-

١- إحياء علوم الدين للإمام الغزالى .

٢- مدارج السالكين لابن القيم.

٣ - عوارف المعارف للسهروردى.

٤ - كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماح لابن حجر الهيثمى.

٥ - تحريم السماع لأبى الطيب الطبرى.

٦ - السماع لابن القيسرانى.

٧ - الفتاوى للشيخ شلتوت.

٨ - المواهب اللدنية للقسطلانى جـ٢ صـ٣٥٨..

ولا بأس أن ننقل هنا الفتوى التى حررها فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق، حينما كان يتولى منصب الإفتاء فى مصر سنة ١٩٨٠ والتى صدرت بالمجلد العاشر ص٣٤٥٩ من الفتاوى الإسلامية التى يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فنحن نطمئن إلى ما جاء بها:

نقل ابن القيسرانى فى كتابه السماع قول الإمام الشافعى: الأصل: قرآن وسنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد فيه فهو سنة والإجماع أكبر من خبر المنفرد والحديث على ظاهره، وإذا احتمل الحديث معانى فما أشبه منها ظاهرة أولاها به، فإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادا أولاها وليس المنقطع بشىء ما عدا منقطع ابن الحسيب وفى هذا الكتاب أيضا[1]: وأما القول فى استماع القضيب والأوتار ويقال له: التغيير. ويقال له القطقطة أيضا: فلا فرق بينه وبين الأوتار، إذ لم نجد فى إباحته وتحريمه أثرا لا صحيحا ولا سقيما، وإنما استباح المتقدمون استماعه لأنه لم يرد الشرع بتحريمه فكان أصله الإباحة. وأما الأوتار فالقول فيها كالقول فى القضيب، لم يرد الشرع بتحريمها ولا بتحليلها، وكل ما أورده فى التحريم فغير ثابت عن رسول الله ﷺ وقد صار هذا مذهبا لأهل المدينة، لا خلاف بينهم فى إباحة استماعه، وكذلك أهل الظاهر بنوا الأمر فيه على مسألة الحظر والإباحة. وأما القول فى المزامير والملاهى فقد وردت الأحاديث الصحيحة بجواز استماعها، كما يدل على الإباحة قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2]، وبيان هذا من الأثر ما أخرجه مسلم فى باب الجمعة عن جابر بن سمرة:

(أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما،

(١) المرجع السابق صـ٧١ وما بعدها

(٢) سورة الجمعة: الآية ١١ .

فمن نبأك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب، فقد والله صليت معه أكثر من ألفى صلاة) وعن جابر بن عبد الله: (أنه كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنى عشر رجلا فأنزلت هذه الآية) وأخرج الطبرى هذا الحديث عن جابر وفيه: «أنهم كانوا إذا نكحوا تضرب لهم الجوارى بالمزامير فيشتد الناس إليهم ويدعون رسول الله ﷺ قائما». فهذا عتاب الله عز وجل بهذه الآية. ثم قال ابن القيسرانى [1]. والله عز وجل عطف اللهو على التجارة وحكم المعطوف حكم المعطوف عليه وبالإجماع تحليل التجارة، فثبت أن هذا الحكم مما أقره الشرع على ما كان عليه فى الجاهلية لأنه غير محتمل أن يكون النبى ﷺ حرمه ثم يمر به على باب المسجد يوم الجمعة، ثم يعاتب الله عز وجل لترك رسوله ﷺ قائما، وخرج ينظر إليه ويستمع ولم ينزل فى تحريمه آية ولا سن رسول الله ﷺ فيه سنة فعلمنا بذلك بقاءه على حاله، ويزيد ذلك بيانا ووضوحاً مما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأةً من الأنصار إلى رجل من الأنصار فقال رسول الله ﷺ: (أما كان منكن من لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو) وهذا الحديث أورده البخارى [2] فى صحيحه فى كتاب النكاح، وقد عقد الغزالى فى كتاب إحياء علوم الدين [3] الكتاب الثامن فى السماع وفى خصوص آلات الموسيقى قال: إن الآلة إذا كانت من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهى المزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل إباحة كالدف وإن كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات، ونقل القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن [4]: قول القشيرى: ضرب بين يدى النبى ﷺ يوم دخل المدينة فهم أبو بكر بالزجر فقال رسول الله ﷺ: «دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود اليوم أن ديننا فسيح» فكن يضربن ويقولن نحن بنات النجار حبذا محمد من جار ثم قال القرطبى: وقد قيل: إن الطبل فى النكاح كالدف وكذلك الآلات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن رفث [5]، ونقل الشوكانى فى نيل الأوطار [6]

---

(١) ص٧٢ من المرجع السابق.

(٢) شرح عمدة القارئ على صحيح البخارى ١٤٦/ ٢٠ هامش المرجع السابق.

(٣) ص١١٥٠ جـ٦ لجنة نشر الثقافة الإسلامية ١٣٥٦هـ.

(٤) جـ١٤ ص٥٤.

(٥) أحكام القرآن لابن العربى جـ ٣ ص١٣٩٤

(٦) جـ٨ ص١٠٤، ١٠٥

فى باب ما جاء فى آلة اللهو أقوال المحرمين والمبيحين وأشار إلى أدلة كل من الفريقين، ثم عقب على حديث (كل لهو يلهو به المؤمن فهو باطل إلا ثلاث ملاعبة الرجل أهله وتأذيبه فرسه ورميه عن قوسه) يقول الغزالى:

قلنا قوله ﷺ فهو كالخضرة المنسقة والماء الصافى والوجه الحسن والروائح الذكية، وأن الشرائع لا تقضى على الغرائز بل تنظمها، والتوسط فى الإسلام أصل عظيم أشار إليه القرآن الكريم فى كثير من الجزئيات: منها قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[الأعراف: ٣١]، وبهذا كانت شريعة الإسلام موجهة الإنسان فى مقتضيات الغريزة إلى الحد الوسط، فلم تترك لانتزاع الغريزة فى حب المناظر الطيبة ولا المسموعات المستلذة، إنما جاءت بتهذيبها وتعديلها إلى مالا ضرر فيه ولاشر. وأضاف الإمام الأكبر فى هذه الفتوى أنه قرأ فى الموضوع لأحد فقهاء القرن الحادى عشر المعروفين فيه بالورع والتقوى رسالة هى (إيضاح الدلالات فى سماع الآلات) للشيخ عبد الغنى النابلسى الحنفى قرر فيها: أن الأحاديث التى استند بها القائلون بالتحريم على فرض صحتها مقيدة بذكر الملاهى وبذكر الخمر والقينات والفسوق والفجور ولا يكاد حديث يخلو من ذلك، وعليه كان الحكم عنده فى سماع الأصوات والآلات المطربة أنه إذا اقترن بشىء من المحرمات أو اتخذ وسيلة للمحرمات أو أوقع فى المحرمات كان حراما. وأنه إذا سلم من كل ذلك كان مباحا فى حضوره وسماعه وتعلمه. وقد نقل عن النبى ﷺ ثم كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أنهم كانوا يسمعون ويحضرون مجالس السماع البريئة من المجون والمحرم، وذهب إلى مثل هذا كثير من الفقهاء، وانتهت الفتوى إلى أن سماع الآلات ذات النغمات أو الأصوات الجميلة لا يمكن أن يحرم باعتباره صوت آلة وإنما يحرم إذا استعين ذات النغمات أو الأصوات الجميلة لا يمكن أن يحرم باعتباره صوت آلة وإنما يحرم إذا استعين به على محرم أو اتخذ وسيلة إلى محرم أو الهى عن واجب، ونخلص من هذه النقول من كتب فقه المذاهب وأحكام القرآن واللغة إلى أن الضرب بالدف وغيره من الآلات مباح باتفاق فى الحُداء، وفى تحريض الجند على القتال، وفى العرس، وفى العيد وقدوم الغائب، وللتنشيط على الأعمال الهامة، وأن الاختلاف الذى ثار

بين الفقهاء وجرى فى كتبهم كان فى حل أو عدم حل الاشتغال بالموسيقى سماعا وحضورا وتعلما إذا صاحبها محرم كشرب الخمر أو غناء ماجن أو غزل فاحش، أو كانت الموسيقى مما يحرك الغرائز ويبعث على الهوى والفسوق، كتلك التى تستثير فى سامعها الرقص والخلاعة وتلك التى تستعمل فى المنكرات المحرمات كالزار وأمثاله أو فوتت واجبا.

وهذا ظاهر مما قاله فقهاء المذهب الحنفى: من أن الضرب غير المستشنع لا بأس به ولا يسقط العدالة وفسروا المستشنع بأن يرقصوا به فيدخل فى حد الكبائر.

وظاهر مما قاله ابن العربى المالكى فى أحكام القرآن: من أن الطبل فى النكاح كالدف ـ وكذلك آلات الشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن رفثا، ومن جملة ما قال به ابن قدامة فى المغنى نقلا لمذهب الإمامين الشافعى وأحمد فى هذا الموطن يتضح أنه لا يخالف أو يختلف مع ما قال به الفقه الحنفى والمالكى وأورده من قيود.

ثم إن ما جاء فى عبارات الفقهاء من إجازة الضرب ببعض الآلات دون بعض يبدو أن المنع فى بعضها إنما هو للآلات التى تدفع سامعها لفحش القول أو الرقص وليس لذات الآلات، كما يدل على هذا قول فقهاء الحنفية الذى سبق نقله، وما قال به الفقه الحنبلى والشافعى من انضمام المحرم أو المكروه كالتصفيق والرقص هو المحرم، وما قال به ابن العربى المالكى: ولم يكن معه رفث.

لما كان ذلك كذلك: وكانت القضية قد واجهها الفقه على هذا الوجه وتصدى لتحقيق النصوص فيها كتاب السماع وهو محمد بن ظاهر بن على بن أحمد بن أبى الحسن الشيبانى أبو الفضل المقدسى المعروف بابن القيسرانى من رجال الحديث وقال: إنه لا فرق بين استماع القضيب وبين الأوتار، إذ لم نجد فى إباحته وتحريمه أثرا لا صحيحا ولا سقيما، وإنما استباح المتقدمون لأنه لم يرد الشرع بتحريمه فكان أصله الإباحة كما تصدى لذلك الشيخ عبد الغنى النابلسى الحنفى فى رسالته لما كان ذلك. كان الوقوف عند الوسط من الأقوال هو الأولى بالاتباع. المنوه بها آنفا التى قرر فيها : أن الأحاديث التى استدل بها القائلون بالتحريم على فرض صحتها مقيدة بذكر الملاهى وبذكر الخمر والقينات والفسوق والفجور.

وأيضا قول الغزالى فيما نقله الشوكانى فى تفسير الحديث الشريف **«كل لهو به المؤمن فهو باطل»** لا يدل على التحريم، بل يدل على عدم الفائدة، وما لا فائدة فيه من قسم المباح.

كما قال الشوكانى.

لما كان ذلك: كان القول بالتحريم على وجه الإطلاق خاليا من السند الصحيح قال تعالى: **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾** (١) والقول بأن تحريم سماع الموسيقى وتعلمها وحضورها من باب سد الذرائع أو من باب أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ليس مقبولا؛ لأن الموسيقى وإن كان قد يصاحبها الخمر والرقص وغير هذا من المنكرات إلا أن هذا ليس الشأن فيه دائما، ومن ثم صار مثلها مثل الجلوس على الطريق. ففى الحديث الشريف الذى أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إياكم والجلوس بالطرقات»** فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال: **«فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه»**، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال: **«غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»**.

ومن هذا نأخذ أن من المباحات ما يحرم إذا اقترن به محرم، وعندئذ تكون الحرمة طارئة، بمعنى أنها ليست حكما أصليا.

ومن ثم نميل إلى أن سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها أيا كانت آلاتها من المباحات مالم تكن محركة للغرائز باعثة على الهوى والغواية والغزل والمجون مقترنة بالخمر والرقص والفسوق والفجور، أو اتخذت وسيلة للمحرمات أو أوقعت فى المنكرات أو ألهت عن الواجبات، كما جاء فى تبويب (٢) البخارى فإنها فى هذه الحالات تكون حراما كالجلوس على الطريق دون حفظ حقوقه التى بينها ذلك الحديث الشريف؛ لأن الحلال ما أحله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله

---

(١) من الآية ١١٦ من سورة النحل.

(٢) إرشاد المساوى جـ٢ ص١٧١ على هامشه صحيح مسلم.

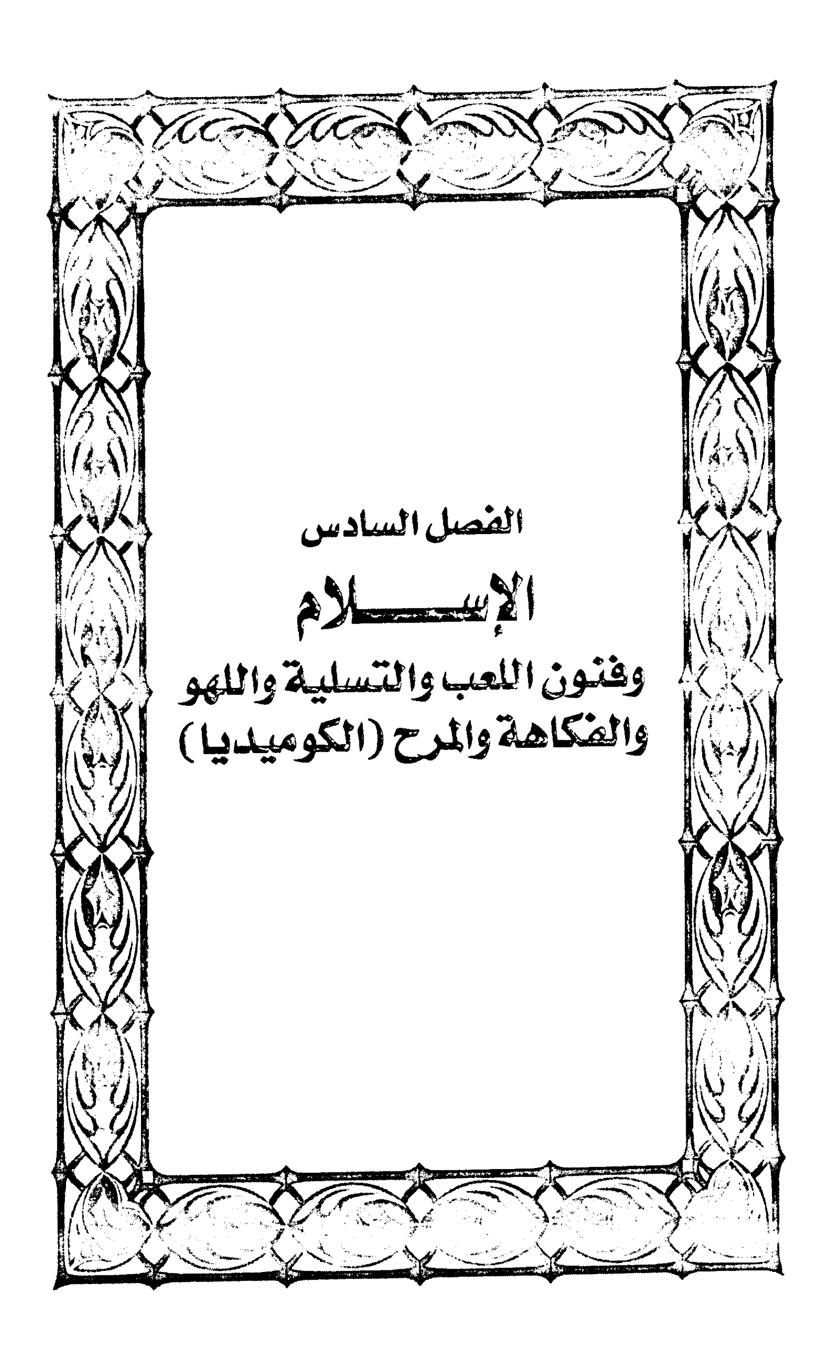
ورسوله [1] قال جل شأنه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [2].

قال ابن العربى [3]: من معانى (زينة الله) جمال الدنيا فى ثيابها وحسن النظرة فى ملابسها وملذاتها قال تعالى ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[4].

قال الشوكانى [5]. الطيبات فى الآية تشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستند، وهو الأكثر المتبادر إلى الفهم عند التجرد عن القرآن ويطلق بإزاء الظاهر والحلال وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العام، فتدخل أفراد المعانى الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض أفراده لكان قصره على المتبادر وهو الظاهر. وقد صرح ابن عبد السلام فى دلائل الأحكام: أن المراد فى الآية للطيبات المستلذات. والله سبحانه وتعالى أعلم.

●●●●●

(١) أعلام الموقعين لابن القيم جـ١ص٣٢.
(٢) الآيتان ٣٢,٣٣ من سورة الأعراف.
(٣) أحكام القرآن جـ٢ص٧٨٢.
(٤) من الآية ١٥٧ من سورة الأعراف.
(٥) نيل الأوطار جـ٨ ص١٠٥



الفصل السادس

الإسلام

وفنون اللعب والتسلية واللهو والفكاهة والمرح (الكوميديا)

الفصل السادس

الإسلام... وفنون اللعب والتسلية واللهو والفكاهة والمرح (الكوميديا)

الوقت من ذهب.. حقيقة لا ينكرها إلا جاحد لكن القلوب إذا كلت عميت.. وإذا عميت أضلت فلابد من الترويح عنها.. وهناك فنون للعب والتسلية عرفها الناس لتدفع عن الحياة الرتابة وعن النفوس الملالة منها ما هو فردى وما هو جماعى.. ويدخل فى هذا الرياضة البدنية مثل السباحة والعدو والوثب وألعاب القوى والمصارعة والملاكمة والجمباز وألعاب الكرة المختلفة والتزحلق على الجليد والرماية وركوب الخيل وألعاب السيرك.. إلخ.

ويتساءل الناس ما موقف الإسلام من ذلك كله؟

ونحن نقرر فى الرد على ذلك:

١ـ لا يمنع الإسلام من اللهو بمختلف الألعاب بل يرى ذلك أمرا مشروعا فهو يحث على الرماية «عليكم بالرمى فهو خير لكم» [١] وركوب الخيل.. «ومن تعلم الرمى ثم نسيه فليس منا».. والمؤمن القوى عموما خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. ﴿إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾.. وقد أذن النبى للحبشة أن يرقصوا بحرابهم وأسلحتهم فى مسجده الشريف في يوم عيد وكان يحثهم ويقول: «دونكم يا بنى أرفده..» أى العبوا يا بنى الحبشة [٢].. وأتاح لعائشة أن تنظر إليهم من خلفه وهم يلعبون ويرقصون..

٢ـ وإنما يتحفظ الإسلام على بعض ألوان من الألعاب التى تتنافى مع مقاصده وأحكامه مثل:

أـ الألعاب التى تقوم على المخاطرة الشديدة دون ضرورة إليها مثل الملاكمة لما فيها من شدة إيذاء النفس والغير بلا حاجة.

---

(١) رواه البزار والطبرانى

(٢) بيان للناس جـ٢ ص٥٠٦، ٥٠٧

ب - الألعاب التى تظهر فيها أجسام النساء أمام الرجال الأجانب مثل السباحة والجمباز ونحوها وينبغى أن يكون لهن مسابح وملاعب خاصة لا يدخلها الرجال.

جـ الألعاب السحرية التى تقوم على السحر الحقيقى فإنه من السبع الموبقات ويحرم تعليمه أو ترويجه بين الناس.

د - ألعاب النصب والخداع والاحتيال (الثلاث ورقات).

هـ - الألعاب التى تحرض الحيوانات أو الطيور للإيذاء مثل صراع الديوك أو الكباش، وقد ثبت النهى عن التحريش بين البهائم يقول ابن عمر أن الرسول قال (لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا) متفق عليه.

و - الألعاب التى تقوم على الحظ وحده مثل لعب النرد (الطاولة) بخلاف ما يقوم على أعمال الذهن مثل الشطرنج فالجواز فيه بشروط.

ز - الألعاب التي يدخل فيها الميسر (القمار فهو رجس من عمل الشيطان).

ح - الألعاب التى فيها استخفاف بكرامة الإنسان أو السخرية منه أو الضحك عليه، فالنكت وفن الكاريكاتير بالصورة المعبرة إذا تحولت إلى سخرية أو استهزاء أو تحقير الإنسان تدخل فى دائرة المحرمات (لا يسخر قوم من قوم. . . ولا نساء من نساء) الآيات فى سورة الحجرات. . وجاء فى صحيح مسلم «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه» فمشروعية الضحك والمرح والمزاح لاشك فيها فى الأصل ولكنها مقيدة بذلك الشرط، وشرط آخر ألا يكون الكذب والاختلاق أداة الإضحاك للناس. . وألا يترتب عليه تفزيع وترويع لمسلم. . (لا يحل لرجل أن يروع مسلما). . وألا يهزل فى موضع الجد ولا يضحك في مجال يستوجب البكاء. . فلكل شىء أوانه. .

أهازل حيث الهزل يحسن بالغنى   وإنى إذا جد الرجال لذو جد

والإسلام يكره الغلو والإسراف فى كل شىء فلا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك يميت القلب. . ويقول على كرم الله وجهه (اعط الكلام من المزاح بمقدار ما تعطى الطعام من الملح) ومن الذين عرفهم التاريخ بروح المرح والفكاهة والمزاح النعيمان بن عمر الأنصارى الذى رويت عنه النوادر العجيبة. .

رأى المتشددون: ومنهم ابن تيمية رحمه الله فيرى أن لعب النرد (زهر الطاولة والشطرنج) حرام لقول ابن مسعود رضى الله عنه: إياكم وهذه اللعبات الموسومة اللتين تزجران زجرا فإنها من ميسرة العجم) [1]،أى مما كان يلعب به العجم قمارا.. وعندما سئل أبو جعفر الباقر عن الشطرنج. فقال: دعونا من هذه المجوسية.. [2] ويقول: المنقول عن أبى حنيفة وأصحابه وأحمد وأصحابه تحريمها.. وأما الشافعى فإنه قال: أكره اللعب بها للخبر واللعب بالشطرنج والحمام بغير قمار وإن كرهناه أخف حالا من النرد [3] ولفظ الخبر الذى رواه عن مالك:(من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله) [4] وقال ابن عبد البر: (أجمع مالك وأصحابه على أنه لا يجوز اللعب بالنرد ولا بالشطرنج.. وروى مسلم فى صحيحه عن بريدة عن النبى قال: (من لعب بالنرد شبر فأنما مس يده فى لحم حنزير ودمه) ويستدل المتشددون بالحديث (كل لهو يلبهو به الرجل فهو باطل إلا رميه بقوسه أو تاديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فإنهم من الحق)، وقد ثبت من تخريجه أنه حديث ضعيف مروى عن عبد الله بن الأزرق وهو مستور وقد اختلف فيه على أبى سلام.. ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [5] والآية ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [6] وإذا كان لنا ـ بعد هذا رأى: فإنه مع التحفظ كما رأيناه سابقا بضوابط وشروط بحيث لا يكون ذلك اللعب قتلا للوقت ومضيعة لوقت الصلاة (فلا بارك الله فى عمل يلهى عن الصلاة) أو يدخل فيه الميسر (القمار) أو أن يكون على حساب أمور تشغل عن واجب دينى أو دنيوى.. وأن على المسلم أن يوازن بين المطالب وأن يعطى كل ذى حق حقه.

●●●●●

(١، ٢) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى (ق ١٦١/١٦٢)

(٣) الأم للشافعى (٧/٢٠٨) والسنن الكبرى (١٠/٢١١)

(٤) أخرجه مالك (٢/٩٥٨) عن علقمة عن أمه عن عائشة رضى الله عنهما.

(٥) المائدة الآية ٩١.

(٦) البقرة الآية ٢١٩.

الخاتمة

وبعد

فإن الدين عند الله هو إسلام الحياة كلها إليه تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(١).

ذلك أن الإسلام الذى ندين به يمد ظلاله إلى ظواهر الحياة كلها ولا يعرف الفصل بين الدين والسلوك أو الدين والعواطف أو الدين والفن.. إلخ.. فالإسلام يبغى الحق.. والفن ينشد الجمال، فالجمال حقيقة فى هذا الكون.. والحق هو ذروة الجمال.. ومن هنا يلتقيان فى القمة التى تلتقى عندها كل حقائق الوجود) (٢).

فصور الجمال فى الكون المشهود تجذب نظر الناظرين فتوحى إلى ما فيها من آية للمتفكرين تدلهم على ما وراء الأشياء من خالق وتعرفهم بما له من صفات الكمال والحكمة والابداع: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ (٣)، ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (٤) وصور الجمال فى إسلوب القرآن كتاب الله المقروء تصاحب الدعوة إلى معانى الدين فتؤكد نسبتها إلى الله إعجازا ووقعا على نفس الإنسان انبهارا ويتجلى ذلك الجمال في بديع الآيات والتشجيع على رؤيتها وفى فنون القصص وروائع الأمثال فى القرآن.. ومن التمس الجمال أو صنعه عرف نعمة الله فيه.. وذلك يستدعى فى فطرة الإنسان داعيا لشكر الله ورد جميله.. ولكن بذات الطبيعة فى الفن تكون الفتنة فهو يجذب بالشهوة ويوشك أن يبهر الإنسان ويعتقله فلا يبلغ مقام تجاوز الأشياء بدفع من ذات جاذبيتها تطلعا إلى وجه الله.. وتلك هى حالة المفارقة الحاسمة بين الإخلاد إلى الأرض والمعراج إلى الله فيغدوا الجمال هوى للإنسان يعبد من دون الله.. أو يكون غاية فى ذاته وذلك في حالة تمثله العبارة المشهورة (الفن للفن) وقد يطغى على سائر مقاصد

---

(١) سورة الأنعام ١٦٢ - ١٦٣.
(٢) منهج الفن الإسلامى ص٦..
(٣) الصافات : ٦.
(٤) الحجر : ١٦.

الحياة وتنسخ قيمة الجمال كل قيمة أخلاقية ويحكى القرآن ذلك عن أحوال الفنانين المفتونين فى مثال الشعراء ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ (١) ويمكن للفن بوقعه على النفوس أن يتخذ أداة للإلهاء عن كل أمر هادف قاصد.. والسخرية بكل شأن موقر فى نظام الحياة الاجتماعية، ومثال ذلك فى الآية الكريمة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٢).

- وكل شىء فى حياة المسلم ينضوى تحت أحد الأحكام الرئيسية: فرض - مباح - حرام.. فكل ما هو ضرورى لحياته وعقيدته الأساسية فرض عليه أن يعمل به وكل ما يتنافى مع فطرته ويؤدى كيانه الفردى أو الجماعى محرم وعليه أن يحذره وما هو بين هذا وذاك مباح له أن يتركه.. ولا يأثم... وبذلك يفتح الإسلام نوافذ كثيرة للتعامل مع ما حولنا من فنون ويقدم لنا مقاييس يسيرة وفعالة تحكم تعاملنا: إن كان هذا الذى نتعامل معه ما يؤدى حياتنا وعقيدتنا أعرضنا عنه أيا كانت المغريات وإن لم يكن فيه ما يخدش حياتنا وعقيدتنا فنحن فى خيار (المباح) وما أوسعه وأغناه.

إن ذلك يوجب منا وقفة وعلينا أن ندير حوارا مع أنفسنا لنعلم بعد هذا التوضيح ما يجوز وما لا يجوز من كل فن؛ ذلك أن حلالنا وحرامنا من كتاب الله تعالى.. كما يقول الإمام جعفر الصادق - رضى الله عنه - ومعه سنة رسولنا ﷺ شرحا وتوضيحا.. والجهد الفكرى الرائع لعلمائنا وأئمتنا وعلينا ألا نسارع بتحليل أو تحريم قبل أن نقرأ أو نحلل ذلك.. فإن تحريم الحلال هو فى الإثم كتحليل الحرام فلا خلط ولا إبهام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٣).

وإن من يحل حراما أيضا هو به كمن يحرم حلالا فلنحذر أن نحل ما حرم الله حيث نعى الله على قوم هذا الاتجاه فقال: ﴿إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين﴾(٤)... والأصل فى

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦. (٢) لقمان: ٦.
(٣) المائدة: ٨٧. (٤) التوبة: ٣٦ .

الأشياء الإباحة لقوله تعالى كما قرر علماء الإسلام: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾(١)..ولا تحريم إلا بنص صحيح صريح من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ أو إجماع ثابت متيقن فإذا لم يرد نص صريح صحيح أو صحيح غير صريح بتحريم شيء من الأشياء لم يؤثر ذلك في حله وبقى فى دائرة العفو الواسعة قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾(٢)..

وقال رسول الله ﷺ: «ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته. فإن الله لم يكن لينسى شيئا». وتلا قوله تعالى: ﴿وما كان ربك نسيا﴾(٣).

وقال أيضا عليه السلام: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»(٤) وعلى هذا يجب على المسلم أن يتبع الدليل الناصع مُحكِّمًا عقله لا مقلدا قول قائل وبذلك يكون على بينة من أمره وبصيرة من دينه..وهذه الأرضية هى المنطلق الذى يجب أن ننطلق منه لدراسة موقف الإسلام من الفنون..ولقد عنى البحث ببيان رأى الإسلام فى كل فن على حدة...فجميع هذه المسائل لها جذور ولها ثقافة كبيرة وطويلة المدى فى التراث الإسلامى وكان هدفنا الأول والأخير أن نبدأ فى هذا البحث بحكم الله فى هذا الفن...وبعد أن نصل إلى الحكم نطبق على ما نرى وما نسمع من فنون.

وباختصار فى هذا الموضوع فإننا نرى أن الغناء والموسيقى وجميع الفنون كالشعر والرسم والنحت والتصوير والتشخيص والتمثيل وما شاكل ذلك من هذه الفنون التى تعتبر أداة تعبير عما يجول فى النفوس...هذه الفنون كلها تخضع لقاعدة أنها ليست قابلة لـ(لا أونعم) على إطلاقها، إطلاق نعم خطأ .. وإطلاق لا خطأ.. وهى تخضع لقاعدة أحسبها دينية وشرعية..القاعدة التى تقول: إن هذه جميعها: حسنها حسن وقبيحها قبيح، وانطلاقا من هذه القاعدة فقد عنى البحث بوضع قواعد كيف تكون حسنة وكيف تكون قبيحة..لأنه لا أظن أنه ليس من مسلم يخالف فى هذه القاعدة: إن الحسن من هذه الأشياء حسن وإن القبيح

(١) البقرة/٢٩.

(٢) الأنعام/١١٩.

(٣) رواه الحاكم وأخرجه البزار.

(٤) أخرجه الدارقطنى والنووى فى الأربعين.

منها قبيح. . .لكن ضابط الحسن ما هو؟ وضابط القبح ما هو؟

وبعد أن يضع البحث ضوابط الحسن وضوابط القبح نستطيع أن نعتبر هذه الضوابط ترمومترا يقاس به كل نوع من الفن: هل هو مقبول أو مرفوض وقوفا عند حد الوسط من الأقوال؟

أما القول بالتحريم لكل فن من الفنون على وجه الإطلاق فهو قول خال من السند الصحيح: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾(1).

وكذلك القول بأن التحريم للفن من باب سد الذرائع أو من باب درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ليس مقبولا فليس كل فن مقترنا بالخمر والرقص والفجور والفسوق. .أو أوقع فى المنكرات أو ألهى عن الواجبات ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(2).

لقد كانت سنة الرسول الاعتدال ورعاية فطرته وحاجاته الحياتية ما لم تكن إثما. .هذا ما يؤكده القرآن الكريم: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾(3).

وفى ذلك يقول الرسول الكريم: « فمن رغب عن سنتى فليس منى..» متفق عليه. .وقد يصيح قوم من الذين يظلمون الحرية يقولون: (كيف نعيش وراء أسوار ذلك الإطار. .فنحن أحرار داخل إطار). .

وليتهم يعرفون أنه إطار يحمى ولا يحجر إطار حنان منان لا سجان. .صنعة قرآنية نبوية والقرآن شفاء ورحمة، والنبى بالمؤمنين رءوف رحيم. ولعلهم علموا الآن طبيعة ذلك الاطار أن لانحرم أنفسنا من متاع الدنيا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ إن آداب الشريعة وقواعدها كما رأينا رسمت حدود فطرة الإنسان واحتياجاته الحياتية وجعات لآفاتها

---

(1) سورة النحل الآية١١٦.

(2) سورة الأعراف: ٣٢.

(3) سورة التوبة : ١٢٨.

إطارا فلم تتجاهل الغريزة ومتطلباتها ولم تطلق لها العنان جامحة بل حكمتها وقادتها إلى شاطئ السلامة فلا ضرر ولا ضرار ولا لغو ولا تأثيم ولا عدوان على ما شرعه الله تعالى حلال وحرمة

وحتى لا تكون حياتنا أمام كل جديد فى الفن وغيره جدلا هادرا يصم ولا يهدى وكى لا يصدق علينا ما قاله سيدنا عمر - رضى الله عنه - (إذا أراد الله بقوم سوءا رزقهم الجدل ومنعهم العمل)[1]، ويجب ألا نقف منه موقف المتحير أو موقف المقلد العاجز ودون شعور بالنقص يدفعنا إلى قبول كل شىء قبولا تتلاشى به شخصيتنا الإسلامية ومقومات عقيدتنا ونذوب فى بحر لجى متلاطم.

وإنما يجب أن نبحث مدركين أن الإنسان والعقل والعصر والتطور أركان أربعة يستوجبها الباحث فى فكره وعلى قواعدها يقوم رأيه والمرجعية فى ذلك كله: كتاب الله وسنة نبينا عليه السلام. .

وذلك حتى نوفر وقتا وجهدا وفكرا تحقق به صحوتنا الإسلامية نهضة ننتظرها وتنتظرنا ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين.

فيشير إلينا الناس قائلين: هذا هو الإسلام. . وهؤلاء هم المسلمون. . .

- إننا فى حياتنا اليومية نقف مواقف اختيار من ظواهر الحياة وفنونها الجديدة تحكم مقاييسنا الخاصة فعندما يقدم لنا لون من الطعام لم نطعمه من قبل نتذوقه ونحكم عليه بقدر ما يرضى عنه ذوقنا وعندما نقابل زيا جديدا نوافق عليه أو نرفضه حسب ما قر فى نفوسنا من مواصفات للزى المرْضِى وعندما نوضع فى موقف علينا أن نطبق فيه تقليدا اجتماعيا لم نعهده من قبلُ نستجيب لهذا التقليد بقدر ما نجده منسجما مع مواصفاتنا وبقدر قابليتنا للتوافق معه. . . وقد نطبقه بحكم ضغط معين أو واجب مفروض لكننا فى أعماقنا نستغيثه ولكن عندما نكون أصحاب موقف عقيدى ملتزم فإننا سنعطى مقاييسنا العقدية أكبر مساحة فى كفة الميزان فنرفض الطعام الجديد - وإن كان مزاقه طيبا. . إذا عرفنا أن فيه لحما حراما وننكر الزى الجديد إذا رأيناه يكشف ما أمر الله أن يستر. . ونأبى التقليد الاجتماعى إذا وجدنا فى عقيدتنا ما لا يرضاه. . نفعل ذلك كله بداهة ودون تردد بدافع فطرى تمته العقيدة.

---

(١) رواه زيد بن مسلم من المغنى جـ٢ ص٤٩٨.

وإذا كنا نقر بأن الفن ظاهرة مهمة من ظواهر الحياة الإنسانية وأنه ذو طاقة إنسيابية هائلة وأنه فى انتقاله إلينا سوف يحمل معه خصائص فكرية وثقافية وعقيدية بقدر ما يحمل من قضايا فنية جديدة..

وإذا كنا لا نستطيع أن نغلق نوافذنا فى وجه فنون الآخرين وليس من الحكمة أن نفعل ذلك حتى لو استطعنا. وإذا كنا لا نقبل أن تختلط عقائدنا وتصوراتنا بأمشاج غريبة تؤذى فطرتنا إذن. فلابد لنا من نظرة هادئة فيما يفد إلينا... نظرة تحكمنا فيها عقيدة راسخة من جهة ورغبة أكيدة فى الاستفادة من التجارب الإنسانية الفنية من جهة أخرى.

فلا نختنق بضيق الأفق ولا نضطرب بعواصف الآخرين... بل نستفيد من تجاربهم دون أن نقصف أغصاننا بل جذورنا... والإسلام يدعونا إلى ذلك بل يأمرنا لأن الحكمة ضالة المؤمن وإغناء التجربة الشخصية بتجارب الآخرين قوة معينة ليس من الحكمة أن نغفل عنها ونحن محكومون بعقيدتنا أولا وبواقع العصر ثانيا - أن نتعامل مع الفنون الأخرى فإما أن نتعامل معها على بصيرة... ونقف أمامها مزودين بحكمة الإسلام وآفاقه الواسعة نأخذ ما نريد ونعرض عما لا نريد... وإما أن ندفن رؤوسنا فى الرمال نرفض كالأطفال أو نترك الأمور تجرى على هواها أيا كانت النتائج والعواقب والحالتان لا تتفقان والوعى الإسلامى المطلوب.. من أجل هذا كانت الآراء التى وردت فى هذا البحث كما هو فى نظر الآخرين - صريحة جريئة تنادى بالاستفادة بالتقنيات الحديثة من سينما وتليفزيون وفيديو ومسرح فى مجال الدعوة الإسلامية مع الالتزام بإطار الإسلام وشريعته ويوم يتم ذلك. يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله..

المؤلف

مصادر ومراجع البحث

- القرآن الكريم.

- تفسير القرآن الكريم لابن كثير - الجامع لاحكام القرآن للقرطبى - أحكام القرآن لأبى بكر الجصاصى.

- تفسير القرآن الخليل: أبو بركات النسفى - جامع البيان فى تفسير القرآن: الطبرى.

- صحيح البخارى - للإمام البخارى - صحيح مسلم - الإمام مسلم.

- سنن أبو داود - سنن الترمذى - سنن النسائى - موطأ الإمام مالك - مسند الإمام احمد بن حنبل - فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى.

- عمدة القارى لشرح صحيح البخارى - صحيح مسلم شرح النووى.

- طبقات الفقهاء للشيرازى الشافعى.

- السيرة النبوية لابن هشام - عيون التواريخ لابن شاكر..

- المختصر للمزنى - الجواب الشافى للمطيعى.

- فتاوى شرعية للشيخ حسنين محمد مخلوف.

- الحلال والحرام فى الإسلام د/ القرضاوى..الإسلام والفن د/ يوسف القرضاوى.

- فقه السنة للشيخ سيد سابق.

- أحكام التصوير فى الفقه الإسلامى..الشيخ محمد الحبشى - الجواب المفيد فى حكم التصوير لابن باز.

- أسئلة مهمة للشيخ محمد بن صالح العثيمين - ففروا إلى الله لأبى ذر القلمونى.

- مقومات التصوير الإسلامى: للشيخ سيد قطب - منهج الفن الإسلامى: محمد قطب.

- حكم الإسلام فى النرد والشطرنج لابن تيمية - التمثيل: حقيقة. تاريخه. حكمه: بكر عبد الله أبو زيد.

- جواز المثل والتمثيل من السنة والتنذيل: محمد حسين - نحو مسرح إسلامى د/ نجيب الكيلانى.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المدرك الفقهى لبيان حكم التمثيل ـ الرأى القائل بتحريم التمثيل ـ أدلة تحريم التمثيل لذاته ـ تحريمه لموضوعه ـ واقع التمثيل اليوم ـ التليفزيون بين الترفيه والإثارة. . .بعض محاذير التمثيل. . .والرأى فى مشاركة المرأة فيه الرأى الثانى القائل بجواز التمثيل. . .الإسلام والسينما ـ الطريق إلى السينما الإسلامية ـ فتاوى العلماء	٩٩
الفصل الخامس	١٣٣
الإسلام وفن الموسيقى والغناء(الفن المسموع)	١٣٥
أدلة المرمين للغناء ومناقشتها ـ أدلة المجيزين للغناء والموسيقى ـ القائلين بإجازة الغناء ـ الرد على المجيزين للغناء ـ قيود وشروط لابد من مراعاتها ـ فتوى الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر.	١٣٥ ـ ١٧٠
الفصل السادس	١٧٥
الإسلام وفنون اللعب والتسلية واللهو والفكاهة والمرح(الكوميديا)	١٧٧
الخاتمة والتوصيات	١٨٠
المراجع	١٨٦
الفهرس	١٨٧